# طرايف ذكريات وعجايب

في أحوال الأولين والسوالف

٢

الطبعة الثانية
مزيدة ومنقحة
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

الصف والإخراج دار العاصمة للنشر والتوزيع

دار العاصمة
المملكة العربية السعودية
الرياض - ص ب ٤٢٥٠٧ - الرمز البريدي ١١٥٥١
هاتف ٤٩١٥١٥٤ - ٤٩٣٣٣١٨ - فاكس ٤٩١٥١٥٤

# طرائف

# ذكريات وعجائب

## في أحوال الأولين والسوالف

جمعه وألفه
محمد بن حمد بن خريف التويجري
القصيم - بريدة

المجلد الثاني

إليك الضالة المنشودة

دار العاصمة
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

# الإهــــداء

إلى جيل اليوم . . .

فهذه محفوظات، لمأثورات، وعِبر، ووقائع،
وأحوال، عاشها الآباء ــ والأجداد، الأوائل،
لأخْذ العِظَة فيها ــ وحتى لا تَنْدَثِر،
لتدعوا لمن سجَّل لكم مآثر ماضيكم.

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رافع السبع الشداد، عالية بغير عماد، واضع الأرض ومرسيها بالأطواد، وجاعلها مقرًا للعباد، خلق الخلق وقسم بينهم الأرزاق، وفاوت بينهم في العقول والأخلاق، ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص: ٦٨].

**أمَّا بَعْدُ**: حيث حُضيَ هذا الكتاب بالقبول، واستفاد منه الكثير، بفضل الله تعالى، وقد نَفَدت الطبعة الأولى، قمنا بعون الله تعالى بطبعه مرة ثانية، مَزِيدَة ومُنَقَّحَة، قد مَزَجْنا فيه الجزء الثالث مَزْجًا، وحذفنا بعض الأولى، فأبْدلناه بجديد، نسأل الله القوي المنان: إن كان عملنا هذا صالحًا يرضيه، أن ييسر نشره بين العباد، والانتفاع به، بفضله الواسع، فإنه ولي التوفيق، والمطلع على السرائر، وهو على كل شيء قدير.

وصلَّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

**المؤلف**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

# مُقَدِّمَةُ الطَّبعَةِ الأُولَى

الحمد لله الذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم، فَضَّلَ العرب بأشرفِ الرُّسلِ وأفضل الكتب، ووعد بحفظ القرآن إلى آخر الدَّهر، أحمده وأشكره وهو واهِبُ الحمد والشكر، وأشهد أن لا إلـٰه إلاَّ الله وحده لا شريك له في ربوبيته وأُلُوهيته وأسمائه وصفاته، شهادة تنافي عموم الكفر، وأشهد أن محمَّدًا عبده ورسوله نبينا وحبيبنا سيد البشر، الشافع المشفع في المحشر صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه السَّادة الغُرَر النجوم الزُّهَر، وسلم تسليمًا كثيرًا.

**أمَّا بَعْدُ:** فأنا عندي معرفة شيء كثير من السَّوالف، والآثار، والذكريات، مما يعين على تثقيف النفوس، ومعرفة مآثِرِ العروبة؛ لأن النفوس تحب الوقوف على الآثار، وتتشَّوق لسماع الأخبار عن الآثار، من الغرائب، والنَّوادِرِ، والنُّكَتِ، والْحِكَم، والفوائد، وذلك أيضًا يُعين على فهم معاني القرآن، حيث نَزَلَ القرآن في مثل ذلك، فمن لم يعرف الآثار، فقد يغلط في فهم بعض معاني القرآن، كما قال بعضهم: (إن هذه السيارة مذكورة في القرآن في سورة يوسف ﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ

﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ . . . ﴾ [يوسف: ١٩] الآية: وهذا لأنه لم يعرف أن السيارة المذكورة في الآية: هم الْقَافِلَةُ، مجموعة من الناس، تَقِلُّ وتكثر، يسيرون في الطرق البرية، خلف الإبل أو الحمير أو البغال، ونحو ذلك، أما هذه السيارة فهي من الصناعات الحديثة، وهذا الخطأ سببه هو عدم معرفة الماضي، الذي نزل في مثله القرآن.

وعامة ما أذكره من السَّوالف قد حفظته من أفواه مشائخ القَمْرا(١)، لأني أحفظ ما سمعته من وقت صِغَري فلا أنساه، وقد أسمع الشيء عِدَّةَ مرات، من عدة أشخاص، في أوقات متفرقة، فيكون قد استفاض عند الناس: إلاَّ ما عَزَوْتُه إلى قائله فهو كما يُذْكَر، وما لم يكن صالحًا للجميع(٢) تركناه، ولهذا لا تجد فيه سالفة إلاَّ وفيها فائدة في لفظها ومعناها، وتجد فيه أشْيَاءَ لَعَلَّك لا تجدها في غيره(٣): وتجد فيه بعض الفوائد بلفظ وَجِيز، ونُعِيد بعض الكلمات بلفظ آخر (كَشَرْح)، ولا نتعرض لإصلاح بعض الألفاظ العامية، لأَجل معرفة الماضي(٤).

وحيث كان كل شيء يحتاج إلى مُلْحَةٍ وتجميل، فإني أرى تَوْشِيحَ هذا الموضوع، بفوائد وحِكَم دينية، تكميلاً للفائدة واغتنامًا للفرصة فالحسنات يذهبن السيئات، وَنُدْرِجُها متفرقة بين طَيّات الكتاب، ليكون كالبستان مُنَوَّعِ الثِّمار، لترويح نفس القارىء حتى لا يمل هذا ولا ذاك،

---

(١) أهلِ القَصَصِ والسوالف.

(٢) يعني كل الفئات: رجال ونساء صغار وكبار.

(٣) وهو أغْلَبه.

(٤) وَيَتَّسِقْ لك فهمه جيّدًا إذ اسْتكْمَلْت تصفحه، لأنك تجد توضيح بعض المسائل في موضع آخر.

ونَبْدَأ بـذكـر مُغَايرة الأحوال الأخيرة عن الأحوال والآثار القديمة، لينفتح فهم القارىء لمعرفة الآثار، ويدخل من هذا الباب.

فمثلاً: كـان النـاس لا يعـرفـون السيـارات، ولا الطيـارات، ولا مكائن الماء، ولا الكهرباء، ولا البترول، ولا الغاز ونحوه، وإنما كانوا يسنون على النَّواضِح، من الإبل أو الحمير أو البقر وعلى ظهورهم، وكذلك يحرثون الأرض بآلات تجرها المواشي، أو يحرثون بالمساحي بأيديهم، وهو أكثر عملهم، وكذلك وسائل النقل لديهم، هي: الإبل والحمير والبغال، وربما يحمل بعضهم أغراضه على رأسه وظهره، لقلة حصولهم على شيء من المواشي، في بعض الأحيان، وحين سمعوا بظهور الصناعات الخارقة لما يعرفونه، صاروا بين مصدق ومكذب، وقد كان رجال من أهل نجد يسمون «عُقيل»، يذهبون للغربية لتسويق الإبل والخيل هناك (والغربية هي بلاد الشام وفلسطين ومصر والعراق، بالنسبة لبلاد نجد، لأنهم يتغربون فيها عن بلادهم)، وفي إبّان بدء العصابات الصهيونية، لغزو فلسطين، حالة الاستعمار البريطاني، وإذا بعض رجال عُقيل حضروا هناك، ورأوا طائرة في الجو، فلما قدموا لنجد، وجلسوا في (جردة) السوق، يتبادلون السَّوالف عما رأوا هناك، قال أحدهم إننا رأينا الحديد يطير في الهواء، فقال الجماعة كذبت، فاستشهد بصاحبه وقال: هذا مسلّم اسألوه، فقالوا: ما تقول يا مسلم، هل هو صحيح، الحديد يطير في الهواء؟ فقال، (لا أنا ما رأيته) فغضب عليه صاحبه حين أَكْذَبَهُ، فلما خَلا به قال: كيف أَكْذَبْتَنِي وأنت قد رأيت ذلك مثلي؟ فقال مُسَلّم: أنا لا أحب أن يُكذِّبونني مثلك، دع هذه الغرائب تأتيهم من غيرنا.

وفي عام واحد وستين وثلاثمائة وألف هجرية تقريبًا، جاءت طائرة عابرة، من الغرب للشرق، آخر الضحى، من فوق بريدة وقراها، فانزعج الناس منها، وهرب بعضهم إلى بعض، وكثر الصراخ، وخرجوا من البيوت، حتى قال بعضهم: هذه صيحة القيامة، وأخبرني من أثق به، أن امرأة سقط ولدها من بطنها، من شدة الإنزعاج من جلبة الطائرة، (وأنا رأيت المرأة تغطي جانب وجهها، تنظر إلى الطائرة وتقول: انظروا رؤوسهم فوقها ينظروننا، (يُخَيَّلُ إلى المرأة ذلك من ذهول عقلها)، حتى البهائم انزعجت، فخرجت الإبل من السواني وخربت عُدّة السواني، والبقر انزعجت وقطعت الحبال (الربط) وهربت، والبدو في البر انزعجوا وهربت إبلهم وغنمهم، إلى آخر ما حصل من ذلك الشيء العجيب، وحين بدأت تأتي السيارات: صاروا يهربون منها، حين يسمعونها من بُعد، فيختفون خلف الجدران، وخلف الأثل، ويغلقون البيوت وينظرون من فوق السطوح، مع ما يصيبهم من الخوف والرهبة منها، فأنا أدركت ذلك وشاهدته، فصاروا بعد ذلك يعللون أنفسهم ويتناقلون أثرًا، أو حديثًا «أنه في آخر الزمان يتكلم الحديد ويقرب البعيد».

وأنا أدركتهم ولم تظهر مكائن الماء ولا يعرفونها، وأول ماكينة ظهرت عندنا للماء، ماكينة تشتغل على فحم حطب عادي فقط، هو مادة وقودها، يذهب رجال من الجماعة أعرفهم، يصلحون لها فَحْمًا من حطب البر، وينقلونه لها على الإبل، ثم ظهرت ماكينة تشتغل على الديزل، هو مادة وقودها، فاهتال الناس منها أيضًا، وصاروا يزورونها

ينظرون إليها، كما كانوا يهتالون من الأولا «كَيْفَ ماءٌ يشْتَعِل نارًا ويَعْمَلُ بالحديد هكذا».

أما استعمالهم الإبل، فهذا شيء عادي قد نشأوا عليه، فيذهبون به، ويأتون به، ويُنِيْخُوْنَه ويركبونه، حتى كانت بعض البنات والنساء تشْمُر (تقفز) على ظهر البعير وتركبه، حتى وهو واقف، وهو يمشي، فكيف الرجال والأولاد؟ ويحملون أثقالهم عليها، أسهل من حملهم على شاة.

أما المادة الاقتصادية عندهم، فهو الإنتاج الوطني، (التمر واللبن والقمح والشعير والدخن وغير ذلك)، مع اعتياد الاقتصاد في المعيشة، فإذا حصل لأحدهم ملء كفه تمرًا أو نحوه كفاه نهاره كله، وليس كلهم يجدون تمرًا في بعض الأزمان، وربما يحصل عليهم في بعض الأوقات مسغبة جوع وشدة خوف، وَحِصـار وقتل ونهب بسبب مُغايَرَة الحكام (الملوك)، يأتي هذا الحاكم فيستولي على البلد، بعد قتال ونهب، ثم يأتي الحاكم الآخر، فيحاصرهم ويحاول الاستيلاء عليهم، وقد يعاقبهم على مُوالات الحاكم الأول، فلا تزال البلاد مُضْغَة آكل، حتى قَيَّضَ الله الملك عبد العزيز رحمه الله تعالى، فحكم البلاد ووحدها، إذ لم نعرف في التأريخ، مثل ما حصل لنا في هذا الزمان، في ولاية آل سعود والحمد لله، من الأمن في الأوطان، والصحة في الأبدان، والأمن على الحقوق والأنفس، ورغد العيش، وتقارب المواصلات وظهور الإسلام، وعلو كلمة الله، أطال الله عزهم وهدايتهم، وتوفيقهم، وأبقاهم للعباد والبلاد والإسلام، آمين. اللهم صلِّ على محمد. (انتهى).

* * *

## من سلوم الرجال الطيبة

سار رجال من قبيلة حَرْب على الرواحل، من بلاد نجد، يريدون يكتالون من العراق، ومرّوا في طريقهم على بعض الموارد يريدون الماء، وإذا عليه قطين عرب من قبيلة شَمَّر، ولم يكن بين حرب وشمر ذاك الوقت علاقات طيبة، ولكن الرجال على عاداتهم وسلومهم.

وحيث لا يمكن هذا الركب: الحصول على هذا الماء إلاَّ ضيافةً على المقيمين عليه ولو كانوا ضدًا لهم، فتقدموا نحو البيوت، وإذا يمرون على امرأة تحتطب قبل وصولهم البيوت، فرأوا من الأصلح أن يسئلوها أن تدلهم على رجل يضيفونه يسقيهم؟، فأشارت لهم إلى بيت هناك في ناحية القطين، فقالوا: وإذا ما سقانا؟ قالت: إذا ما سقاكم هو فلا أحد يسقيكم، فذهبوا إليه وسلموا عليه وطلبوا منه السقيا؟ فقال: ومن دلكم عليّ هنا؟ فقالوا: امرأة هناك، وأخبروه بقولها، قال أين ذهبت؟ قالوا دخلت في ذاك البيت، فقام الرجل ولبس سلاحه وقال امشوا للماء، وذهب بهم للبئر (المارد) وإذا عليه رجال يسقون، فقال لهم (انفهقوا وراكم عن الماء خلوا هالطراقي يشربون)! فقالوا: لا حتى نخلص حنا قبل، فنهرهم وقال: انفهقوا يا مَلاَ الشَّالُوع، هاذَوْلىٰ

ضيوف ماءٍ، خلوهم يشربون (فوقفت شواربه). فتركوا لهم الماء، فوقف عندهم حتى سقوا إبلهم وملأوا قربهم، فقال: ارجعوا تغدوا عندنا، قالوا كثر الله خيرك، يكفينا يومنك سقيتنا، فأقسم عليهم إلاَّ يرجعون للغدا، فلما تغدوا قال لهم: أنا لي حاجة أريد من فضلكم تقضونها يوم جابكم الله يا رجال؟، قالوا: أبرك ساعة إذا كان في إمكاننا قضاها؟ قال نعم: هذيك المرأة التي دلتكم عليّ: هي زوجتي، قد منعها عني أبوها مِنْ ذو ثمان سنين، وأريدكم تذهبون إليه وتطلبونه يسمح لها تأتي إليّ؟. فقالوا لا بأس سوف نفعل إنشاء الله. فأعلمهم باسمه واسمها وكنيته (أبو فلان)، فذهبوا إلى الرجل أبيها، وأناخوا عنده أضيافًا، فلما قدّم لهم القهوة أبوا شربها إلاَّ أن يجيبهم إلى ما أتوا من أجله؟ وكانت عادة معروفة عندهم: في طلب الأمر المهم، فقال ما هو طلبكم؟، فأبهموا عليه الأمر، وألحوا عليه في طلب الإجابة، وقبّلوا رأسه وأنفه ولحيته يا بو فلان طالبينك، يا بو فلان طالبينك؟ فأجابهم بطلبهم! ما هو؟ قالوا: نريدك تسمح لبنتك فلانة تذهب لزوجها فلان؟. فاستعظم الأمر وقال: وش صَلَّطْكم عليّ يا حرب؟ فقالوا: حنا طالبينك طلب الرجال للرجال؟ فانتفض وصْتَكْ وجعل ينفخ. ثم أفاق، ونادى البنت؛ يا فلانة: قالت نعم قال: اذهبي هالحين لزوجكِ، فقامت ولبست ثيابها وذهبت لبيت زوجها، فشكروه، وقاموا وساروا في طريقهم.

قيل:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه      لا يذهب العرف بين الله والناس

## قصـة أخـرى

خطب شاب من رجل ابنته، فأجابه وأعطاه إياها، ولكن اشترط عليه أن يؤخر الدخول إلى بعد ثلاث سنين، فوافق الشاب على الشرط، فعقد له عليها وذهب، فلما مضى من المدة سنتان، سئم الشاب من بطىء المدة. فجمع جهازه وأتى إليهم لعلهم يزوجونه، ولكن أبوها أبـى حتى تكمل المدة ثلاث سنين. ففكر الشاب فيما يحل مشكلته، فذهب إلى رجل هناك صاحب رأي وجاه، فاستشاره في أمره؟. فقال الرجل أنا أذهب معك إليه لعله يجيب، فذهب معه وكلماه، فصمم على أمره حتى تكمل ثلاث السنين. فالتفت الرجل إلى الشاب وقال: إمش معي أنا أزوجك أختي وِتْرُكْ بنته عنده عشر سنين، ثم قام الرجل واقفًا، فلما رأى أبوها كلام الرجل خاف أن ينفذه فتفسد حال إبنته، فأبدل عن رأيه، وقال للشاب هات جهازك فزوجه، فقيل للرجل: هل أنت صادق تزوجه أختك؟ فقال: ليس لي أخت وإنما أردت أن أخيف الرجل لينفعل كماحصل. والحمد لله رب العالمين. (انتهى).

* * *

## قد يغني الله المغفل ويفقر الذكي

قيل: استدان رجل دينًا من رجل مغفل، فقال الديان: ومتى يحل الدين وتوفيني حقي؟ فقال المستدين وهو رجل محتال (يحل حقك إذا حجت البقر على قرونها). فأقام مدة ثم جاء يطلب حقه، فقال المدين: ما بعد حجت البقر، فذهب ثم جاء، فقال: ما بعد حجت البقر على قرونها، فأحضره لدى القاضي يطالبه، وقال: أنا ما أدري متى تحج البقر على قرونها؟ فقال القاضي للمدين، إذا ضحوا الناس يوم عيد الاءضحى فأعطه حقه، فهذا هو حج البقر على قرونها.

(فالقاضي رحمه الله تأول لحل الموضوع). (انتهى).

* * *

# علاج كابورا

كان رجل شايب كبير السن، ذهبوا به إلى الطبيب ليعالجه، فالشايب سأل الطبيب: ما هو مرضه؟ فقال: فيك كابورا، فقال الشايب: وما علاجه يا طبيب؟ فقال: علاجه (قابورا) يعني أن الْكِبَر علاجه القبر، وهو صحيح: فإن الإنسان إذا ما مات في أثناء عمره، فإنه يخرب جسمه ويهرم، فمصيره القبر لا محالة، ويموت الإنسان صغيرًا ومتوسط، فعليك أن تعد عملاً صالحًا لطول مثواك فيه، نسأل الله حسن الخاتمة والميتة على الإسلام. (انتهى).

* * *

# التسليف

ومن مصادر التجارة في القديم (التسليف)، سِلْفَةً، وهو الدَّين إلى أجل قريب أو بعيد مُنَجَّمًا: وهو كثير في معاملاتهم.

وحدثني أكثر من مرة، رجل ثقة كبير السن قد قارب الآن مائة عام عمرًا: وكان إذا حدث بهذه القصة بكى، هو: من بقايا عائلة أهل عقارات من نخيل ومزارع وأثل، فالأثل في هذه البلدة كان خير عقار، لأنه يَنْتُج في سائر الأرض لا يحتاج إلى سقي ولا صيانة، وكل عشر سنين أو أقل يقطعون أخشابه وحطبه ويباع بقيمة جيدة، فأخشابه يسقف بها البيوت، وينصب فوق البئر عدة للسواني، وينصب عرايش، ويعملون منه الأبواب، وغير ذلك من الألآت الخشبية، وأكثر أحوال الناس ذاك الوقت هكذا. وهذه العائلة كانت أحوالهم الاقتصادية جيدة، ولكن ماحَتْ عنهم الأمور في بعض السنين فاحتاجوا (دين)، فاستدانوا من تاجرٍ (أَلْفَ ريال سلفة في تمر)، الريال بخمسين وزنة تمر، مقسطة لخمسين سنة، كل سنة يحل ألف وزنة، ورهنوا في ذلك جميع عقاراتهم من نخيل ومزارع وأثل، (ويدخل تحت الرهن محصولات العقارات)، فالنخل يحصل منه نحو ربع الثمرة، ويسمى (أصل)، والباقي للفلاح عِمارَة، والمَزارع يحصل منها العشر أو نصف العشر من

غلة القمح وغيره، ويسمونه (ديوان) والباقي لِلزُّراع. والأثل: هو كل ما يحصل فيه من خشب وحطب، ويسمى (قَطْعَة) لأن الأثل عَمارُهُ الشمس والهوى (الرياح) فلا يحتاج كلفة وصيانة. فاستمر ورثة صاحب الدين يقبضون من محصولات هذه العقارات بقدر قسط دينهم، وبعد مدة سنين تغيرت أسعار التمر غلاءً: فصار أقل من وزنتين بالريال، فضجر ورثة أهل العقار، فذهب أحدهم إلى زعيم البلد (كبير الجماعة) وعرض عليه الموضوع، ولعله يحصل توسط لوضع بعض الدين؟. ولكن هذا الزعيم لم يرى التدخل في الموضوع، لأن هذا أمر مشروع سائغ متفق عليه في البلد، فقال للرجل اذهب إلى الأمير اعرض عليه الموضوع ثم ارجع اخبرني بما يقول، (وكان الأمير: من أهل الأصالة في الإمارة: كفاءة وأمانة)، فلما عرض عليه الحال: لم يرى الأمير حق التدخل في الموضوع، ولكن أراد إقناع الرجل وإفهامه بالحق: بالتي هي أحسن، فقال الأمير: إن لي حاجة أريدك تقضيها قبل النظر في موضوعك؟ فقال الرجل: نعم حاجتك نقضيها على العين والرأس يابو فلان، فقال الأمير: هي ناقة لنا في هذا الحوش نريدك تركبها وتذهب بها إلى راعي الإبل هناك في البر تسلمه إياها وترجع، وإذا أنا قد استخلصت لك رأيًا صالحًا لحل موضوعك إنشاء الله، قال الأمير: والناقة على ظهرها وَبَرٌ كثير، ولا بد أنك تحتاج قضاء الحاجة في أثناء الطريق وأنت ليس معك حبل تعقل يدها به، فأخشى أن تنفلتِ الناقة وتذهب، ولكن ماذا تعمل إذًا؟ يقول الرجل: فقلت: أنا أخذ من وبرها وأفتله حبلاً وأعقل يدها به، كما في المثل (أوبارها تُعَقِّلها).

فقال الأمير (قف) فهذا شبه قضيتك، فأنت تعرف أن صاحب الدراهم لم يقدمها ويُسْلمْها سلفة إلاَّ لأجل استغلال مكسب دراهمه هذه المدة، يقول الرجل فعرفت الصواب، وطابت نفسي واستراح خاطري وشكرت للأمير جهوده وإخلاصه.

يقول: ثم رجعت إلى الرجل الزعيم، ورأيت من الأصلح لي أن لا أخبره خبر الأمير، فقلت له: إني استحييت أن أذهب إلى الأمير، ولكن ماذا ترى أنت يابو فلان؟ فعرف الموضوع فلم يجبني بشيء ولكن التفت إلى ابنه في الدكان، كأنه يوصيه بمثل ذلك، وقال: انظر إلى آل فلان ذهبت تجارتهم ولم ينفعهم إلاَّ هذا الدين المسْلَفْ في عقارات آل فلان، يقول الرجل فجدد كلامه حزني، وقمت من عنده باكيًا في نفسي، وعزمت على قضاء الدين أجمع، فشدتت عزمي واستعنت بالله على جمع محصولات العقارات، فما لبثت وقتًا غير طويل حتى سددته كله واسترحنا منه والحمد لله.

فرحم الله الأمير على مباشرته الأمور بنفسه، ودفاعه عن حقوق الغائب والحاضر بإخلاص، ورحم الله هذا الرجل القائم بتسديد الدين عن أهله وعائلتهم. أما الوبر فهو شعر الإبل، فكل سنة ينسلخ الأول من ظاهر البعير وقت الربيع قطعًا متماسكًا يسمى لُبّادًا، ووبرًا، حيث ينبت تحته شَعَر جديد، فيجمعون الوبر اللباد، ويغزلونه ويَنطونه أثاثًا في كثير من حاجاتهم وفرشهم وأكسيتهم وحبالهم وغيره. (انتهى).

* * *

# مقتطفات

قيل: (تعمر قصر وتهدم مصر).

وقيل: (تطلب طلي وفي بطنك علي) والطلي هو: الخروف، وعلي: رجل، يضرب مثلاً لمن يطلب حقه القليل، وينسى حقهم الكثير في بطنه (أي عنده لهم).

وقيل: (لا تعمي عينك بيدك) أي: لا تفسد أمرك بسوء تصرفك.

قيل: (السيرة تنبىء عن السريرة).

قيل: لأمرٍ (ما) جدع قصير أنفه: وله قصة طويلة في «كتاب الأذكياء» لابن الجوزي. قيل:

الحكم ما يأتي بحبر وقرطاس يا كود ضرب مصقلات الهنادى

مصقلات الهنادي: هي السيوف، كما قيل:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

وقيل:

وقَلَّ أن رأيت ذا لقب إلا ومعناه إن فكرت في لقبه

قالت:

من لا ستشارك لا تبدي له الشور　　　ومن لا توده نور عينك افراقه

قيل: (اعمل بفلس وحاسب البطال) يعني: فأنت أربح منه، ويقولون:

النوم رأس اللوم بان الردا به　　　ما يهتني بالنوم الذيب سرحان

* * *

# زَبالِيا

كان شاب زَبَّالاً، ويقال: حمّالاً، (وهو الذي معه زنبيل يحمل به أغراض الناس من السوق على رأسه لبيوتهم بالأجرة) وكان يقال له (زَبالِيا) فاجتمع عنده مال؛ فبنى له بيتًا مشرّفًا، وكان البيت المشرف ذاك الوقت يلفت الأنظار. فمرّ وزير الدولة من حوله: يسير على العربات يجرها البغل، فلما رآه لفت نظره، فوقف وسأل لمن هذا البيت؟ فقيل: لرجل زَبّالٍ يقال له (زَبالِيا) فاستكثره عليه وقال: اكتب على الباب:

**(أَللَّهُ كريم يرزق حتى زباليا).**

فلما جاء زباليا ورأى الكتابة: كتب تحتها:

من كان له حَظٌّ في الكون    لن يمت حتى يناله

(انتهى).

* * *

## ومن الأحوال الماضية

قيـل:

يـا على فَجِّـرْ بـالغـرايـس مْسَيّـان　　لعلهـن عقـب الظمـأ يطلعـنّ

وقيـل:

يـا راكـب زينـة الـزول　　مـزعـوجـة مـن هـل اللَّبِّـهْ

قـل لـه تـرا الـزرع مـأكـول　　جـا الجـراد وتـراكـب بـه

زينة الزول: هي الناقة الذلول الطيبة، (إن لم يكن هذا لِغْزًا لأمر مكروه). (انتهى).

* * *

## فائدةُ الملحةِ في العرب: بادية وحاضرة

يأتي على الناس أزمنة فوضوية، ولا بد أن يحمل الرجل سلاحه معه ليلاً ونهارًا مسافرًا ومقيمًا. قيل:

سار رجل في طريق على رجليه ومعه سلاحه بندقية، فلقيه رجل كذلك يحمل سلاحه بندقية، فخاف كل منهما من الآخر، فاختفى كل منهما خلف شجرة وترس بها، وعزم كل منهما على قتل الآخر ليأمن شره؛ فجعل كل منهما يسبر قرنه من خلال الشجرة لعله يظهر له شيء من جسده فيصوب فيه سهم البندقية؛ وكل منهما يود الهرب عن صاحبه لكن لو قام ليهرب لقتله قرينه، فلما طال مكثهما على غير نتيجة احتال أحدهما لإنهاض صاحبه فوضع طاقيته على رأس عود ورفعها لتظهر من فوق الشجرة، فلما رآها ذاك ظن أنه رأس الرجل فصوب فيها البندقية ورماها وحين اختفت الطاقية نهض بجسمه لينظر لعله قتل الرجل وحين ظهر جسمه لذاك رماه فقتله.

أقبل رجل من الجماعة، من إحدى بلدان الأمصار في أنحاء الجزيرة، راكبًا ناقته الذلول، ومعه مال خفيف ثمين، إما ذهب وإما سلاح، وقد استعد لنفسه بجميع أنواع السلاح ولبسه، وفي أثناء طريقه أتى على رجل من البادية في البر وحده: كاد أن يهلك ظمأً وجوعًا،

فرحمه وأناخ ناقته فسقاه وأطعمه من زهابه وعمل له قهوة، فلما انتهى وركب ناقته، قال له الأعرابي أريد أركب معك تقربني من أهلي يا رجل؟ فقال: لا بأس اركب فأردفه على مؤخر الناقة، وليس مع الرديف من السلاح إلاَّ سكينًا في حزامه على بطنه، فبينما هما كذلك والناقة تنخ (تقزع) إذ ألهم الله صاحب الناقة فالتفت إلى الرجل رديفه، وإذا هو قد رفع السكين بيده وأهوى بها إلى حلق الرجل: فراغ برأسه عنها فصارت ضربة السكين بكتفه، وحين علم المعتدي أنه أخطأ مقتل الرجل خاف منه فنزل إلى الأرض بسرعة ولكن نزل عليه صاحب الناقة بسرعة، ومسكه وضرب به على الأرض، ووضع رجله على رقبته ورجله الأخرى على بطنه، وأخذ الخنجر السكين من حزام نفسه وأهوى بها إلى حلقه ليذبحه، فصاح المعتدي وتدخله واسترحمه وطلب منه العفو، وأقسم له يمينه أنه ليس لأمه غيره، فالرجل الأول لم تأخذه العجلة والطيش، بل استعمل العقل والتأني، فمنع يده والسكين، وجعل يهدده ويوبخه ويرزله ويعدد فضله عليه ـ كيف أنقذك من الهلاك وأريض نفسي من أجل سلامتك، وأطعمك طعامي وشرابي وأحملك على ناقتي وتخونني هكذا؟ وأنت تعرف سلم العرب كلهم في (الملحة)، ثم أدار فكره فيه وإذا ليس بقتله فائدة، إذ ليس معه سلاح يخشاه غير هذه السكين، فاكتفى بضربه حتى أثخنه، فأخذ سكينه وتركه وركب ناقته وسار في طريقه ودمه ينزف، فجعل يتطلب عش العنكبوت، فوجده فأخذه وألصقه على الجرح فوقف الدم، (لأن عش العنكبوت صالحًا جدًا لإيقاف الدم ودمل الجرح، فالتأم الجرح وبرىء وهو سائر في

طريقه: وأثر الطعنة في كتفه هنا حتى الآن. فانظر تفاضل الرجال في العقول والأخلاق والصفات، وانظر شجاعة الرجل الأول وكرم نفسه ورزانة عقله وصبره وتحمله. وانظر لؤم الرجل الثاني وشؤمه وخفته وهلعه وقلة أمانته، كيف وهو يعرف سلم عامة العرب في الملحة، فقد كانت عندهم عادة طيبة يعيشون عليها، وهي: أنه إذا جاء أحدهم إلى آخر وخاف منه، بادر الخائف وأسرع أن يأكل من طعامه أو شرابه أو حليب ناقته أو شاته حتى ولو غسيل الفناجيل، فحينئذٍ يأمن كل منهما الآخر حتى ولو كانت بينهما عداوة قبل ذلك. ولا يعتدي على صاحبه إذا كانت ملحته في بطنه إلاَّ لئيم قاصر عندهم، كهذا المعتدي وأمثاله من أهل الخيانة. كما قال فيهم الشاعر:

**بالك تساهل يأخذونك انهابه ... وإلا يخاوونك يحتون مزهبك**

**الديك يِذِّنْ لو عليه الجنابة ... والكلب لو البسته الطوق ما اصحبك**

قوله: يحتون مزهبك، أي: يضيفونك، ويأكلون طعامك، ثم ينهبوك إذا استضعفوك، ولو كانت ملحتك في بطونهم، وهذا أكبر عيب عند العرب.

**فالملحة**: وهي ذوق طعام الآخر، أَمْنٌ عندهم للطاعم والمطعم، حتى ولو حصلت بغير اختيار صاحبها. (انتهى).

قيل: (من تراخص اللحمة خانته المرقة).

يعني: لا تشتري الشيء الرديء فإن منافعه قليلة، ومعنى هذه الكلمة، وكان اللحم قليل السمن، كثير الهزال، وكانوا يشفقون على مرقة اللحم، فإذا كان اللحم طيب سمين جاءت المرقة طيبة، وإذا كان

اللحم رديء هزيل جاءت المرقة غير طيبة، إذ كانت المواشي والأدباش أكثرها هزيل، وقل السمين فيها، فيعوزهم الطيب: وهو مثل عام.

كان يقال: (أَكَلْتَ اِلْحَيْم؟ قال: نعم، قال: شَرِبْتَ إمْرَيْق؟ قال: لا، قال: قَرَضْتَ اِعْظَيْم؟ قال لا، قال: ما أَكَلْتَ اِلْحَيْم). (الحيم: تصغير لحم، اِمْرِيق تقليل مَرَق). يعني: إذا شرب من مَرَق اللحم، وعَرْمَشَ اللحم في العظم، فهو أَهْنأ وَأَمْرى، حيث تفرح النفس وتَقْوا.

قيل: (يجمع مشيح ويأكله مريح)، المشيح هو: الحريص، والمريح هو: المستريح الهادىء، فالحريص قد يحرم ما جمعه وتعب عليه، وقد يغتبط به غيره، بجهة إرث أو غيره.

وقيل: (مالك إلاَّ خشمك لو كان أعوج)، وهو مثل عام.

وقيل: (اختلط الحابل بالنابل) يعني وكيف اجتمعا مع تغاير حالهما؟ فالحابل يريد تسكين الصيد وهدوئه، وكانوا يتخذون حبايل للصيد متنوعة، فبعضها على الماء وبعضها على الحبوب، فيقع فيها الصيد، فتمسكه، لكن في حالة الهدوء. قال الشاعر:

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . والطير يحبل له على الفخ ويصاد

وأما النابل فهو: يثير الصيد ويهيجه، لأنه يرميه ويصيده بالنبل، وهذا يضرب مثلاً لبعض الأمور والأحوال، إذا تفاقمت واضطربت وأعضل تمييزها واشتبه المفسد بالمصلح.

وقيل:

الناس في غفلة عما يراد بهم كأنهم غنم في بيت جزار

* * *

## يجرب ابنه بالشجاعة

كان رجل هنا من أعيان الجماعة ورجال عُقيل، وكان شجاعًا عضل الجانب، ونشأ له ابن كذلك. وذات يوم حصل بينه وبين ابنه شيء من الاختلاف والتزاعل، فعزم الابن على أن يذهب عن أبيه ليتطلب المصالح ووسائل الرجولة: فقام بالليل حيث لا يخلو حوش البيت من الإبل، فشد على ناقة وحمل عليها له أثاث السفر والزهاب والماء، وأخذ بندقية وذخيرتها طلقات فاحتزم بها، وأخبر أهله سرًا، ثم سار بليله: فلما أصبح أبوه فقد الناقة، فسئل أهله؟ فأخبروه، وأعلموه أين اتجاهه، فذهب الأب إلى الأمير، وطلب منه أن يرسل رجالاً من خدامه في أثر الولد يرجعونه جبريًا. وحيث كان الرجل من أعيان الجماعة، أجاب الأمير طلبه، وقال نعم نرسل أربعة رجال، فقال الرجل أرجو أن ترسل أكثر من أربعة، فأمر الأمير على ستة رجال، فركبوا على ست ركائب مسلحين، فأوصاهم الرجل قائلاً أريدكم تقبضون عليه وتربطونه على الناقة مكتوفًا بيديه ورجليه، قالوا نعم.

فساروا على أثره حتى أدركوه: فلما رآهم عرفهم فأناخ ناقته وعقل يدها فانسحب ودخل في شجر حوله وترس به، فلما قربوا ناداهم (إلى أين يا أعيال؟) قالوا نريد نرجعك، ولكن استسلم أحسن لك، فقال أن الذي يقبض عليّ ما ولدته أمه حتى الآن، ولكن ارجعوا أحسن

لكم: فقالوا إعْقُبْ إعْقُبْ: فصوب البندقية على الناقة الأولى فضرب يدها وإذا هي تسقط بالأرض، والرجل فوقها انكسرت يده: ثم قال لهم، والله ما يتقدم عن الناقة منكم أحد إلاَّ تفوته نفسه، فأومئوا إليه خلاص خلاص رجعنا رجعنا. فحملوا خويهم ورجعوا، فما جبروا يده وعصبوها حتى أبعدوا عنه خشية يقتلهم. فلما قدموا على الأمير أخبروه، فغضب واستدعا الرجل، وقال هذا فعل ابنك برجالنا، وأنت إنما تريد ترينا ظفر ابنك، فقال الرجل أنا مستعد بجميع ما يترتب عليّ من الغرامة، فحمَّله الأمير قيمة الناقة مضاعفة، وقيمة يد الرجل، وقيمة تكاليف عنوة الرجال والركايب، فدفعها الرجل كاملة، فلما هدأ غضب الأمير، قال الرجل والله لو أن الرجال قبضوا على ابني وأتوا به لنفيته أن يكون إبنًا لي، ثم اتجه الولد للمدينة المنورة، وصار رئيسًا في عمل هناك، ثم أرسل رسالة خطابًا لأبيه يخبره بحاله ومقر عمله، وأرفقها بقصيدة قال فيها:

خَطْوَ الولد وإنْ بان به خِلِّه ... يركب على ضُمَّرٍ زينات الاوجاف
يشهر كما الطير من مرباه لعله ... يبدل الدار باديار عن الجاف
إما يجيب العز والنُّوماس بَيْرَنْ لِهْ ... وإلا يُذَكَّرْ بانٍ من فوقه الساف
تَرا إنْ قَلْ ماله ما بان فِعْل له ... لو كان أصله يِعْمِقْ بإصل الاشراف
احفظ مالك ودينك والجهل خله ... تراه إرَقِّيك برأس كل مشراف

إلى آخر القصيدة، ثم صار الولد وما تحصل بيده من الفلوس يرسله لأبيه، وبعد أربع سنين أو خمس قدم من غيبته على أبيه ففرح به وأكرمه، وصار الأب وغيره من الناس يعرفون له فضله، وصار من زعماء الجماعة وفرسانهم. (انتهى).

* * *

## إن ربك لبالمرصاد

أخبرني رجل ثقة من أهل إحدى القرى، يقول: كان رجل عندنا، قد تزوج امرأة وهي في بيتها، واتفق معها على إخفاء الأمر عن أهله، من أجل بعض الظروف، وهو عذر معروف، فصار يأتي إليها شبه خفية، ثم نشأت بحمل فبان أمرها، وعلم أهله بذلك: فقاموا عليه، فاعتزلها وأنكر أنه قد تزوجها، فمات أبوها، ثم مات شهود العقد، فوضعت حملها إبنًا، فضاقت به ذرعًا، وإلى من تنسبه إذا أنكره أبوه؟ فأتت إليه تراجعه فيه فأبـى أن يعترف به، فقالت اعترف به ولا أبغي منك مصاريف حتى يكبر ابنك ويأتي إليك هو، فأبـى وأصر على الإنكار، يقول: فأتت إلى أبـي تستشيره في أمرها؟ فقال: إننا نعرف أنك صادقة ولكننا لم نكن شهودًا على العقد، ولكن اذهبـي إلى فلان، (وهو من عقلاء الجماعة) واستشيريه لعله يجد لك رأيًا صالحًا؟، فذهبت إليه، وأخبرته بأمرها واستشارته، فقال: انظريه يعمل بالمزرعة، اذهبـي إليه وخوفيه عقوبة الله، لعله يَرْعَوِي فَيُهْدى ويعترف؟، فحملت ولدها وأتته وقالت: ورطتني في أمر عظيم، وأنكرتني أما تخاف عقوبة الله؟، فرفع المسحات عليها وقال: إِذلِفِي عني وإلاَّ شدخت رأسِك بالمسحات؟، فوضعت ولدها بالأرض، وشقت ثوبها، ورفعت يديها إلى السماء،

وصرخت بصوت عال ودعت عليه، قالت: (اللهم أرني فيه عقوبتك وعجائب قدرتك قبل غروب شمس باكر)، (تعني غد). ثم حملت ولدها ورجعت تبكي وتشكي إلى الله سبحانه، وكان الناس بالغالب ينامون بالليل بالصحراء، خارج البيوت، (بالسَّافية، والبطحا، وحول المسجد ونحو ذلك، جماعات ووحدان)، فهذا الرجل نام مع الجماعة بالسافية، هي (جردة) أمام البيوت، فلما كان أثناء الليل، وإذا هو يصرخ صرخة شنيعة أفزعت الجماعة من نومهم، فقاموا وفزعوا إليه، وإذا قد لدغته حية كبيرة، لدغةً متمكنةً، فتطلبوها في ظلام الليل ليقتلوها فهربت، والرجل تقلب بينهم نحو ساعة أو ساعتين ثم مات، فلما أصبح الجماعة أهمهم أمر هذه الحية، أن يكون بيتها حولهم، فيكون لها بقية تأتيهم، فقاموا يقتصون أثرها من أين أتتهم، وكانت الأرض رملية، تظهر بها الأثر، وإذا هي قد أتت مع الجادة من مكان بعيد، (من القطيعا وسط الوادي)، أكثر من مسافة عشر كيلو متر، خرجت من جحرها، وسارت مسارًا واحدًا كالسهم، حتى وصلته بين النيام فلدغته، ورجعت في طريقها، ودخلت في خبار جُرْذِي. وحين علمت المرأة بالحادث سجدت لله شكرًا، أن استجاب دعائها فيه حيث قد ظلمها، فالله المستعان. ثم إني سئلت الآن رجلاً ثقة من أهل تلك القرية؟ فقال: نعم أخبرني فلان بذلك. (انتهى).

* * *

## من عادات أهلينا.. الجديرة بالذكر

أما عاداتهم في الصبر والجلد وقوة العزم، فهذا شيء لا تكاد تتصوره، فيقطعون الفيافي والطرق والأسفار البعيدة والقريبة، مشيًا على الأرجل خلف الإبل وغيرها، ويزاولون حمل الأثقال عليها في مراحل السفر، ليلاً ونهارًا صيفًا وشتاءً جماعات ووحدان، كما قال امرؤ القيس:

**وَوادٍ كبطــن العيــر قفــر قطعتــه        به الذئب يعوي كالقطيع المعيَّل**

والقفر هو الخالي من الناس وغيرهم، ويقطعه (يمشيه ليلاً ونهارًا ولا يخاف). وقال شليويح:

**يـا نـاشـد عنـي تـرانـي شيلـويـح        وتـرانـي بقطـع الخـرايـم[(١)] عـزوم**
**أسرى لَوْ هَدَّتْ عليَّ النوابيح[(٢)]        وخـوينـا بـالطـرقـه امخـدوم**
**وايلا قَلَّتْ الوزنه[(٣)] وربعي مشافيح        أقلـط الـوزنـه لـربعـي واشـوم**

* * *

(١) الخرايم: هي الطرق في البر ويمشيها ليلاً ونهارًا.

(٢) النوابيح: هي الكلاب تنبح على ماشي الليل تحمي أهلها، فالشجاع لا يثنيه نباحها عن شأنه.

(٣) الوزنة هنا: هي الطعام في الطريق وقد يكون قليلاً فيتركه لأصحابه.

# نسافر نمشي على أرجلنا ونحن صغار

فكَّر والدي رحمه الله تعالى في وسيلة تدريسنا وإخواني، فلم يجد بُدًّا مِنْ نقلنا إلى مدينة الرياض، بسبب ضيق المعيشة هنا، حيث يوجد بالرياض دارًا لطلبة العلم، مجانًا، في ظلال حكومة آل سعود، تحت إشراف فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمهم الله، فسافر والدي بإخواني وهم صغار أكبر مني يمشون على أرجلهم من القصيم إلى الرياض على طريق قرى سدير من قرية إلى قرية، ويضيفون أهل القرى، وكان أهل سدير جيدين للضيف، ساروا حتى وصلوا مدينة الرياض، ودرسوا وتحصلوا على شيء من مبادىء الدراسة، فزاد نشاط الوالد ورغبته، ثم جاء للقصيم وحده، وسافر بـي مرة ثانية لهذا الغرض، نمشي على أرجلنا وأنا ابن إحدى عشرة سنة، وأدركني الهلاك في الطريق مرتين ظمأ، حتى وصلنا الرياض بعد أسبوعين، وكان أكثر مشينا بالليل، فالعزائم معها الغنائم، وليست هذه حالنا وحدنا، بل هي حال سائر الناس، نسأل الله حسن العاقبة. (انتهى).

* * *

# كيف تسقي الظمآن

كان الناس وجملة أعمالهم ووسائل الحياة عندهم هي أعمال خارج البلد، يمشون على أرجلهم ومع الإبل وغيرها، ويحملون معهم الماء بقربة بقدر ما يؤمنهم، ولكن قد يحصل عليهم ما يخلف ظنهم للمواعيد، فتارة يكون الطريق أبعد، أو العمل أكثر، وتارة يجد الإنسان أحدًا ظمآن فيسقيه، فينقص عليه الماء، وتارة يضلون الطريق، وتارة يحدث ريح وعواصف تؤخرهم (تمنعهم) من المشي في طريقهم فينفد الماء. ولكن الناس إذا وجدوا الظمآن فإنهم لا يسقونه ماء كثيرًا لأول وهلة، فإن ذلك يقتله ـ تطفىء حرارته فيموت، ولكنهم يصبون الماء في فمه قليلاً قليلاً، حتى تبتل كبده شيئًا فشيئًا، وإن أمكنهم أن يجعلوا مع الماء تمرًا لأول وهلة يمرسون في الماء تمرة أو تمرتين أو أكثر، يُصَفِّرون الماء وَيُحَلّونه به فهو أحسن للكبد، وإن أمكن أن يجعلوا مع التمر قليلاً من السمن: للظمآن الذي قارب أن يموت، فهو أحسن، لأن الماء وحده يجرح الكبد، وهذا معروف على طول التجارب طوال الأزمنة.

وكذلك الصائم الظمآن، ينبغي ألا يشرب الماء دفعة واحدة فيصدم كبده، ولكن يشرب قليلاً قليلاً، ويجعل في فمه تمرة تذوب مع الماء لنفع كبده، ولا يكثر الطعام حتى تبتل كبده وتلين، بمقدار صلاة المغرب. (انتهى).

# ابن عيد والذئب

خرج ابن عيد من عنيزة بعد صلاة العصر، قاصدًا بريدة يمشي على رجليه، فوصل الوادي في أثناء الطريق بعد صلاة المغرب. وكان الوادي موحش فيه شجر وسباع فما راعه إلاَّ الذئب يمر من عنده خاطفًا، وغاب عنه، فعرف الرجل أنه يريد يأكله، فاستعد له: بحيث لوى بشته (عباءته)، أي: لفّه على بطنه، وشماغه على حلقه، ثم جاء الذئب مرة ثانية مثل الأولى، خاطفًا وذهب، ثم ثالثة، ثم صعد الذئب مرتفعًا وعوى عواء موجعًا كأنه ينادي ربعه (رفاقه من الذئاب) ثم جاء عاديًا على الرجل وجهًا لوجه بعزم وقوة، فطمر عليه وقصد حلق الرجل بفمه، ويديه على كتفيه، ورجليه على بطن الرجل يشرحه بأظفاره، ولكن الله وقى الرجل بما استعد به، فالعباية وقت بطنه، ومسك حلق الذئب بيديه وخنقه (غاله) بقوة حتى مات الذئب وانقطع نفسه، وسال بوله وسقط فما زال غائله حتى تيقن موته، ثم أخذ عودًا وفقأ عينيه، فالرجل سلمت مقاتله (حلقه وبطنه) أما بطنه فهو بسبب البشت (العباية) وأما حلقه فعليه الشماغ، وهو لاقى الذئب بيديه وقبض على حلقه وغاله فلم يصل إلى حلق الرجل، أما الجراحات فأصابه بجراحات بأظفار رجليه وشرح أفخاذه، ويضرب بذنبه أشد من العصا، ولكن حيث سلمت مقاتل الرجل وقارب أن يختل عقله. لكن تثلب وشد

نفسه، وسار في طريقه إلى بريدة، فوصل (الخَضَر: حارة فلاحين جنوبي بريدة)، وصله وقت الهجعة بعدما ناموا، وكانت عادة الناس ينامون حين يصلون العشا (الآخرة) مباشرة، وحين وصل إلى أقرب فلاحة تليه جعل ينادي يا ولد يا ولد، فقام صاحب المحل وشب النار (أوقد النار وقبسها) فلما رأى ما به من الدم وتشقيق الثوب، سأله ماذا؟ فأخبره الخبر، فقام الرجل قومة حمية جيدة جزاه الله خيرًا، فأضرم نارًا كبيرة وأصلح ملة وهي الرمل الحار، وكانت خير علاج، فأدخله بالملة حتى سكنت أوجاعه وسكن روعه. وفي الصباح حملوه إلى أهله وبريء وعاش طويلاً والحمد لله. وهذا الرجل أنا أدركته وأعرفه رحمه الله. (انتهى).

* * *

## كذلك رجل آخر

زرع رجل في العود (محلة مزارع) من ضواحي بريدة جنوب الوادي، ومعه أمه لا غير، فمرضت، وذات يوم ماتت وقت المغرب رحمها الله، فكره أن يدفنها وحدها، فعزم على حملها إلى البلد ليصلى عليها وتدفن في المقبرة. فوضعها على باب خشب وحمله على الحمارة، وهو يمشي على رجليه ماسكًا الباب على الحمارة، وسار إلى البلد ليلاً، وفي أثناء الطريق جاءه ذئب يريد يأكل الحمارة، فجعل يكافحه وهو ماسك الجنازة، والحمار يُرَوِّغ خوفًا من الذئب، والرجل يخشى أن تسقط الجنازة ويأكلها الذئب. ثم إن الرجل لُدِغَ في رجله فوقف وحزم رجله، ومشى عليها، فجعل يبكي من وجع رجله، ويبكي على موت أمه، ويبكي خوفًا على أمه من الذئب، ويبكي مما هو فيه من الجوع والتعب والسهر والوحدة، فدفع الله عنه شر الذئب، فوصل (خُضَيْرا) بلدة فلاحين جنوبي بريدة، وصلها في أثناء الليل، فجعل يتطب لها تجهيزًا، فبعض الجماعة ذهب يحفر لها قبرًا، وبعضهم في عمل تغسيلها، وبعضهم ذهب يحضر لها كفنًا. فما فرغوا منها حتى طلوع الشمس، وهذا الرجل أنا أدركته وأعرفه رحمه الله.

وصولة الذئب ليست كل وقت وإنما تحدث وقت سفك الدماء على الأرض، نعوذ بالله من شر الفتن. (انتهى).

# بنو هلال

بني هلال: من شجعان العرب ومن خيارهم في أمور العروبة، ولهم أخبار عند كثير من الناس، في طرق متعددة، في أنواع الشجاعة والكرم والأشعار والصبر والجلد وغير ذلك، ومن خصوصياتهم أن أكثر كلامهم تجاوبًا بالشعر، (وشعرهم واضح اللفظ جزل المعنى)، ومن مشاهير شجعانهم: أبا زيد، وعمير، وحميدان، وغيرهم، وتوجد آثارهم وقبورهم الطوال في الصريف شرقي بريدة (الأسياح) ومن أقوالهم:

إن كان إبا زيد ضاف عندنا ليله     يَاما صِرْنا لابا زيد ضيوف

ومنه قولهم:

مَرٍّ يا بازيد نشبع ونروي     ومَرٍّ يا بازيد بالشَّلْفاح
ومرٍّ يا بازيد نمشي طولنا     ومرٍّ يا بازيد بالدِّلْباح

قوله: (بالدلباح) وذلك من شدة الخوف من الأعداء أن يقتلوه، فهو اضطر إلى أن يحني ظهره في بعض الأحيان حالة المشي في البر رجاء أن لا يرى، يقال: (دَلْبِحْ، دلبح). ومن ذلك قوله:

إذا هَبَّت النكْبىٰ وقابلت     تَلْقىٰ عْمَيْر كاثِرَاتٍ قِصَايْرُهُ
نُشْبِع شباة الموس من شُمَّخْ الذرا     إيلا مِنَّ الطعام تقاصر جايبه

ومعنى ذلك أنهم أهل حمية ونفع متعدي، للجيران وغيرهم من المحاويج والضيوف، فإذا كان وقت الشتاء والبرد، وهم كانوا من أهل البرية، وَهَبَّتِ النَّكْبـىٰ: وهي (الريح الباردة) تهب من جهة الشمال، مع قلة الثياب والوسائل التي تقيهم ضرر البرد. والْقِصَايِرْ نِسَاءُ الجيران الضعاف، ينضمون إلى بيت عمير أو غيره لأجل الذرا والعشاء عنده، فهو يقوم لهم بذلك وإذا ما كان عنده طعام يكفيهم ذبح لهم ناقة من إبله وعشاهم لحمها. وشمخ الذرا هي: (الإبل) والذروة شعر السنام، والشمخ المرتفعة، وقد وقع بين عمير وعَرار منافسة. وفي ذات ليلة قام عرار وأخذ عودًا في رأسه جمرة نار وخَرَّق فروة عمير بخفية، فعلم عمير بذلك فقام عمير بخفية وإذا القِدر الكبير الذي تطبخ فيه الذبائح واللحم (وهو فوق النار) وفيه بقية مرق ودهن حار، فأخذ منه في إناء ووضعه عند حصان عرار واسمه (مشهور)، فأهوى الحصان بفمه بسرعة وغمس فمه بالدهن الحار فشوى شفتيه، فانحسر الجلد عن أسنانه ولم يعلم بذلك صاحبه عرار، فلما أصبحوا وجلسوا حول القهوة والنار، قال عرار: ما هذا الذي في فروتك يا عمير؟ يريد بذلك هضمه عند ربعه، فنظر عمير إلى فروته كأنه لم يعلم بذلك، فقال: عجيب، ثم قال: والله إن هذا شيء يضحك منه مشهور، فالتفتوا إلى الحصان مشهور وإذا هو منفتح فمه، فعرف عرار أن عمير قد انتقم منه في حصانه، فما زالوا يتنافسون حتى حصل بينهم شر وقتال يطول ذكره، وهم عائلة واحدة، (فهذا هو فساد ذات البين). (انتهى).

* * *

## شجاعة الامام عبد العزيز:
## أعظم شجاعة في وقت ضعف وقلة

قال الإمام الليث الصائل عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله تعالى، في أشد ساعة مرت به، عند عزمه على النهوض لاسترجاع ملك آبائه واسترداد المجد الفقيد، في حالة هو نائي عن بلاده، حيث استولى عليها أعدائه وشردوه عنها، وجميعَ أسرته، فلجأوا إلى بعض البلاد في أطراف الجزيرة، وحين عزم على القدوم إلى بلاده ومصارعة أعدائه، والمغامرة رجاء النجاح، جعل يذهب وحده يخلو (يفكر) ويخطط للأمر؛ فاستغربوا ذلك منه، فسأله بعض زملائه من أسرة آل سعود، أين أنت تذهب يا عبد العزيز؟ فأجابهم بهذه القصيدة، التي وصف بها ما عزم عليه وما سوف يكون في مسيره، ويصف الركايب وأنها ضُمَّرْ، وهو أصبر لها على المشي المسيس، فقال:

آه واوَيْلاه ضاقت كل حيلة ... سِهِرْ عيني والعيون مُنَوِّمات
رَوَّحن عْصَير من جال الثميلة ... زِمَّع تظفى عليهن العباة
وَرَّدُوهِنْ هيت واخطاه الدليله ... والموارد غير هيت مقضبات
واهَنِيَّ التَّرْف منسوع الجديله ... ما ضواه الليل دون مغرزات

فامغرزات من ضواحي مدينة الرياض جهة الشرق، فهو يصف حاله أنه سوف يأتي من جهتها ويمسيه الليل قربها، وهذه الليلة هي الليلة التي ستدور فيها الرحى الطاحنة بينه وبين أعدائه، فلا يدري ماذا سيكون، أَللّٰه أكبر ما أشدها من ساعة، لهذا فهو يهني الترف منسوع الجديلة، وهي البنت الناعمة المخبأة في البيوت، وأنها لم تطرقها هذه الشدائد.

يقول: وأما أنا فلا تثنيني هذه العقبات والصعوبات عن مرادي.

وقوله: والموارد غير هيت مقضبات، هي: موارد الماء التي على سائر الطرق إلى الرياض، فقد رتب فيها أعدائه جنودًا مرابطين يحمون بلاد الرياض خوفًا من هجومه عليهم، فهو قد عرف ذلك، فترك الموارد المعروفة وقصد (هيت) وهو موضع ماء على غير طريق، حيث لم يكن عليه إلاَّ عينًا من آحاد العرب، فقضوا عليه، ووردوا الماء وصدروا وساروا في مهمتهم. فرحم الله عبد العزيز وغفر له وأصلح عقبه آمين. والحمد لله الذي بنعمته تتيسر الأمور.

وبعض الناس يقول: إن الإمام عبد العزيز لما خرج من الكويت لهذه المهمة، ذهب وخيم بالربع الخالي نحو خمسين يومًا، ثم بدأ بالمهاجمة، وهذا لا يتناسب مع كلام عبد العزيز في هذه القصيدة، حيث أخبر زملاءه بعزمه وتخطيطه فنفذه فورًا بخفية فسبق الأخبار، ولو أنه خرج وخيم بالربع الخالي لشاعت أخباره ولا أمكنه هذا الهجوم الرائع، ولكن الواقع يدل على أنه نفذ فورًا رحمه الله.

وأيضًا فإن الإقامة بالربع الخالي ليس فيه وسائل تجنيد، بل إقامته

هذه المدة هناك ربما تنهك قواه، وكلامه في قصيدته يخالف قولهم ويدل على ما ذكرناه، كما هو مقرر في «تأريخ المملكة العربية السعودية» فتوحات الملك عبد العزيز رحمه الله.

ولما استولى عبد العزيز على الرياض واستقر بها، فرحوا به وتعاونوا معه، وكان أعداؤه قد هدموا سور البلد خشية انقلابها، فأمر الإمام عبد العزيز ببناء السور، فلما تكامل بناؤه أقام عرضة قال فيها:

نَحْمِــدَ الله والثَّنــا لَلّـه والْمِبــانِــي تَــمّ حــامِيهــا
إنَّــا جِهــادُ ومِــنْ مَــدِيــدَ الله لكلمــة التــوحيــد نبغيهــا
ربــع يــوم فــي سبيــلَ الله يــازن الــدنيــا أو مــا فيهــا
وايــلا مشينــا يــا عبيــد الله وكلــوا بــالنفــس واليهــا

(انتهى). قيـل:

يــالله يــا فــراج يــا وَالَ الأفْـراج ياللي غني والناس يَمُّهْ محاويج
إفـرج لْمِـنْ كِنُّـهْ بْحِـقٍّ مِـنْ الْعـاج متحيـر ضـاقـت عليـه المنـاهيـج

قيل: سعادة الإنسان في دنياه وأخراه في مراقبة مولاه. (انتهى).

* * *

# الـدرب فـوقـانـي

إن بعض القرى يختلف أهلها عن أهل القرية الثانية، في بعض صفات الوجه والأجسام، وفي بعض الأخلاق، وفي خفة الطبع وثقله، وفي إكرام الضيف وجفاه، والشجاعة والرجولة وعدمها، والديانة والجفا وغير ذلك مما يعرفه أهل الفراسة والبصيرة، وينسبون هذا الفرق والاختلاف لتربة البلد ومائها، ولا يبعد أن يكون هذا صحيحًا.

وهناك أهل قرية: فيهم ظرافة ورجولة، جاء رجل ومَرَّ في فِلاحَةٍ فيها نخل وعليه نعال زينة، وإذا قُرْبُ النخل رجل واقف، وطمع في نعلي الرجل، فقال له: تَعال تفضل اِرْقَ هذه النخلة وكل من تمرها، فأجابه الرجل الطرقي (الجائع التعبان) فقرب من النخلة ليرقى، فأدخل نعليه في ذراعيه، فقال له الرجل الواقف: ضع نعليك بالأرض حتى تنزل، فقال الرجل: وقد عرف مقصده (يمكن يكون الدرب فَوْقاني) يعني من رأس النخلة، يمضي في سبيله، ويقصد بهذا حِفاظًا على نعاله، فقال الرجل الواقف: ارجع إذًا فليست النخلة لنا، فبان خِداعُهُ؛ لأنه يريد يأخذ النعلين إذا رَقا صاحبها ويهرب بها.

وجاء أهل قرية، بجنازة، وهو جِذْع نخلة، قد كفنوه ووضعوه على النعش وغطوه وقدموه أمام الجماعة يصلون عليه، قال الجماعة مَنْ

الميت رحمه الله؟ فقالوا: هذا الصدق مات أَللّه يجبر المسلمين.

جاء حميدان الشويعر، إلى أهل قرية، وتطلب من يُقْرِيه، أي: (يضيفه) فلم يضيفوه، فاحتال لذلك حيلة، (وكانت عادة الناس: أن الرجل إذا وضع عندك عفشه أو بشته أو عصاه أو نعليه، فهو ضيفك ويلزمك قراه) كما في الحديث (المروء مع رحله)، فحميدان لما رأى أهل القرية تصددوا عنه: وكان عليه نعال زينة، فوضع إحدى نعليه في تقاطع سوق القرية ولاذ (اختفا) عنها قريبًا، جاء رجل من أهل القرية فوجد النعلة وحدها ساقطة في الشارع فأخذها ونظر يتطلب أختها فلم يجد، ونظر هل حولها أحد؟ فلم يجد فأخذها ومضى في سبيله، فتبعه حميدان عن بعد، فلما وصل بيته أسرع احميدان وأدركه قبل أن يدخل، وقال: خذ أختها معها، فضحك الرجل وعرف حيلته وقال: ابرك ساعة تفضل، فلزمه ضيافته.

جاء رجل شَمَّرى، إلى أهل قرية، كان بينه وبينهم مناحات، (تحدى) وجعلوا يتمشّوْن به في البلد، وإذا بعض أرضهم متصدعة بعد الماء (السيل) فقال: عَلامَ أرضكم متصدِّعة يا بعد حَيِّـيْ؟، فقالوا: كان جَدُّنا عبد صالح وسجد لِلّه فتصدعت له الأرض، فقال: (أَشْوا اللي ما سجد ثانيه كان اِخْسِفَ الله بِكَمْ). (انتهى).

* * *

# الجليس الصالح

مات رجل وخلف زوجةً وأولادًا صغارًا في بيته، فتزوجها أخوه وهي في بيتها على أولادها، وكان هذا جَمَّالاً: صاحب جمل، ويُدخل جمله في حوش بيتها، وكان هو رجلاً شحيحًا. فجعلت المرأة تشتكي شُحَّهُ وقلة نفقته عليها، إلى امرأة صديقة لها؟. فقالت المرأة لها: (اصبري واقنعي بما تيسر لك منه، لو ما يَحْصُلْ لك منه إلاَّ الجلة) فقنعت. والجلة: هي بعر الجمل والبقر: يأخذونها وينشرونها بالشمس ييبس صالح للوقود. (وسبق شرحها)، فهذه المرأة: هي جليس صالح، قَنَّعتها وصبَّرتها لما يصلح حالها في الحال والمآل، وهكذا مضت حالها على خير وستر، وكبر أولادها، فبروها وبروا عمهم كذلك، ونزلت البركة في العائلة أجمع. (انتهى).

❊ ❊ ❊

# الْجَشَعْ وقلة المرؤة

قال شاعر:

الله يجيب العجاج ولا يجيب المطر      ما دام عندي صليبه ما يطقطق سماه

**المعاني:**

الصلايب: هي أعلاف الحجاز، يلفونها قطعًا شبه حبال غليظة مدورة، تحمل على المواشي بدون ظروف، واحدتها صليبة، فهذا القائل: قليل المروءة، يتمنى القحط على الناس لأجل يبيع ما عنده من الصلايب بأسعار غالية، ولو تضرر الناس، وأمثال هذا كثير، لا كثرهم الله. (انتهى).

* * *

## في قواعد وأمثلة عامة

قـيـل:

يموت الفتى موتين موت من الفنا ومـوت من اخلاف الذراري جدوده

معناه: إن الولد إذا كان على طريقة أبيه فهو يرث أباه في رجولته وفي أهله وقرابته وسمعته، فهو لم يمت أبوه حيث خَلَفَهُ ابنه، كما في المثل: (مَنْ أَرَّثْ ما مات).

وأما إذا ما صار الولد على طريقة أبيه، فالابن كأنه مات وهو حي قبل موت الفنا.

يقال: (بطن الشبعان على الجوعان ونى) أي: بطيء، يضرب مثلاً أن من لم تمسه الحاجة قد لا يهتم بحال المحتاج، لأنه لم يحس ولم يشعر بما أصاب غيره (كالشبعان وغيره جائع) فإنه لم يحس بجوعهم، وهو مثل عام في كل شيء من هذا النوع، كما قيل: (من شبع تبيصر ومن جاع قلت أبصاره)، يعني أن الجائع والفقير المقل لا يستطيع يفكر وتفكيره على قدر حاله، كما أن الشبعان والغني الواجد يفكر بنشاط على قدر حاله. وكما قيل:

الجـوع يِـرِّثْ بِـالْجـوَاد الْخـلايـه والفقر يرث بالفتى سكنة الريح

والجواد هي: الخيار من الإبل والخيل، والريح هنا هو: العزم، والخلايه هو: العَطَل في الأرض وترك الجري.

وقال الإمام عبد العزيز رحَمه الله وصدق: (الفزعة الردية من بخت العدو)، والردية هي: القليلة الضعيفة.

قيل: (يبغي يداويه واعماه)، فعل الأخرق، والأحمق.

وقيل: (يا من بيديه يطرف عيونه).

ويقال في تقليل العدد في الجماعة: (غنم جحا: واحدة رابضة وواحدة واقفة)، كما يقال: (قال صفوا صفين قالوا حنا اثنين).

وقيل في التحذير عن الكِبرْ والتعاظم على الناس:

**من قال أنا خير الملا ربحه العنا ومن قال أنا ظيم الرجال يظام**

قيل: (لو ينها الناس عن موضع خُفٍّ في الأرض ازْدَحَمُوا عليه).

وجاء في حديث: «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين» متفق عليه.

يعني من خانك مرة فلا تأمنه مرة ثانية، ومعناه أعم من ذلك.

وقيل: (ما يُخْدَمْ بخيل) وهذا صحيح.

وقيل:

**إذا حل الثقيل بدار قوم فلا لأهل الدار إلا الرحيل**

والثقيل هنا هو: ثقيل النفس.

وقولهم: (مثل امغسل ضرع العير ينجسك ولا يطهر)، يضرب مثلاً لبعض الأمور أو بعض الناس تريد تصلحه فلا يفيد فيه إصلاحك،

وأكثر الناس لا يعرف الغيبة المحرمة التي تكبه في النار على وجهه، وهي: الكلام في إنسان لو كان حاضرًا عندك لتركت هذا الكلام فيه لعلمك بأنه يكرهه، (أصله حديث) أخرجه الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه.

وجاء حديث في المناصحة. قال: «المسلم مرآة أخيه. فإن الرجل لا يرى عيب نفسه» أخرجه أبو داود.

ويقال: (فلان يخبط خبط عشواء) والعشواء هي: الناقة التي لا تبصر جيدًا، ففي حالة المشي تخبط بيدها غير معتدلة، وهذا يضرب مثلاً فيمن يجازف في الأمور ولا يزنها.

وقيل: فيمن يسيء عند خاتمة أمره: (يبغي يودع الجحر ضرطه).

وقيل: في النصيحة بعد الفوات، قال: (في لقمتك عود قال مضت).

قال:

| | |
|---|---|
| تدبر القرآن إن رمت الهدى | فالعلم تحت تدبر القرآن |
| العلم قال الله قال رسوله | قال الصحابة أولوا العرفان |

وقال أهل التحقيق في الدين: (إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم)، وقالوا: (العلم حفظ وإتقان، وآفة العلم النسيان).

وفي الحديث: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» رواه أبو داود والترمذي.

(لا تنسى ذكر الله ــ لا تنسى الموت وما بعده).

قيل: (رُبَّ فَرح بنعمة فيها حتفه). (رُبَّ مستعجل لمنيته).

إن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف.

«حسن الخلق ذهب بخيري الدنيا والآخرة» الحديث رواه الطبراني وغيره عن أنس رضي الله عنه. (انتهى).

* * *

## جلود المواشي في القديم..
## ثروة ضرورية للحياة

كان الناس أكثر أعمالهم ومصالحهم على صلاح جلود المواشي، ويسمى واحدها جلد: وإهاب، ولهذا كانوا يحرصون على سلامتها عن الخروق عند السلخ: وتباع بقيمة جيدة، فجلود الغنم يجعلونها قِرَبًا (أوعية للماء في الحضر والسفر) وأسقية لِلَّبَن والسمن ونحوه، ولكن بعد عمليتين أو ثلاث لإصلاحه قِرْبَةً ونحوها.

فالعملية الأولى هو: التِّمـار لخلع الشعر من الجلد، يمرسون تمرًا أو دقيقًا مُغْلاً مع الماء ويضعونه فيه وسط قدر ونحوه، ثم بعد بضع أيام وهم يلاحظون عليه فإذا استطاعوا خلع الشعر منه خلعوه ونظفوه وغسلوه عن التّمار ومَلَّحوه، ثم بدءوا به بالعملية الثانية وهو الدِّباغ، فأدخلوه به لعدة أيام أكثر من أسبوعين، فإذا رأوه قد نضج أخرجوه. وعلامة نضجه في الدباغ، هو أن يستحيل لونه من لون جلد إلى مدبوغ، وإذا يبس يكون لينًا، أما إذا كان عَضْلاً غير لين فهو لم ينضج دَبْغًا.

والدباغ أنواعه كثيرة: فنوع منه قشور الرمان، ونوع هو ثمر الإثل (الكِرْمِـع) ونوع هو ورق شجر الإرطا (العبل)، ووقت جنيه (قطعه) من الشجر في البر هو إذا اشتد (وهو وقت طلوع نجم الجوزاء (الهقعة ــ

والهنعة) وسط القيظ. ونوع، من شجر الحرمل وغير ذلك.

يُسْحَقُ أَحَدُ هذه المواد وتروى ماءً يدخل فيها الجلود يغطيها ماءه.

ثم العملية الثالثة: فيدهنونه بالدهن (الودك) ويسخنونه بالشمس، ثم يغمسونه بالماء يلين جدًا، ثم يخرزونه قربة ويستعملونه للماء.

والْخُرّازُ يتفاضلون في عمل الخِرَازة، فإذا قارب النُّفَذْ صارت أمسك للماء، وتباعد النُّفَذ أقل إمساكًا للماء، لكنه أسرع في العمل.

وسير الخرازة يدهنونه بالشحم (الودك) مَرْخًا لأجل مرونته حتى لا يوسِّع الخروم فيتسرب الماء.

جاء أعجميٌّ إلى خراز ليخرز له قربةً أو قربًا، فقال الخراز لصاحبه (خُطا نعام، تراهم بعام) يعني باعد النفذ أسرع لنا في العمل، والأعجمي لا يفهم كلامي لك لأنهم بعام، أي شبه بهائم بالنسبة لكلامنا، ولكن صار الأعجمي يفهم الكلام العربي فهمًا جيدًا، ففتح الأعجمي عينيه على الخراز وقال: «دَانِي دَانِي زَيْ الْقِرْدَانِ: ضاع قطره ضاع رأس)، أي: قارب النفذ اجعلها تشبه القِراد في حجمها لتمسك الماء جيدًا: واعلم أنك إذا لم تتقن الخرازة فَتَسَرَّبَ الماءُ منها وضاع، فسوف نقطع رأسك ونضيِّعه. (فهذا معنى كلامه)، فصار يضرب به المثل في حفظ الشيء (ضاع قطره ضاع رأس)، ثم صك الأعجمي أسنانه مع فتح عينيه وهمهم عليه كما يرْهِمْ (يصهل) الحصان، فخاف منه الخَرّاز فأتقن العمل بمقاربة نُفَذْ الخرازة.

والقِراد جمعها (قِرْدَان) وهو حشرة الإبل: متقارب الطول والعرض نحو نصف سنتي متر أو أقل.

أما جلد البعير فيتخذونه على حالتين: حالة مدبوغًا وحالة غير مدبوغ، إذ كان سلخه يسطح سطحًا: إلاَّ الرقبة فلا يسطحون جلدها بل يسلخونه بدون سطح لأنهم يحتاجونه ضروريًا حبلاً (شريحة واحدة للسواني) من دَمِهِ بدون دبغ، يَقُدُّونه بالدوران، شريحة أعرض من أصبع وأقل من أصبعين، بمعدل اثنين سنتي متر، وكذلك جلد البقرة سلخه سطحًا، إلاَّ أن سطحه على البطن، وجلد البعير سطحه على الظهر (السنام)، ويدبغ جلد البقرة ويتخذ لما يتخذ له جلد البعير المدبوغ وغير المدبوغ، وحيث يعملونها غَرْبًا (جمعها اغروب) لإخراج الماء من البئر بالسواني، ويعملون منه عيبة: جمعها (أعياب) هي أوعية كبارًا للبادية يخزنون فيها التمر والعيش والأقط وغيره من الطعام تحفظهِ عن الخراب حالة تنقلاتهم في البر، وجاء في حديث في ذكر إحدى القبائل (وكانوا عيبة نصح لرسول الله ﷺ) وكما يقال (فلان عيبة نصح لآل فلان).

وبعضها أوعية لنقل الماء على الإبل في البر تسمى (راوية) جمعها (ارْوِي) وَرَوايا وجاء في حديث (هذه رَوايا الأرض يسوقها الله إلى أناس لا يشكرونه ولا يعبدونه) يعني السحاب الموقر بالماء[(١)] وعليه كلمة الشاعر العربي: قال:

**ومن العجائب والعجائب جَمَّةٌ قـرب الحبيب ومـا إليـه وصـول**
**كالعيس في البيداء يقتلها الظمأ والمـاء فـوق ظهـورهـا محمـول**

(١) الحديث: رواه الإمام أحمد والترمذي وابن أبي حاتم والبزار.

أي الماء فوق ظهره في الروايا (فالجمل حمله روايتان) وفي بعض ألفاظه (قرب الدواء وما إليه وصول): والعيس هي: الإبل المحملة والمركوبة)، وكذلك يعملون من الجلود المدبوغة النعال والخفاف وغيرها.

أما جلد البعير والبقرة الغير مدبوغ، يقدونه شرائحًا حبالاً للسواني يسمى سريح، كما سبق ورباطات قوية هامة، كرباطات شداد البعير حيث يحمل عليه الأحمال الثقيلة، ومنه آلة رقى النخل المسمى (الكر) فيعتمدون عليه في رأس النخلة، على ثقة من قوته، لأن الجلد ما دام رطبًا فهو لين جدًا تعمله كيف تشاء فإذا يبس اشتد شبه الحديد، وعليه قولهم (أسره بالقِد) (مأسور بالقِد).

أما القَدِيد فليس هو القِد، ولكنه شرائح اللحم اليابس المملح، واشتقاق اللفظين (من القَدْ وهو الشق).

ومنه قول إبنا زيد الهلالي حين قدم من سفره المعروف يمدح زوجته وأنها تصبر على الجوع، وتوفر ما في البيت من الطعام لنوائب الدهر، من طروق الأضياف وغيره، وكانت عادته يقيم كرمة (مائدة) إذا قدم من سفر أو غزو لجيرانه وجماعته فلما ركب فرسه من عندها ليذهب يأتي بشيء من الغنم أو الإبل يذبحه، فألقت عليه قصيدة تخبره بأن عندها طعام قد خبئته لمثل هذا اليوم. قالت:

عندنا من كَيْلِنا عام الأول ما يقرى الضيوف هم واللحايق

فأرجع الفرس إليها وأجابها بقصيدة يمدحها بها منها قوله:

أَكَّالَتْ القِدْ والقَدِيد والبر عندها حرام عليها تعقب البيت طالق

وأكل القِد هو بسبب الجوع وقت المجاعة، هو أنهم يتطلبون حتى الجلود اليابسة كجلود الميتة وغيره وقطع القِد اليابس، فيشوونه بالنار تبيد قوته فيدقونه ويأكلونه، نسأل الله العافية.

فهو يخبرها بقصيدته أنه لا يطلقها ولا يستبدلها بغيرها، مكافأة لها على هذا الصينع الطيب. (انتهى).

قيل: قد لا تجد في الناس من يأتي إليك يقضيك حقك بدون طلب وإلحاح، اللهم إلا قليلاً من أهل المروآت، لكن إذا كان الاتصال به قريبًا فهو أقل تكليفًا من البعيد. كما قيل: (دَيْن وعلى بدوي) يعني متى تواجهه يوفيك؟ لأنه يتنقل في البر، وهكذا العميل البعيد.

ومثله قولهم: (ديان عتبه إذا ما أوفاك ما عناك).

ومثله قولهم: (شاة القصير ما تبـي تهضيل).

والقصيـر هـو: الجـار، والعتبـة هـي: زلفـة البـاب التحتيـة، والتهضيل هو: إحضارها من مجموعة السرح للبيت: يعني إنها تأتي بدون كلفة.

وقيل: في مثل سائر: (من عدم الرجال صرنا رجال).

وقيل: (إذا غابت الأسود انتشرت الثعالب).

وكما قيل: (إذا غاب البس إلعب يا فأر).

وهذه الكلمات تضرب مثلاً إذا تولى الأمور غير أهلها. (انتهى).

* * *

## هل تعرف روضة الدمنة

قال الشاعر:

إيـــاك يـــا هـــذا وروضـــة دِمْنَـــة ستعـود قـريبًـا إلـى أصلهـا الـردي

الدمنة هي منازل البادية في البر ومعاطن مواشيهم، ومثلها الروضة التي يصيبها الطل وقت الشتاء، فينبت عشبها سريعًا على الطل والمطر الخفيف، وتجد فيها بعرة الجمل أعلاها رطب وأسفلها يابس، ويستمر هذا الطل، فتكون الروضة خضراء على هذه الرطوبة الخفيفة، فتعجب النظر، ولكن إذا انجلى الطل وطلعت عليها الشمس هشم عشبها، وذهبت نُضْرتُها، لأنها ليست عريقة في نوعها، وهذا يضرب مثلاً لبنت الهيس، والهيس هو: (الرجل عفن الطِّباع، فهي قد تكون جميلة تعجب النظر، ولكن أبوها رديء من الرجال، ليس به مروءة، ولا سخاء نفس، ولا حمية لجار ورفيق وصديق، ولا فيه عطف على المحاويج والمساكين، ولا فيه صبر وتحمل عند الشدائد، ولا عفو عن بعض حقوقه كأهل المكارم، ولا له وجه طلق للضيف والعاني، ولا شجاعة ورجولة، ولا سمعة جميلة حين يذكر، قال شاعر:

إن الكـريـم ليخفـي عنـك عسـرتـه حتـى تـراه غنيًـا وهـو مجهـود
وللبخيــل علــى عِــلأَّتــهِ عِلَــلٌ زرق العيـون عليهـا أوجـه سـود

وقال شاعر آخر في المرأة أيضًا:

**الـزيـن مـا هـو خُلْقـة لـو لقينـاه　　　مِيْـر البـلا حسـن الطبـايـع تعـوزك**

فبنت الهيس، قد تكون مثل أبيها ليس فيها رحمة ولا صلة لأهل الزوج وقرابته، ومن ينوب محله من ضيف وغيره، فهي إنما تريد زوجها لنفسها فقط، كما قالت امرأة من هذا النوع:

**إذا سلمـــتُ أنـــا وبنيـــاتـــي　　　فـالنـار تـأكـل أمـي وخيـاتـي**

وقد يكون أبوها رجل طيب، ولكن أمها هي روضة الدمنة، فقد تكون بنتها مثلها سامجة قليلة المروءة قليلة الخير كثيرة الغير.

كما قال حميدان الشويعر:

**أَخْـــدٌ عنـــده عـــذرًا زينـــه　　　قـــاعـــد وامبصـــط فـــي داره**
**إن جـــاب اشْـــوَيٍّ قنعـــتِ بـــه　　　وإن مـــا جـــا شِيْـــنٌ عَـــذَّاره**
**وَخْـــدٌ عنـــده شيبـــة غـــار　　　انطـــل مـــن عنطـــل جـــواره**
**يسمـــع حِسّـــه مـــن بـالمجلـس　　　تـــزجـــر كِنَّـــه فـــي منطـــاره**
**عســـاك مـــا تبلـــى بـــالعـــاقـــه　　　أجـــارك ربـــي بـــاجـــواره**

والنَّطِلْ هو: السرق في لغة بعض العامة، وهي: لغة رديئة، وعنطل حرامي كثير السرق، كما يقال: (فلان يسرق الكحل من العين).

الحاصل أنهم وصفوا هذه المرأة بما تستحقه، فهي قد لا تؤمن على مال ولا على دين، ولا على عرض، ومع ذلك هي جوارة: أي (جَزّاعة) فلا تصبر على بلوى ولا تشكر على نعماء، نعوذ بالله أن نبتلي

بمثلها، وهي العاقة، فالشاعر يحذرك أن تميل إلى هذا النوع من النساء وإن كانت جميلة، ويرغبك في بنت العائلة الطيبة، وإن كانت غير جميلة، فأحرى أن تكون عاقبتها خير، وتُعْرَف خِيْرَتها بخيرة عائلتها، والتوفيق بيد الله سبحانه. (انتهى).

* * *

# كعب الشيك

كعب الشيك أسهل شيء عندنا، ولكنه يحمل مسؤولية هامة للطرفين. فهو سند إيصال للطرف الأول على الثاني، فلا يستفيد الطرف الثاني منه ويخرج من عهدته إلاَّ إذا ذُكِرَت فيه قيمة الشيك، بأن المبلغ قيمة كذا أو عوض كذا أو تسديد كذا أو صدقة أو إعانة أو مقابل حقوق له ونحو ذلك، أما إذا كان الكعب مهمل لم تذكر فيه قيمة الشيك فقد تنعكس المسألة على الطرف الثاني، فَيُطالَب بإثبات بيان سبب دخول المبلغ عليه أو يُلزم بإرجاعه، وقد جرت بذلك مسألة معضلة وغيرها كثير.

كان رجل ذو أعمال وأشغال ومداخلات، وكان له صاحب يقضي كثيرًا من أعماله وأشغاله ومشاركاته. فالطرف الأول يعطي الطرف الثاني حقوقه وأشغاله بشيكات مهملة الكعب، حسب الثقة مع بعضهم، واستمروا على ذلك نحو ثلاثين سنة. ثم توفي الطرف الأول، فقام وُرَّاثه وجمعوا كعوب الشيكات التي باسم الطرف الثاني، بمبلغ أكثر من مليونين. ثم سألوه إثبات بيان دخولها عليه؟، فأجابهم بأنها معاملات قديمة منتهية بوقتها، فلم يقنعهم هذا الجواب، فأحضروه لدى القاضي يطالبونه بذلك، فسمع القاضي دعواهم، وأمر بقراءة الكعوب عليه

وضبطها، حتى أتى على آخرها وإذا فيه «وهذا المبلغ هو آخر حساب بيننا وبينه» فانتهت المشكلة بذلك والحمد لله.

كذلك: رجل آخر له مساهمة في إحدى المؤسسات، وقد انهارت المؤسسة، وقامت لجنة بإحصاء أعمال المؤسسة، فوجهوا خطابًا للرجل «وجدنا بالحسابات أنك استلمت شيكًا بمبلغ عشرة آلاف ريال: يلزمكم بيان ما هي قيمة هذا المبلغ أو إرجاعها لحساب المؤسسة»؟. يقول الرجل: قد نسيت استلام هذا المبلغ حيث قد مضى مدة.

أقول: فماذا عليك لو تأكدت من إثبات بيان قيمة الشيك بالكعب قبل استلامه؟. (انتهى).

* * *

# ملامح عن تغريبة بني هلال

تتنوع الأخبار عن بني هلال بسبب كثرة ما جرى لهم من الوقائع والأحوال: فكلٌّ يذكر ما يعرف من ذلك، وكانوا متوزعين في نجد: لكن إبَا زيد وقومه يربون شرقي القصيم حول الصريف: فأجدبت عليهم البلاد سنين متتابعة فهزلت مواشيهم وضعفت قواهم، فسافر إبَا زيد ورجال من قومه يريدون يرتادون لهم بلادًا خصبة ينتقلون إليها عن هذه المجدبة، فوصلوا إلى بلاد المغرب، أو خضرا وتونس، فوجدوها خصبة صالحة لهم، لكن حاكمها الزناتي، وابنته الصُّفَيْرا كانت تعمل على التنجيم فأخبرته عنهم، فتطلبهم وقبض عليهم وسجنهم، لأنه عرف أنهم رواد، وسوف يأتون بقومهم يزاحمونه في بلاده، (والحزم لو قتلهم حين خافهم وقبض عليهم: لما حصلت عليه هذه المشاكل منهم، وأخيرًا قتلوه وأخذوا بلاده؛ وفي المثل: إقطع رأس يموت خبر).

وكان أبا زيد أسمر اللون فظنوه عبدًا خادمًا لهم، لكن الصفيرا عشقت شابًا معهم جميلاً، فبدأت تسعى في تحصيله، وقد عرفت أن أبا زيد هو زعيم ربعه لا عبد: فقالت لابا زيد إنْ أنا أطلقتك تذهب وتأتي بجماعتك وتغلبتم على أبي: فهل تزوجني هذا الشاب؟ قال نعم

فذهبت لأبيها وقالت: إن هذا عبد معهم، وسجن العبد الخادم عار علينا، فقال أبوها الزناتي: إني أرى أوصافه أوصاف الشجاع المحارب وإن كان عبدًا لأني أرى:

**رجليه فِحْج من ركوب الخيل وايديه من هز الرماح اكبار**

فجعلت تجادل أباها لتعمي عليه شأن إبا زيد ليطلقه: قالت:

**رجليه فحج من ركوب الرحا وايديه من لط العجين اكبار**

تعني أن هذا من عمل العبد الخادم المملوك (الطحن على الرحا والخبز والطبخ، فلماذا يسجن إذًا؟. فما زالت تراجع أباها حتى أطلقه، وأطلق معه عزيز بن خاله أحد رفاقه، فركب إبَا زيد وصاحبه ورجعوا إلى أهلهم في نجد. وفي طريقهم وردوا على بئر معروفة بالضرر، لأن فيها شيء من الغيلان، فمن وردها جرح: ولكن هم كانوا مضطرين للماء، ولشجاعتهم لم يتركوها خوفًا من الكارثة، وكانت البئر لا بد أن ينزل أحدهم يغرف الماء بالدلو، لأن ماءها غير سامت فم البئر.

فاستشار إبَا زيد صاحبه؟ فقال صاحبه أنا أنزل اغرف وأكفيك ما يظهر من بطن البئر: فقال إبَا زيد: وأنا أمتح الدلو وأكفيك ما يأتي من فوق. فنزل عزيز (هو فتى النجود)، يغرف ومعه السيف مسلولاً، وإبَا زيد يمتح الدلو يسقي الناقتين والسيف مسلولاً عنده، فسمع حركة حوله فرفع بصره وإذا شبه حية كبيرة قد أقبلت عليه تطير فرفع السيف بسرعة وضربها به في الهوى فقطها نصفين، ولكن سقط منها قطعة على صاحبه في البئر فأصابته بجرح في أكحل يده، فانفجر الدم: فشق

شريحة من ثوبه وحزم إصبعه بسرعة وهو الإبهام في اليد اليسرى فوقف الدم. ولكن إبَا زيد سأله هل سلم منها أو أصابته؟ وكان تجاوبهما بالشعر، قال:

اسمع عندك يا فتى الجود هَيِّهْ لعلك منها يا فتى الجود سالم

فأجابه صاحبه قال:

لو الله سالم ولا نيب سالم مير انزعني يا قوي العزايم

وكان قد ربط نفسه بالحبل (الرشا)، فنزعه إبَا زيد وأخرجه منها. وكان إبَا زيد يحب أن يموت صاحبه هذا: لأمر سري في نفسه سابق؟ فانتهزها فرصة أن يموت بهذه الجراحة القاتلة: فقال له: فك عصابة جرحك انظر إليه، فقال: إذًا ينفجر الدم في العرق الأكحل فأموت؟ فقال إبَا زيد ما أظن بها شيئًا، ولكنك جبان تخاف من غير مخيف، فقال صاحبه دعني أحفر معك قبري قبل افكها، فقاما وحفرا القبر، فلما انتهى جعل يوصيه بابنه الصغير، بقصيدة مبكية منها قوله:

عن هزرة او نزرة تدعى اقليبه حطاميل

قال فكها ففكها فانطلق الدم فمات فدفنه في القبر، ثم ركب ناقته واستاق ناقة صاحبه وكانت قد ألفت صاحبها ففقدته وجعلت تلتفت خلفها وتحن تريده فغضب عليها إبَا زيد فشتمها وأرجعها وذبحها عند صاحبها، ثم سار وحده حتى قدم على أهله، وإذا هم بحالهم في الجدب والجوع. فَعَشّا جماعته وأخبرهم أخبار سفره، ثم ارتحل بقومه مغربين ومن عارضهم في طريقهم قاتلوه حتى وصلوا بلاد المغرب.

فلما علم بهم الزناتي عرف أن هذا العبد الذي أشارت ابنته الصفيرا بإطلاقه، قد جاء بقومه يزاحمه في بلاده، فقال في هذا شعرًا:

**واخَانَتْ بالصفيرا يوم خانت بابوها ... مـا ذكِـرْ بنـت الا وابـوهـا دلالهـا**

**اشارت بربط القوم واطلاق عبدهم ... وَثِرْ عبد القوم هو حامي اثقالها**

فاستعد لهم بالقتال: فصاروا يلتقون بالقتال كل يوم، وكان الزناتي شجاع قوي، وقد عمل له مخبأ: هو نفق في الأرض، فإذا أرهقته الخيل دخل فيه من هنا على فرسه وخرج عليهم من هناك، إذ خيلهم لا تجسر على دخول النفق فترجع. فأعياهم بسبب هذا المخبأ. فاحتالوا للقضاء عليه، فأتوا النفق ليلاً وعلقوا به كلاليب. فلما التقوا وأثخنوه لجيء إلى نفقه ودخله على فرسه فمسكت به الكلاليب بحلق الـدرع ومضـت فـرسـه مَـرَجًـا فمسكـوه وقتلـوه واستـولـوا علـى البـلاد وأخرجوا أصحابهم من السجن.

وجاءت الصفيرا تطلب منهم تزويجها بمعشوقها؟ ولكنهم قالوا هذه خانت أباها فلا بد أن تخوننا فقتلوها. (أحاط بها عملها).

فيستفاد من قصة الصفيرا هذه، وتقلب الأحوال بها، نتيجة تأخر زواجها، انه يتأكد على ولي أمر البنت أن يزوجها في مستقبل شبابها ويعزم عليها إن امتنعت، حتى لا تزجها الظروف في أمر لا تحمد عاقبته كهذه وأمثالها كثير، لأن وليها أعرف بمصلحتها لتجربته الأمور: وهي حديثة قد تكون مغرورة مغمورة بالنعم فلا شعور لها بالعواقب، ولكن السعيد من وعظ بغيره والشقي من وعظ به غيره.

وقد ذكر ابن كثير في تفسيره سورة النساء، على قوله تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾[1] مثل قصة الصفيرا سواء (للنَّظيرَة بنت ساطرون أحد ملوك الأكاسرة).

فلما استوطن بنو هلال هناك صاروا يتذكرون بلادهم الأولى (نجد) ويحنون إليها: كما في المثل (المربىٰ قتَّال)، وفي ذلك يقول شاعرهم:

**يا نَجد إن جاك الحيا فازْعَجي لي     مـع الطيـر او مـوميـات العـلايـق**
**ثمـان سنيـن مـا هـوى نجـد قطـره     لا مـزنـة غـرّا ولا نـاض بـارق**

قـولـه: مـوميـات العـلايـق: هـي الإبـل (الـركـائـب) المـركـوبـة المسرعة.

قوله: ازعجي لي: اي ارسلي لي خبرًا سريعًا بذلك لأجل ارجع إليك إذا عادت أحوالك الأولى، (هو يسلي نفسه بذلك). (انتهى).

* * *

(١) سورة النساء: الآية ٧٨.

# حجـرف

حجرف الذويبـي، أمير من أمراء العرب من خيارهم، شجاعة وكرمًا ومروءة وحمية، ونفعًا متعدي للغير، وصبرًا وجلدًا إلى غير ذلك من مكارم الأخلاق. جاء يومًا سائرًا في البر، فمر في طريقه على غنم ترعى، وإذا معها بنت جميلة أعجبته جدًّا، فسأل عنها، فإذا هي بنت فلان، يعرفه (هيس، ويقال عفن)، ليس من أكفاء حجرف، ولكن جذبه جمالها، إلى أن عرج على أبيها وخطبها منه، فأجابه أبوها وأعطاه إياها، فواعده ومضى حجرف في شأنه فلما فرغ، قرن ناقتين من إبله، يريد يبيعها للتجهيز، فركب ذلوله وأمر عبده (خادمه) يسوق الناقتين معه حتى وصل أباها، فقام الرجل وذبح شاة للغدا وعمل قهوة، وفي تلك الساعة، أتى إليهم درويش يريد يضيف عند أهل البيت. وفي ذاك الوقت كثير وجود الدراويش، وهم من نوع العجم، يتطرقون الجزيرة يمشون على أرجلهم كأنهم يتطلبون المعيشة ويريدون الحج، فلا يهتم لهم الناس، يظنونهم شبه بهائم، وهم بخلاف ذلك، (بل هم شبه صحافيون وجغرافيون، ومؤرخون وغير ذلك، فيرجعون بأخبار الناس إلى دولهم).

والمقصود أن صاحب البيت لما رأى الدرويش قارب وصول

البيت، قام إليه ولقيه وقال له: اجلس هناك تحت الشجرة، فقال الأمير حجرف: خله يجيء في ظل البيت، فجلس معهم في ظل البيت وصب له قهوة، فلما جهز الغدا وأحضره للأمير وخادمه، أخذ صاحب البيت عيشًا في إناء صغير ووضعه عند الدرويش وقال: هذا غدائك كله، فقال حجرف: (لا) خله يجيء يأكل معنا، فقال المعزب: يكفيه هذا، فحلف حجرف إنه ما يأكل حتى يحضر معه الدرويش، فدعاه وأكل معه فلما انتهى الدرويش من الأكل قال: إيْه:

**يعطي العطا مَنْ كان ضارٍ للعطا ويمـن العطـا مـن كـان خـالـه لاش**

**ومِـنْ لا يُعَـرِّبْ نَيْسِبُـه قبـل وَيْلِـدُه يــذهــب عليــه الــولــد بيــلاش**

ففطن لها حجرف، وقال في نفسه، هذه موعظة حاضرة، فأنا الآن آخذ بنت هذا الرجل من أجل جمالها، ويمكن أن يأتيني منها أولاد مثل أبيها. فانثنى عزمه عنها، وقال لعبده: فُكْ قِرَانَ الناقتين وخَلِّها تهرب نريد نرجع. فقام الخادم وفك الحبل (القران)، فانفلتت الناقتين وركض في إثْرها وهربت، فقام حجرف وقال للمعزب: نريد نطلب الإبل هربت وسوف نرجع، فركب حجرف ذَلُولَهُ وتبع خادمه ولم يرجع.

وتعريب النسب هنا هو: طلب بنت العائلة الطيبة، لا أنه تعريب الأصل فقط، وكلام هذا الدرويش، يدل على غزارة معرفته، وأنه يحمل أفكارًا أكثر مما يتصوره الناس. (انتهى).

* * *

# تعريف قاعدة

يأتي في بعض ألفاظ الشعر أو النثر ذكر الخلب والتخليب: للنفي أو للإثبات، فيقال: (خَلَّبَ أمره) إذا هان واضمحل، أو يقال: (ليس أمره خُلْب) إذا كان أمره مستمر عزيز. ولكن حيث تغيرت بعض الأوضاع الحالية عن الأوضاع الماضية، فإن بعض الناس يخفي عليه معرفة أصل هذه الكلمة.

فأصل الْخِلْب هو: خِلْبُ الشاة، فإذا ذبحت شاة سمينة وجدت في بطنها بين أمعائها حول كرشها، قطعة من الشحم مفروشة، هي وصلة كبيرة متماسكة تشبه الخرز المرعوص، يعرف (بالخلب) ويعرف بالمربض، ثم وصفوا به بعض السحاب تكون في أول منشأها مخيفة، مفرحة، فيها رعد وبرق متواصل ورباب ومنظر مخيف، فاجتمع فيهم الخوف منها، ورجاء مطرها لشدة حاجتهم إليه وإشفاقهم لمادة حياتهم، فبينما هم ينتظرون وصولها إليهم، إذ هانت وخف رعدها وبرقها فسكن، وقلص مطرها ومزنها، وأخذت تتمزق وتتمايز ويتفتق غيمها قطعًا قطعًا متماسكة شبه خلب بطنِ الشاة: فيقولون: خَلَّبَت السحابة، يعني فلا رجاء بمطرها حين خلبت هكذا، ثم صاروا يصفون بعض الأمور بهذه السحابة، نفيًا وإثباتًا: فبينما هم ينتظرون نجاح أمر

وظهور نتيجته، إذ هان واضمحل؛ فيقولون: (فلان خلب أمره)، (فلان خلبت سحابته)، أو يقولون: (فلان لم يخلب أمره)؛ إذا كان عزيز قائم كالسحابة المستمرة في عزمها ومطرها. (انتهى).

قيل: (لا تفرح بسرعة قضية أمك مِنْ على الرحا: تراه مِنْ قِلَّة ما معها): يضرب مثلاً إذا كان إبطاء الأمر أكثر منفعة.

نخوة المسلمين في القتال إذا تصافوا مع خصمائهم في المعركة، قالوا:

هبّـــــت هبـــــوب الجنَّـــــة      ويـــــن انتـــــه يـــــا بـــــاغيهـــــا

فيقوي عزمهم بذلك. (انتهى).

* * *

# ومن نوادر جحا

قيل: كان جحا يدعي أنه مهبول، ويركض في الشوارع مع الصبيان، راكبًا على عصا (جريدة) كأنه على فرس، فلما أراد أخوه أن يتزوج، قالت له أمه: شاور أخاك جحا، فقال: كيف أشاور مهبول؟ فقالت: لا بد من شوره، فذهب إليه ووقف له في الطريق حتى جاء والصبيان، أشار له فوقف، فشاوره على الزواج فقال جحا: (أحذرك عن الحَمَص والرَّمَص وبيت القطيعه، وزل عن درب الفرس) ثم انطلق جحا وصبيانه في طريقهم. فرجع أخوه إلى أمه يلومها، فقالت: وماذا قال لك؟ فأخبرها بما قال، فقالت: ما ورا هذا شيء؟ هذا هو غاية النصح، وسأخبرك بمعنى قوله، أما الحمصا فمعروفة، وأما الرمصا فهي: المرأة التي ليس لها رجال يأخذون حقها ويلزمونها بالحق، ومن عادة الناس أنهم يرغبون المرأة من أجل رجولة رجالها، لا من أجل جمالها فقط، كما قال بعضهم: حين ذكر مفاخر قومه، وأنهم أهل رجولة وشجاعة وكرم، وأهل عزم وصبر وجلد، وأنهم يغزون ويكسبون غنائم، ويصف طريقهم في ذهابهم للغزو ورجوعهم منه فقال:

**مـا دام مظهـر مسـرح ومـرواح　　تعـرس بنـا الشينـه وكـل خطبهـا**

يعني يرغبون بناتنا من أجل رجولتنا ولو كانت شينة.

وأما قول جحا: أحذرك عن بيت القطيعة، فهي المرأة التي لا تحب قرابة الزوج وأمه وأبيه وعانيه، فهي إنما تريده لنفسها فقط، فهي لا تعينه على خير. (انتهى).

* * *

# جار الخير وجار السوء

قال شاعر:

يلومونني أن بعت بالرخص منزلي ولـم يعلمـوا جـارًا هنـاك ينغـص
فقلـت لهـم كفـوا المـلاح فـإنمـا بجيـرانها تغلـو الـديـار وتـرخـص

وأنت تستطيع تعرف الفرق بين الجيران، إذا كنت تتنقل بمسكنك أنحاء البلاد، فتجد بعض الجيران على جاره حصاة محيفة، فتسأل الله أن يعجل زواله ولا يكثر أمثاله، قال المهادي:

الأجـواد إيـلا قـاربتهـم مـا تملهـم والأنذال إيلا قاربتهم عفت ما بها

ولهذا قيل: (العداوة في القرابة، والحسد في الجيران، والمنفعة في الإخوان)، والإخوان: هنا هم أصدقاء الصدق.

قيل: (فتش بدارك قبل تتهم جارك).

وقيل: (من صبر على أذى جاره أورثه الله داره).

وتجد بعض الجيران خيرًا لا شر فيه، ويحافظ على حقوقك كما يحافظ على حقوق نفسه. قال شاعر:

أَوَيْ جيـران علـى الكبـد حلـويـن مثـل الحليـب اللـي لـذيـذ شـرابـه

قيل: كان رجل فقير، اضطره الدَّيْن إلى أن يبيع بيته الذي هو ساكن فيه، فعرضه للبيع فاستامه رجل بقيمة، فقال صاحب البيت، هذه قيمة البيت، ولكن جاري فلان بكم تشتري جواره؟ وكان له جار يقال له بسام، ولكن المشتري لم يعرف شيئًا عن هذا الجار، فقال أنا أريد أشتري البيت، وأما الجار فهو جار من جملة الجيران؟ فقال صاحب البيت أنا جاري أغلى عندي من بيتي، فعلم البسام بكلام جاره فأعطاه قيمة البيت، وقال: هو لك اسكن فيه ولا تبعه.

وهكذا بعض الجيران لجاره، كما قال الشاعر:

ونكـــرم جـــارنـــا مـــا دام فينـــا ... ونتبعـــه الكـــرامـــة حيـــث مـــالا

وقال النبي ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» الحديث متفق عليه عن عائشة وابن عمر رضي الله عنهم.

وقال أيضًا: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره» الحديث متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال ابن الوردي:

دَارِ جَـــارَ السُّـــوءِ إنْ جـــارَ وَإنْ ... لَـمْ تَجِـدْ بُـدًّا فَمَـا أحْلـى النُّقَـلْ

وقال شاعر نبطي: يقال له العنزي النجدي شعرًا:

دارٌ بهـا الحقـرآن مـا هـي لنـا دار ... إيلا صار ما نَرْجِيْ ذَرَاها ورِيْفَه
يـا مـزنـة غَـرّا مـن الـوسـم مِبْدَار ... ألّلـي جـذبنـا مـن بعيـد رفيفـه
يـرعنهـا قطعـاننـا سـر وجهـار ... تسمن بها العرّا النشاش الضعيفه
وتسمن بها وضحًا مِن الْهِجِن معطار ... غَبّـاقـة الخطـار عجـل عطيفـه

يبني سنامه بنية الطين لا جدار عقب الضعف راحت ردوم منيفه
والجار لابده مقفٌ عن الجار وكل يعد اللي جرى من أليفه
أخْدٌ على جاره بختري ونوار واخْدٌ على جاره حصاة محيفه
نَزْفَا خَمالهْ رَفْيَتْ العش بالغار ونُوْدِعْ له النفس القوية صخيفه
حتى والله مع ذا كُله لنا كار عن جارنا ما قَطْ نِخْفَ الطريفه
ولا نبدي الخافي إيلا صار ما صار يفلج قصير البيت لو بان حيفه
خَطْوَ الولد مثل البليهي إيلا ثار زود على حمله نقل حمل اليفه
وخطو الولد مثل النداوي إيلا طار صيده من الجزلات ما هي ضعيفة
وخطو الولد يسكت على موتة النار صِفْر على عود تَضُبُّهْ كِتِيْفِه
وخطو الولد يا مال قصاف الأعمار لا نافع نفسه ولا منه خيف
وخطو الولد يحدث على كبدك امْرار هذاك وِدِّكْ يَقْطَع الله شفيفه

(انتهى). وهاك إيضاح بعض كلماته:

(دار بها الحقران ما هي لنا دار)، يعني: لا يسكن بجوار أناس يحقرونه ولا يقدرون كرامته (المرنة الغرا) هي: السحابة، (من الوسم مبدار) يعني جاءت في أول وقت المطر، (رفيفها) هو: برقها ورعدها، (يَرْعَنَّها قِطْعانِنا سر وجْهار، القطعان هي: رعايا الإبل ترعى الربيع النابت من مطر هذه السحابة الغرا البيضاء (البهية)، والإبل بعضها مِعْطار وبعضها عَرّا فالمعطار هي: التي تسمن سريعًا إذا أكلت علفًا طيبًا، والعَرّا هي: بطيئة الرَّد: أي السِّمَنْ ولو أكلت جيدًا، كما أن هذه الصفة توجد في سائر الحيوان، حتى بني آدم فبعضهم سريع السمن، وبعضهم نشاش دائمًا، ولو أكل جيدًا. الوضحا هي: الناقة البيضاء،

والهجن هي: الإبل، كما قال الشاعر:

**يـــا لْهِجِـــنْ يـــا طبـــات الفـــال كـــم مـــن غـــريـــب تـــودنـــه**

(غَبّاقِة الخطار)، الخطار هم: الضيوف، (والغَبُوقُ) هو: الحليب (اللبن) يشرب بالليل بدل العشا أو معه، وكان العرب يَجْتَزُون على الحليب واللبن وقت الربيع (وقت تواجده عندهم) ويكفيهم عن الطعام، بسبب قلة الطعام عندهم، (عجل عَطِيفَهْ) يعني أنها: مباركة يحلبونها لهم وللخطار، ثم يأتيهم أيضًا خطار فيحلبونها في وقت متقارب وتعطف عليهم (أي تَدْرُ)، فهي مباركة ودائمًا تحت اللزوم ولا تعَيِيْ ولا يضرها. وهو يقصد بهذا المثل: بعض الناس وبعض الجيران، فهو كثير الخير، قليل الغير، ويعني به جماعة نزل بجوارهم فأكرموه، وصاروا خيرًا له من جيران لا يكرمونه.

والجار لا بده منتقل عن الجار، فيذكره بِخَيْرٍ أوْ بِغَيْر، (والبختري) هو: العشب الطيب في البر، (والنوار، هو: الزهر، (العش) هو: وكر الطيور، (الغار، هو: كهف في أثناء الجبل أو في أسفله، تفرخ فيه الطيور، (الكار) هو: السَّلْم والعُرْف والعادة) فمن عادتهم؛ إكرام الجار ويعطونه من الطريفة، ولا يخفونها عنه كالجار الردي مع جيرانه، و (الطريفة) هو: اللحم، وكانوا لا يحصل لهم إلاَّ بعد بطء، فإذا حصل لهم صار طريفه (والطُّرْفَةُ) هي: ما يُفرح به بعد بطء وقلة.

(والبليهي) هو الجمل الطيب، (ثار) أي: قام من الأرض حاملاً حِمْلَهُ كاملاً، وحين عجز الجمل الثاني عن حمله، وهو إلْيفُهُ أي

(صاحبه) فحملوه عليه أي على الجمل البليهي الطيب، فحمله مع حمله هو، ومثله الرجل الطيب والولد الطيب، يتحمل بعض الأمور لغيره عند الحاجة، عمن عجز عنها.

(والنداوي) هو: الطير الصقر الحر الطيب، (إيلا طار) أي: ذهب يتطلب الصيد في البر فيتجه إلى صيد الطيب، السمين من الصيد، ولا يلتفت ويقصد الصيد الضعيف الهزلان الردي، لعزة نفسه وعلو همته، ومثله الرجل والولد الطيب لا يقصد رديء الأمور وصغارها، لعزة نفسه ورفعة قدره، لأن (كل إناء بما فيه ينضح) بخلاف من هو يسكت على موتة النار، أي ليس له عزم يتصرف في خيار الأمور، فهو مثل الحديدة تُجْعَلْ كَتِيْفَةً تَضُبُّ العصا عن الانكسار فقط، ومثله الذي لا ينفع نفسه، ولا يحمي غيره فلا يُخاف منه، وأخيب منه مَنْ هو يحدث على كبدك أمرار، أي (أمراض) بسبب قلة خيره وكثرة غيره. فهو مشؤوم مبغوض. (انتهى).

قيل:

صديق ما ينفع على حد ضيقه      كل إذا جاد الزمان يجود

وقيل: (يوم الصرام كل كرام) والصرام هو جذاذ النخل. (انتهى).

* * *

## ضعيف الهقوة من الناس

(الهقوة هي: الحزم والعزم) لكن عند الردى تكون ظن خاطىء.

قال الشاعر:

لا تـأخـذ الـدنيـا خْـرَاصٍ وهَقْـوات　　يقطعـك مـن نقـل الصميـل الْبَـرَادِ
إن كان لِكْ هَقْوَة فلناس هقوات　　اوْلا إذْكِـرْ وادٍ سَيلُـهْ إيْفَيِّضْ ابْـوادِ

والصميـل هـي: (القِـرْبَـةُ) يحملـون فيهـا مـاء إذا ذهبـوا للبـر لشؤونهم، ولكن بعض الناس ضعيف الهقوة (الإرادة)، فإذا أصبح وهو يريد يذهب للبر ونظر إلى الجو وإذا عليه غيم وَطَلٌّ وظِلال وبراد، ترك حمل الماء، وقال ما نحتاج الماء (اليوم براد)، ثم يمضي في شأنه، فإذا كان وسط النهار وانجلى الظِّلال (الغيم) وتظهر الشمس ويذهب البراد فربما يهلك ظمأ، كما يقولون: (الشتا يبغي صميل والقيض معك علمه)، والصميل هي: قربة الماء، ومثله الاستعداد بالشتا للبرد والمطر والرياح. كما يركب بعض الناس سيارته الآن، ويذهب لبعض شؤونه، أو يسير في طريق وهو لم يأخذ أُهْبَةً واستعدادًا لو حصل على سيارته عطل، فهذا ضعيف الهفوة من الناس.

وفي المثل: [الشتاء وجه ذئب] يعني لا تدري متى يفاجئك

بشره، ويضرب بهذا مثلاً لمن يهمل الاحتياط في الأمور، ويعمل على حسن ظنه، فربما تأتيه الأمور على خلاف ما ظن:

**ولكن اضرب حساب الأمور بالاحتياط فإن سلمت فما في الحزم من بأس**

وكذلك من يُحَسِّنْ الظن في بعض الناس، ويقول فلان صديقنا، فلان نستحي منه، فلان مأمون، فيترك الإشهاد في العقود، وإنهاء قيد توصيل الفلوس، أو الإشهاد في البيع والشراء وغيره، أو الاشتراط وإيضاح ما يلزم إيضاحه ويحتاجه عند اختلاف الأمور وتغيرها، وما أسرع التغير والاختلاف في هذا الزمان، وإذا ما احتاج ذلك فالحزم لا يضر، وأكثر الناس يأتيك بصفة صديق، وهو إنما يتعرف كيف يَمْتَصْ دَمَكْ ويَحْلِبْ خِلْفَكْ. (انتهى).

* * *

## مرغوب النساء من الرجال ـ والهزب

هناك امرأة نشزت عن زوجها، وحصل بينهما نزاع وخصام:

فتمثلت بقصيدة تهجوه بها: منها قولها:

**لا هـوب كـريـم يجـي لـه مسـاييـر ولا فارس نصبر على شين ريحه**

والمسايير هنا، هم الذين يأتون إلى الإنسان الطيب بدون دعوة، فيقوم لهم بالإكرام بما يناسب الحال، إما قهوة وما يتبعها، أو قهوة كذلك وطعام الضيافة، كما قال بعضهم:

**أَسَيِّر على اللي ما يخفى الدباره وبـابـه دايـم للمسـاييـر مفتـوح**

فهذا هو الطيب، (والدباره هي السكر) يعني الشاهي، وكانوا يخفونه من قلته.

أمـا الطيـب الآخـر: فهـو الفـارس الشجـاع، الـذي يحميهـم مـن الأعداء، فيعرفون له فضله، وكانت النساء لا ترغب من الرجال إلاَّ من به واحدة من اثنتين، إما الكرم وإما الشجاعة، كما يقولون إذا أرادوا هزب الإنسان قالوا: (أخس ما فيك من الثنيتين وحده؟) يعنون الكرم والشجاعة.

وريح الفارس إنما يظهر إذا استهاش، وكل الرجال يظهر لهم

أصنان إذا استهاشوا: كما يقولون (فاح أصنانه) يعني غضب: ولا تكرهها النساء، حيث كانت تنشأ حالة الشجاعة وتزول حالة الرخاء: وحتى فحول الحيوان يظهر لها أصنان إذا استهاشت.

وكذلك الخيل تعرف رائحة أصنان الفارس الشجاع، لأنها قد اعتادت ذلك حالة الركوب عليها للحرب، فإذا شمت أصنان الرجال عرفت أنه حضر الطراد، فاستهاشت وانتصبت وتشوقت، لأنها جبلت على حب الشجاعة والطراد.

أما الهزب: فهو وصف الإنسان بالردى، ليأنف منه فتثور حماسته وتنبعث شجاعته ويحدوه الهزب فيقوم بما يراد منه. ويقابله النخوة، هي وصف الإنسان بالجودة والتفوق، فتفرح نفسه وتقوى، فيقوم بالمراد منه.

كان رجل يجذب صاحبه من البئر بالحبل، فعجز وخاف أن يسقط صاحبه في البئر فقال: (تراك طِحْتَ يا رجل لكن إنْخَنْ) فصاح ذاك: آه تَكْفىٰ يا فلان خويك، آه. فاستهاش هذا وثار عزمه وجذبه بقوة حتى قذفه خارج البئر.

فمن نوع الهزب قول الشاعر هناك: يهزب نفسه وأعوانه، ليهيجهم على الانتصار وأخذ الثأر، حيث تنازع هو وبنو عمه على الأمارة والحكم، فتغلبوا عليه ونَحَّوْه عنه، فقال:

بـــالله يــاللــي فــوقنـــا معتلينـــا　　　حنـا ومـن يـرجى نـوالـه إحْـذانـا
مِن عِقب ما نادى الخلايق ودينا　　　اليـــوم لـــو يـــأتـــي سفيـــه وِدَانـــا

وعقب ما ناطا الخلايق اوطينا — اليوم بالحذيان كل وطانا
يا البيض عَدِّنْ الْمَلاثِمْ علينا — عدن ملاثمكن وخوذن الحانا
وحطن مفاتيل الذهب في ايدينا — وتقلدن اسيوفنا يا نسانا

المعاني:

قوله: إحْذانا: أي غيرنا: قوله نادى الناس: أي نحكم عليهم: أودينا: أي حكم علينا: الملاثم هي غطأ الوجه للمرأة، كالبرق، والشيله وغيره: قوله عَدِّنْ الملاثم علينا، أي أعطننا الملاثم مناولة حيث تقاعسنا عن أخذ الثأر: أخ، فهذا من أشد الهزب لنفسه وأعوانه.

وكان الرجال يقومون بصيانة النساء: حميَّة، وغيرة، وحتى لا يلحقهم عار بابتذالهن، ولهذا ينتخي الرجل بأخته فيقول: (أنا أخو فلانة) حيث كانت شريفة فيعتز بشرفها.

## هنا قصة

سار رجل على سيارته ومعه زوجته، في بعض الخطوط الطويلة، فوجد في الطريق صاحب سيارة متعطلة ومعه زوجته كذلك، فوقف عنده يسعفه يصلح له سيارته، فلم تصلح، فأركبهما معه وساروا في طريقهم، فلحقهم أهل سيارة: خمسة رجال من البغات المفسدين في الأرض، يريدون يغلبونهما على المرأتين بالقوة، فجعلوا يضايقونه بالسير ويحدونه ليخرجوه من الطريق، فينتخي الرجل ويقول: ألا أوقف وأنزل عليهم أبطش بهم؟ فتقول المرأة: لا تقف أنتما اثنان وهم خمسة ولكن اعبر واتركهم، ثم إذا لحقوه ولفوا سيارتهم أمامه، تحمس وقال: ألا أوقف وأنزل عليهم أبطش بهم؟ فتقول المرأة؟ لا توقف اعبر

واتركهم، فيلف سيارته عنهم ويسير، فلما سار نحو عشرين أو ثلاثين كيلو متر ولفوا أمامه هذه المرة: قالت المرأة: الآن إن كان تريد تبطش بهم فأوقف؟ فوقف ونزل إليهم فنزل إليه الرجال، فضربهم وضربوه وضربهم وضربوه، فما ضرب هو منهم سقط صريعًا بالأرض حتى تركهم كلهم صرعا، فَكَتَفُوهم وحملوهم في سيارتهم وسلموهم للحكومة ورجال الأمن.

وبعد انتهاء المعركة: قال الرجل وامرأته للمرأة: لماذا لم تشجعيه على الوقوف أول الأمر، وأنت تعرفين هذه الشجاعة عنده، وأخيرًا حَمَّسْتِيه فوقف؟، قالت: إن الرجل في أول الأمر ماستهاش فلو قابلهم غلبوه، فلما شممت اصْنانَه فاح، فقد استهاش، فحينئذٍ سوف يبطش بهم ولا يغلبونه ما دامت به حياة، وهكذا وقع.

قوله: (كَتَفُوهم) كان الناس إذا استولوا على المجرم، أو المعتدي، أو المجنون، كَتَفُوه، بأن يَلْوُوْا يديه مخالَفَةً خَلْفَ ظهره ويربطونها جميعًا بحبل أو بشماغه، حتى لا يستطيع يتصرف وهم يُصَرِّفُونه. (انتهى).

* * *

# من حق رعاية الأولاد

في الحديث «مروا أبناءكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع» رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي.

يعني: ضربًا غير مُبَرِّحْ، أي: غير شديد، تدريجًا، فلا تترك أولادك ينامون جميعًا بعد بلوغهم عشر سنين، ولا تتركهم يدرسون في غرفة جميعًا وحدهم، ولو كانوا إخوة، فقد حصل مشاكل وويلات بسبب هذا الاتحاد، لا يعرفها إلاَّ من قد أصابته أو بلغته أخبارها، ويشهد لهذا قوله: «وفرقوا بينهم في المضاجع». (انتهى).

* * *

## ومن مدخل الشيطان مع الإنسان

ذكر بعض العلماء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (التقا شيطانان ـ شيطان سمين وشيطان ضعيف ـ هزلان ـ فقال الضعيف للسمين: أخبرني لماذا أنت سمين؟ فقال السمين: أخبرني أنت لماذا أنت هزلان؟ فقال: أنا مع قرين من الإنس مؤمن إذا أكل قال: بسم الله فلا أطعم معه، وإذا شرب قال: بسم الله فلا أشرب معه، وإذا دخل بيته سما فلا أدخل معه، فقال السمين: لكن أنا مع قرين من الإنس إذا أكل لم يسم أكلت معه، وإذا شرب لم يسم، شربت معه، وإذا دخل بيته لم يسم، دخلت معه، وإذا جامع زوجته لم يسم، جامعتها معه، وجاء في الحديث الآخر، قال: «لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإنه إن يقدر بينهما ولد لم يضره الشيطان»، متفق عليه.

وجاء في حديث: «إذا خرج الإنسان من بيته؛ فقال بسم الله، آمنت بالله، اعتصمت بالله، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله، تنحا عنه الشيطان، وقال لشيطان آخر: كيف لك برجل كُفي ووُقي وحُمي» الحديث إلى آخره، رواه أبو داود والترمذي وغيرهما. (انتهى).

* * *

# خداع الخطاب

كان سليمان بن داود عليهما السلام، قد علم منطق الطيور والوحوش والجن والإنس، وكان مرة في قربه عصفور يَحْجِلْ حول عصفورة، عادة العصافير وقت التفريخ، وقد أجهد نفسه في الدوران حولها والإقفا والإقبال ونفض أجنحته، فضحك سليمان وقال لمن عنده: أتدرون ماذا يقول لها؟ قالوا: لا ندري، قال: إنه يخطبها من نفسها، ويقول: سوف أجعل لك غرفة من غرف دمشق.

فيقال: هذا من نوع خداع السماسرة، وهم الخطاب. ولهذا قال لي غير واحد: والله ما زوجت أحدًا: إلاَّ رغبة فيما يظهره ويتظاهر به، من السماحة وسهولة الطبع وحسن الخلق والسخاء وغير ذلك، ولكن سُرعَان ما تنقلب هذه الفضائل إلى ضدها، كما يقال: (انقلب ظبينا ضبعة)، وهذا هو الصحيح الواقع من غالب الناس، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله. (انتهى).

* * *

## فـصـل:

## عبادة الله تشريف لا تكليف:

## فانفع نفسك بعبادته فإن الله غني عنك

إن الملـوك إذا حبـوك وجتهـدوا سيجعلـونـك مـن سـائـر الخـدم

يمر بالناس أزمان، والملوك يستخدمون الناس لمصالحهم وأمورهم على أي حالة كانت، أما في هذا الوقت، فقد وهب الله قلب هذه الجزيرة، حكومة آل سعود، يقدرون مكارم الأخلاق؛ فيقدمون الرجل صاحب الدين والعقل والمروءة على غيره لفضيلته، زادهم الله من التوفيق والخير والتمكين.

فالله سبحانه مَلِكُ الملوك وله المثل الأعلى، فإذا أحبك اختارك لعبادته وخدمته، وإذا لم يحبك لم يستخدمك لنفسه ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ﴾(١).

وقد نوه الله بعبودية رسوله محمد ﷺ في أشرف المقامات: فسماه عبدًا في مقام إنزال الكتاب عليه فقال: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ ﴾(٢).

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٢٣.

(٢) سورة الكهف: الآية ١.

وسماه عبدًا في مقام التحدي فقال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾(١).

وسماه عبدًا في مقام الدعوة إليه فقال: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ۝١٩﴾(٢)، إلى غير ذلك، فأشرف مقاماته العبودية لله سبحانه، وهو الإمام لنا والقدوة، فاحرص أنت أن تكون من أهل هذا التشريف، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ۝١٠﴾(٣)، يعني أنه خلقها، وخلق فيها غريزة العقل، وألهمها معرفة طريق الرشد وطريق الغي، فلا عذر لها ولا حجة لها على الله، كما أن كل نفس تعرف مصالح دنياها. قال ابن القيم رحمه الله:

| | |
|---|---|
| فعنـــد مـــراد الله تفنـــا كميـــت | وعنـد مـراد النفـس تُسْـدِي وتُلْحِـم |
| وعند خلاف الأمر تحتج بالقضا | ظهيرًا على الرحمٰن للجبر تزعم |
| تُنَزِّهُ منك النفس عن سوء فعلها | وتَعْتُـــبُ أقـــدار الإلٰـــه وتظلـــم |
| مُطِيعٌ لِداعِي الْغَيْ عاصٍ لِرُشْدِه | إلـــى ربـــه يـــومًـــا يُـــرَدُ فَيَعْلَـــم |
| أهٰذا جَنىٰ العلم الذي قد غرسته | لنفسك في الدارين: جاهٌ ودِرْهَمُ |

وقال أيضًا:

| | |
|---|---|
| هربوا من الرِّقِّ الذي خلقوا له | وَبُلُوْا بِرِقِّ الهوى والنفس والشيطان |

(١) سورة البقرة: الآية ٢٣.

(٢) سورة الجن: الآية ١٩.

(٣) سورة الشمس: الآية ٧ ــ ١٠.

فعبادة الله تشريف لا تكليف، فاستحضر فضله عليك أَنْ هداك لعبـادتـه وتـوحيـده، ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝١٧﴾ [الحجرات: ١٧]. قيل:

كفـى بـك عِـزًّا أَنَّـكَ لـه عبـدٌ        وكفـىٰ بـك فخـرًا أنـه لـك رب

(انتهى والحمد لله رب العالمين).

* * *

# نوع السلاح القديم

أول ما ظهر من السلاح المخترع قبيل وقتنا، هي: البندقية الفتيل: قصبتها طويلة وفي أسفلها خرق بقدر ما يدخل رأس المخيط، وحوله حوض، فإذا أراد أن يعبئها أخذ من الملح المسمى (البارود) نحو ملعقة كبيرة فيضعه في بطن القصبة البندقية، ثم يدخل عليها قطعة من روث الحمار أو البعير، فيدخل عليه صيخًا نحو ست ملي، بطول القصبة، في رأسه حِجْزَةٌ (عُقدة)، ويدق على الملح في بطنها يرصه، ثم يدخل عليه صتم، (هو حجارة صغار شبه الحمص مَرُو أملس ثقيل يلتقط من البر) نحو ملعقتين، ثم يدخل أيضًا قطعة من روث الحمار ويدق عليه بالصيخ ويرصه. ثم يرجع إلى أسفل البندقية، فيملأ الثقب من الملح البارود، ويملأ الحوض على الثقب ويرصه، وفوق الحوض جهاز يشبه الملقاط، مقابل الحوض، فيأتي بعود برأسه نار فيضعه في الجهاز الملقاط، مقابل الحوض، فإذا أراد أن يرمي وحفظ على الهدف ضغط على الجهاز فتنزل النار على الحوض فيه الملح البارود، فيشتعل نارًا، وتدخل النار من الثقب إلى بطن القصبة فتثور النار وتدفع الصتم أو الرصاص إلى قدام، فيقتل ما وجه عليه.

وإذا كان المرمِي جسمه كبير، مثل سبع أو صيد كبير أو رجال

حالة الحرب، فيجعلون فيها قطعة من الرصاص أقل من التمرة فتدرك أبعد، ولكن في حالة المطر لا تصلح للرمي، لأن المطر يطفىء النار ويفسد الملح، (البارود)، كما قال: (اطلعي يا شمس وخوذي رجال) يعني في الحرب، وكما قال شاعر عنيزة:

**لي بندق ترمي اللحم لو هو بعيد　　ما دوجت بالسوق مع دلالها**
**وطولها خمسة أشبار تزيد　　وملح الجريفي محيَّلٍ يعبالها**
**هذي عنيزة ما نبيعه بالزهيد　　إيلا فَرَّعَنْ البيض نحمي جالها**

ثم ظهرت بعدها المقمع مثل الفتيل، إلاَّ أنَّها تطور جهازها فتثور بدون نار، بَلْ زَنْدٌ يضرب على الملح فتثور، ثم ظهرت أم خمس للحرب، والشوزل للصيد، وبطل ما قبلها. (انتهى).

* * *

## ابن دهيش والذئب

خرج ابن دهيش يتطلب أسباب المعايش، ليعمل عند أهل القرى في المزارع وغيره، فعمل فيما حول المجمعة، فلما قضى شأنه من العمل، رجع إلى أهله في القصيم يمشي على رجليه، فأتى على الزلفي، ولكن حيث كان الطريق من الزلفي إلى القصيم: الشماسية بعيد على الرجلي، مفازَةً ليس فيه قرى، وقد لا يجد أعْرابًا في الطريق يضيف عندهم بالليل، فأشكل عليه العبور فيه. فأقام على الطريق لعله يَمُرُّ بِهِ أَحَدٌ من الجماميل أو غيرهم فيعبر معهم، ولكنه لم يمر به أحد، فعزم على تجشم الطريق وحده رَاجِلاً يمشي، فلما كان آخر النهار وإذا هو في آخر نفود الثويرات، غربًا، فحرص يتطلع لعله يجد عربًا يبيت عندهم، فوجد أثر غنم وراعيها وكلبه، ففرح وتبع الأثر، ثم انفرد أثر راعي الغنم والكلب عن الغنم، فتبع أثرهما، ثم تغيرت الأثر، إذ أن الأثر ليس كلب وإنما هو ذئب يريد يأكل الغنم، وحيث نحاه الراعي عن الغنم انصرف شره إلى الراعي وترك الغنم، وليس مع الراعي سلاح يكافح به الذئب، فالذئب جعل يشاجر الرجل الراعي، ويغير عليه من يمين ويسار، وحين عرف تغلبه على الرجل قصد إبعاده عن الطريق خشية أن يأتي من يغيثه.

فَابْنُ دْهِيش أسرع رَجَاء أن يدرك الرجل يساعده، فلما طلع على نقرة منخفضة وإذا الذئب فوق الرجل يأكل منه، والرجل وقع بالأرض، فرفع ابن دهيش صوته على الذئب ينهره به، فالتفت الذئب، وحين رأى الرجل ترك فريسته وجاء مسرعًا إلى ابن دهيش، ولكن ابن دهيش معه عصا في رأسه حديدة تشبه الفوس الصاطور الصغير يقال له المسيف، ومن عادة السبع إذا فرس أول مرة يستسعر ويقوي بأسه ويغامر، فأقبل إلى الرجل بسرعة وطمر عليه يريد حلقه، فرفع الرجل العصا المسيف وضرب الذئب في وجهه فكسر حنك الذئب، فسقط الذئب على الأرض فكمل عليه بالضرب حتى قتله، ثم انطلق مسرعًا إلى الرجل ليدركه وهو على سقوطه في الأرض، وقد شعط الذئب بطنه وخرجت أمعائه على الأرض وبه حياة حتى الآن، فأحس بوصول الرجل إليه، فرفع رأسه شيئًا ونظره، وقال: أخْس ما امْكَنْتَنْ! ثم مات. فانصرف ابن دهيش إلى طريقه وسار في الطريق، فاستوحش وانخلع، وأقبل عليه الليل وهو لم يجد أحدًا يبيت عنده، فجعل يركض في الطريق شد جهده، وخرج من النفود، ووصل المستوى وغشاه الليل وزادت وحشته فتصورت الشجر أمامه ذئاب ولكن أين المفر، فقطع مسافة (المستوى ووصل الشماسية أواخر الليل، فطرق أحد الأبواب فاستيقظ صاحب البيت، وكان أهل القرى قد اعتادوا طروق الأضياف ليلاً ونهارًا لا يريبهم ذلك ولا يزعجهم، فخرج إليه وفتح له وأدخله وقبس النار للقهوة، وأهله أوقدوا النار ليعملوا له عشاء، فلما كلمه ليسأله عن أحواله ويحادثه ويؤنسه وإذا الرجل مخلوع العقل، فسأله ماذا؟ فأخبره خبره، فقام المعزب

وأحضر له فراشًا ولحافًا ودفئه على النار ورقده ليسكن روعه حتى أصبح وإذا هو قد ذهب عنه الروع وصحا. فعرض عليه المعزب أن يقيم عنده ذاك اليوم؟ فأبى ودعا له بخير وسار لبريدة.

وهذا الرجل أنا أدركته وأعرفه رحمه الله. (انتهى).

* * *

# متفرقات

قيل:

إن الغصون إذا عدلتها اعتدلت ولا تلين إذا كانت من الخشب

يعني أن التربية والتعليم في الصِّغر أنفع ورأسى في الذهن.

وقيل:

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا يشتهي السَّفِنُ

جاء في الحديث: «كيف بكم إذا طغت نساؤكم، وفسق شبابكم، وتفقه لغير الدين، والتمست الدنيا بعمل الآخرة، وأكرم الرجل مخافة شره، وساد القبيلة منافقوها» الحديث إلى آخره. رواه أبو يعلى والطبراني وغيرهما عن أبي هريرة، رضي الله عنه.

وجاء في حديث: «تجدون شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه». متفق عليه، فهذا هو النمام الذي ينقل حديث ذاك لهذا، ثم ينقل حديث هذا لذاك على جهة الإفساد بينهم.

قيل: (اشتر بدرهم وفصل بدرهمين) يضرب مثلاً لإتقان الأمور، كما قيل: (أعط الخبار يخبز لك لو أعطيته نصفه) يضرب مثلاً لمن يتقن لك العمل ولو خسرت له أجرة أكثر.

وقيل: (اطعن يا با زيد والناس تؤدي الخبر).

كما يقول العوام: (الناس العالَمين).

وكما يقولون أيضًا (الناس ما يخفى عليهم شيء) يعني غالبًا.

وكما قيل لرجل شايب: (مَنْ أطيب أولادك؟ فقال: الذي تأتيك أخباره). (انتهى).

* * *

# هنا كلمات عربية لا تنصرف

قـيـل:

رأيــــتُ عَجَبًـــا مُـــذْ أَمْـــسَ مثــــل السعـــالـــى خَمْـــسَ
يـأكلـن مـا فـي رحلهـنَّ هَمْـسَ لا أبـــق الله لهـــن ضـــرس
ولا لَقِيْـــنَ الـــدهـــر إلاَّ تَعْـــسَ . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

وقيل أيضًا:

منـــع البقـــاءَ تقلـــبُ الشمـــس وأفـــولهـــا مـــن حيـــث لا تمـــسِ
وطلـــوعهـــا بيضـــاء صَـــافيـــة وغـــروبهـــا صفـــراء كـــالـــورسِ
اليـــوم اعلـــم مـــا يجـــيء بـــه ومضـــى بفصـــل قضـــائِـــهِ أمـــسِ

وقيل: (القول ما قالت حَذامِ)، قال:

إذا قـالَـتْ حَـذَامِ فصـدقـوهـا فـإن القـول مـا قـالـت حَـذَامِ

كانوا من العرب القدامى، وحذام هي زوجة الشاعر، وسَمِعَت الْقَطَا يطير في الليل، وهي تَعْرِفُ أن القطا لا يطير في الليل ولا يسري، وإنما طار بسبب مزعج. فقالت لهم:

ألاَ يـا قـوم ارْتَحِلُـوا وسيـرُوا فلـو تُـرِكَ القطـا لَيْـلاً لَنَـامِ
فلـولا المـزعجـات مـن الليـالـي لَمَـا تَـرَكَ القطـاطِيـبَ المنـامِ

تعني أنه قد يكون أقبل عليكم قوم كثيرٌ بهذا الليل، فارتحلوا واهربوا لعلكم تسلموا من هذا العدو الذي أزعج القطا في الليل، فأطاعوها وارتحلوا، وأخلوا مكانهم من ساعتهم، وفي الصباح عرفوا وصح ما حذرتهم منه، فلو بَقُوا في منزلهْم لدهمهم العدو، فحمدوها على هذا الذّكاء، فقال زوجها الشاعر:

إذا قالت حذامِ فصدقوها ... فإن القول ما قالت حذامِ

فصار هذا البيت مضرب المثل (القول ما قالت حَذامِ) في الأمر الذي لا ينبغي أن يشك فيه. (انتهى).

* * *

# ومن أقوال علي رضي الله عنه

قال: (الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع يتبعون صوت كل ناعق، لا يهتدون بنور العلم ولا يلجأون إلى ركن وثيق) رواه أبو نعيم في الحلية وغيره.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى على هذا: (فهم يأكلون ما كان، ويضيقون المكان، يغلون الأسعار، ويضيقون الديار، ويشربون الآبار، ولا يُسْتفاد من صحبتهم إلاَّ العار والشنار، يحسبون كل سوداء تمرة، وكل بيضاء شحمة، يحسبون الورم شحمًا، والدواء النافع سمًّا).

وقال علي أيضًا، أو الشافعي رحمه الله:

صن النفس واحملها على ما يزينها ... تعش سالمًا والقول فيك جميل
ولا تـريـن النـاس إلاَّ تجمـلا ... نبـا بـك دهـر أو جفـاك خليـل
وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غد ... عسى نكبات الدهر عنك تزول
يعـز غنـيُّ النفـس إن قـل مـالـه ... ويفنـى غنـي المـال وهـو ذليـل
ولا خيـر فـي ود امـريء متلـون ... إذا الريح مالت مال حيث تميل
جَوادٌ إذا استغنيت عن أخذ ماله ... وعند احتمال الفقر عنك بخيل
فمـا أكثـر الإخـوان حيـن تعـدهـم ... ولكنهـم فـي النـائبـات قليـل

وقال علي رضي الله عنه أيضًا:

| | |
|---|---|
| لا تصحـــــــــــب الأردا | إيـــــــــاك وإيـــــــــاه |
| كـــــــم جـــــاهـــــل أردا | حليمًـــــا حيـــــن آخـــــاه |
| يقـــاس المـــرء علـــى المـــرء | إذا مـــا هـــو مـــاشـــاه |
| وللشـــــيء مـــــن الشـــــيء | مقـــــاييـــــس وأشبـــــاه |
| وللقلـــــب علـــــى القلـــــب | دليـــــل حيـــــن يلقـــــاه |

وقال علي رضي الله عنه أيضًا: (اتق شر من أحسنت إليه).

وقال لرعيته يوم صفين أيضًا: (أطيعوني ما أمرتكم فإنه لا رأي لمن لا يطاع). (انتهى).

* * *

## شاة الخلىٰ مَرْعِيَّة

هذا مثل يضرب لكثير من الأحوال: (والأصل فيه أن الغنم كانت تسرح في البر للرعي، ولكنها تحتاج ملازمة الراعي، ليحفظها عن الذئب وغيره، إذ كان الذئب موجودًا بكثرة ويحرص ينتهب الغنم يأكلها، فإذا نام الراعي أو غفل وثب عليها الذئب فأكل منها: فيحافظ عليها الراعي. ولكن قد تضيع منها شاة، أو تمسكها الولادة وحدها، وتبيت في البر، فيحماها الله من الذئاب غالبًا، فإذا وجدوها بعد ذلك وإذا هي ناعمة آمنة وطفلها يرضع ويلعب، فيقولون: أللّٰه أكبر (شاة الخلى مرعية) يعني يرعاها الله سبحانه، ومثله الطفل يضيع من أهله في البر يحفظه الله من الذئاب والهوام والبرد والرياح وغيره. وقد كانت ولادة النساء سهلة، لا تحتاج معالج ومساعد، حيث كانت أحوال الناس هكذا، فربما تأتيها الولادة وهي وحدها ليس ثَمّ أحد يساعدها، فيسهِّل الله أمرها فتقوم بإصلاح نفسها وجنينها. وهذا من لطف الله تعالى العام لخلقه حتى لا ييئس ضعيف من روح الله، ولا يتألّى قوي على الله، فإن الله غالبًا يعطي الخلق على قدر أحوالهم (إن ربكم لرؤوف رحيم).

## هنا حكاية

هنا امرأة: أتتها الولادة وهي وحدها في البيت، ليس عندها إلاّ إبن لها يافِعًا، فلما وضعت جنينها، أرادت أن تحزم سرَّه حتى لا ينزف الدم منه فيهلك المولود، وهذه عادة لازمة، يحزمونه من فوق البطن بخيط ويقطعون الباقي، فقالت: يا فلان أعطني الدريجة (وهي لفافة خيوط من الصوف المغزول المبرم) فأتى بها فحزمت سر المولود من فوق البطن، وقطعت الزيادة من السر والخيط، ثم أمرته أن يضع الدريجة مكانها، ثم ولدت مولودًا ثانيًا، وقالت: يا فلان أعطني الدريجة، فأخذت منها خيطًا ربطت به سر المولود، وأمرته أن يضع الدريجة مكانها، ثم ولدت مولودًا ثالثًا، فقالت: يا فلان أعطني الدريجة، فالصبيّ استكثر المسئلة فقال: (قِضَتْ الدَّغِيْجَةُ!) يعني: الدريجة وكان الصبي أَلْتَغَ لصغره. (انتهى).

* * *

# حـذاقــة

كان أمير اسمه عُبَيْد، وكان شاعرًا، فوفد عليه رجل شاعر أعمى، فهذا الوافد استأذن الأمير: أن يسمعه قصيدة يمدحه بها لأجل يعطيه جائزة كالعادة؟ ولكن الأمير قال له: إن كان عندك عشرة أبيات فنحن نعطيك مائة بيت يابن رْمَيّان؟ ولكن صار الرجل حاذقًا، فاتخذ من نفس كلام الأمير وسيلة لغرضه فقال:

**إذا صـرت أنـا قَصَّـاد وعبيـد قَصَّـاد ... مـا للعمـى عنـد المفتـح حَـذِيَّـهْ؟**

فقال الأمير عبيد: بلى الآن حصلت الجائزة، فأعطاه جائزة.

وهذا الأمير عبيد هوَ الذي ينسب له المثل المعروف (كُلٌّ عْبِيدٌ بديرته). وذلك أنه حج مرة، وفي طريقه إلى مكة المكرمة أتى على أُناس قد استولوا على الطريق فلا يتجاوزهم أحد إلا يعطيهم إخَاوَةً: وهي ضريبة فلوس يأخذونها منه؟، فقال عبيد لأصحابه أعطوهم إخاوة لأجل يسمحون لنا نعبر الطريق، فأشكل على أصحابه، (كيف الأمير عبيد يخضع لجماعة ويعطيهم إخاوة؟) فقالوا له كيف يأخذون منك إخاوة وأنت: عبيد؟ فقال (كُلٌّ عبيدٌ بديرته)، يعني أن كل أحد سلطان في محله: (هم في بلدهم مثل عبيد في بلده). وهذا يدل على نباهة عقله، أن يعرف كل حق لصاحبه، ولا يغره العجب بنفسه وقوته. (انتهى).

* * *

## السلام بالإشارة

لا يكفي السلام بالإشارة، لأن السلام بالإشارة هي سلام اليهود، ولكن إذا سلمت على أحد بالإشارة إذْ لا يسمعك، أو رددت عليه السلام كذلك بالإشارة، فلا بد من النطق بالسلام (السلام عليكم) مع الإشارة، والرد (عليكم السلام) مع الإشارة، قاله: شيخنا رحمه الله تعالى. (انتهى).

* * *

# أمثال

جاء في الحديث قال: «ما قل وكفى خير مما كثر وألهى». رواه الإمام أحمد.

قيل: (خير الكلام ما قل ودل ولم يطل فيمل).

قالوا: (جوامع الكلم هو ما قل لفظه وكثر معناه).

والرسول ﷺ قد أوتي جوامع الكلم وخواتيمه.

سئل بعضهم: لماذا كانت العرب توجز؟ قال: ليحفظ عنها.

قيل: لماذا كانت العرب تطيل؟ قال: ليفهم عنها.

قيل: (من ذاق حلو المكاسب صبر على مُرِّ المتاعب والمصاعب).

وقيل: (من ضَرا للقرص ما قنع بالكسرة).

وعن النبي ﷺ أنه قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» الحديث. رواه البخاري عن عثمان رضي الله عنه.

ومن الأدعية القرآنية: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾[1] الآيات وغيرها.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٢٦.

قيل: لا يشتد حرصك على الدنيا، فإنها إذا أقبلت قادها خيط الحرير، وإذا أدبرت قطعت المحوص، يعني أنها إذا أراد الله لك رزقًا فأدنى سبب يحصلها لك، وإذا ما أراد الله لك رزقًا فلا يحصلها لك الحرص، والمحوص هي: حبال السفن الغليظة. (انتهى).

* * *

## إعمالهم الجهود في تنشئة الأولاد

قيل:

وللبنين حقوقًا لا تضيعها ... خال كريم وإسم غير منعجم

وقيل:

العرق يجذب يا عشيري والألبان ... والحنظلة ما تنتج إلاَّ ثمرها

وكما يقولون: (الخال تحت الوسادة)، يعني أن الخال جذاب.

كما يقال: (من أخذ من قوم تَحَلَّى، وجيهه)، يعني في شبه أولاده بهم، لهذا يفضلون إرضاع الطفل من أمه أو امرأة أخرى؛ أحسن له من إرضاعه المركبات التي لا تعلم حقيقة مادتها، وفي الحديث: «لا تُسْتَرْضَعُ الحمقاء». رواه أبو داود. ومعناه: لا ترضع أولادك من المرأة ذات الأخلاق السيئة فيكسبهم رضاعها أخلاقًا مثلها، وفي المثل (فلان مِسْتَخْوِل) فكيف الرضاع من مركبات مجهولة العنصر؟! فكيف النسب الطيّب أو الردي.

فبعض الناس يكون أصله من عائلة لا تعجبه هو: لرفع همته إما في الشجاعة، أو في المروءة، أو صلة الرحم، أو غير ذلك من الخصال الطيبة المقصودة للأولاد، ويريد أن يرفع مستواه وأولاده، فيقصد

التزوج من أسرة معروفة بهذه الخصال أو بعضها على الأقل، فربما جذب أولاده عرق الخال.

كان رجل لم تعجبه أسرته في الشجاعة، فاختار أن يتزوج من عائلة هناك ذات شجاعة وخصال يريد لأولاده مثلها، وإذا أحد رجال ذيك العائلة له ابنة عمياء أو مقعدة، فذهب الرجل إليه وخطبها منه، فقال أبوها: إنها عمياء، فقال الرجل: إني أعرف أنها عمياء ولكن أنا أريد أقبس من نارك (يعني من شجاعتك ورجولتك) فقال أبوها: لا بأس إذا كنت تريد ذلك، فزوجه إياها: فولدت له أولادًا على ما يتوقع قد جذبهم عرق الخال في الشجاعة والرجولة.

وأمثال هذه القصة كثيرة معروفة في الناس. (انتهى).

* * *

# قصة أخرى في الأولاد

جاء شاب من بلد هناك، فاستوطن إحدى القرى هنا، وفتح له دكانًا يتجر فيه، وكان الناس ذاك الوقت قليل، والحركة قليلة، والتجارة قليلة، وإذا أراد الأمير يجهز غزوًا أمر بجمع الفلوس من الناس، فكل رجل يدفع ريالاً مثلاً، وأخبرني رجل ثقة عن أبيه يقول: أتتنا فَضِّيَّة الإمارة ثمان مرات بيوم واحد: (فمرةً يطلبون بعير، ومرة شداد، ومرة حبال ومرة قرب الماء، ومرة دقيق، ومرة لبن، ومرة علف مواشي وهكذا.

فأهل هذه القرية أتاهم أمر الأمير بجمع فَضِّيَّة الجهاد، وصادفت الحال أن هذا الرجل الشاب غير حاضر؛ فبقي رياله للغزو لم يدفع، وتطلبوا أحدًا يدفعه فلم يدفعه أحد، فاتفق رأيهم أن يجتمع منهم عدة رجال ويفتحون دكانه جبريًا ويأخذون ريالاً ثم يبنون ما كسروه من الدكان. فكسروه وأخذوا ريالاً وأصلحوه على طبيعته. فلما جاء الشاب وإذا دكانه مكسور؛ فذهب للجماعة وقال: دكاني مكسور فمن كسره؟ فقالوا: الجماعة فتحوه، وأخذوا ريالاً لزمك للغزو، فقال الرجل: عجيب!! أنا جار وغائب وتكسرون دكاني وتنتهكون حرماتي، هلا دفعتم عني الريال حتى أحضر؛ لا أسكن بجوار أناس هذا فعلهم بـي.

فانتقل منها إلى بلدة مجاورة لها فاستوطنها وتزوج ابنة أميرهم فولدت له ابنًا، فقال لها: إذا زرتي أهلك فقولي لأبيك إن ابني هذا يبغي له قطعة أرض زراعية، وكانت عندهم قاعدة معروفة (أنت ومالك لأبيك) وكانت الأرض ذاك الوقت بور قليل فيها العمران فلما قالته لأبيها الأمير خرج هو والرجل وحدد له قطعة من الأرض الزراعية الطيبة، فلما ولدت ابنًا ثانيًا قال لها زوجها: إذا زرتي أهلك قولي لأبيك: إن ابني هذا يبغي له قطعة أرض جنب أخيه، فخرج أبوها والرجل وحدد له قطعة ثانية جنب الأولى، فلما ولدت ابنًا ثالثًا قال مثل ذلك فخرج أبوها وحدد له قطعة جنب الأولى. فاجتمعت أرض صالحة للفلاحة فحفر الرجل فيها بئرًا وغرس فيها نخلاً، وصار النخل يثمر جيدًا واشتهر الرجل بالتجارة، وأكثر تجارته بالتمر، وكبر أولاده، ولكنهم لم يعجبوه بالرجولة. فاستشار صديقًا له قائلاً: ما رأيك في حالي فإن أولادي لم تعجبني رجولتهم، وأنا الآن كبر سني؟ فقال له صديقه: تدارك نفسك وتزوج لك امرأة من أسرة تعجبك رجولتهم، ثم ذكر له ابنة أمير قرية هناك أسرتهم أهل رجولة جيدة، فقبل شوره وأرسل إليه يخطبها، وكان الأمير ذاك أبوها يسمع عن هذا الرجل، ولم يعرفه شخصيًا، فأجاب أبوها على الفور وقال: الساعة المباركة الله يبارك بالبنت التي تقربنا من فلان، فدفع الرجل لهم الصداق وأعطوه موعدًا للدخول (الزفاف) وكانت عادة الناس يقدمون وليمة العرس بعد صلاة العصر. فركب الرجل ومعه نحو عشرة رجال من أعيان الجماعة جنبًا له على الركايب (الإبل)، فلما وصلوهم بعد العصر، تسرقت النساء

الاطلاع عليهم ورؤية الرجل وإذا هو شايب، ولكن بسبب خفة مؤنة النفس لديهم لا تطمع النساء أن تتدخل بشؤون التزويج، إنما هو الأب خاصة لاقتناعهم بوِلايته وكفايته، ولكن حيث أشكل عليهنَّ الأمر قلن للأب إن الرجل شايب فماذا ترى؟ فقال الأب: وأنا أشكل عليّ حين رأيته شايبًا، لأني لم أكن أعرفه شخصيًا، ولكن سوف أعمل حيلة للتخلص من المسألة، وكانت عادة الناس لا يعقدون مِلكة الزواج إلاّ ليلة الدخول، وكانت عادتهم يشترطون على العقد ريالاً يسمونه مهرًا، فيقول أبوها للزوج حيث يأمره العاقد بذلك: (زوجتك ابنتي فلانة على صداقٍ كذا وكذا، أو على ريال وشيمة رجال) ثم يقول الزوج: (قبلت هذا الزواج ورضيت به على هذا الصداق أو الشرط المعلوم) فيتم العقد على ذلك، والشيمة هنا هي المروءة، ولكن الرجل أبوها اشترط على العقد ألف وزنة تمر مهرًا، تحديًا، ليتنازل هو؛ فالمطوع العاقد استعظم المسألة وقال كيف هذا؟ فلو اشترطت ريالاً أو ريالين أو عشرة ريالات على الأكثر، ولكن الزوج سكت، وحين رآه الأب ساكتًا، خشي أن يقول نعم قبلت، فاستأنف الأب المسألة وقال: بل اجعلها ألفين وزنة تمر، فعرف المطوع المسألة أنها تحدي فلم يتكلم، فتكلم الزوج قائلاً: (قبلت هذا الزواج على ألفين وزنة تمر مهرًا) فمضت المسألة لأن الأب لم يمكنه نقض المسألة بعد ما تكلم بذلك لأنهم يستعيبون نقض كلامهم إذا تكلموا بشيء، فله عندهم قيمة ثمينة، حفاظًا على حسن السمعة والشرف، حتى النساء عرفن عذر الأب فرضين عنه، وقاموا بتنفيذ العرس فأصبحوا على خير وِآم. فحملوها معه على الرواحل في هودج

(كواجه) فلما وصلوا بيته، أمر العمال أهل الركايب، أن يحملوها في هودجها ويصعدوا بها الدرج للدور الثاني، إظهارًا لكرامتها، فحملوها حتى وضعوها عند باب الغرفة ونزلوا، فعاشت معه بخير وكرامة، وولدت له أولادًا، فلما مات وإذا أولاده منها لم يبلغوا مبلغ الرجال، وأولاده من المرأة الأولى رجال فاستولوا على مخلفات أبيهم ولم يعطوها نصيبها وأولادها من النخل، فأرسلت لأخيها تستدعيه، فركب حصانه وأخذ سلاحه وحضر لديها؟ فأخبرته بالواقع؛ فركز رمحه بناحية النخل وقال: والله ما أشلعه من هنا حتى يقسم نصيب أختي وأولادها: ثم ذهب لأعيان الجماعة وأحضرهم فقسموا نصيبها وأولادها من النخل وغيره، فقام الخال وحفر بئرًا وأصلح سواني نواضح (إبلاً) فلما استمرت تسني هي وأولادها تسقي نخلها وزرعها ركب الخال حصانه ورجع لأهله.

فانقسم أولاد الرجل أسرتان حتى الآن: أولاد المرأة الأولى، وأولاد المرأة الثانية. فصارت الأسرة الثانية تفضل الأولى في جُل الخصال المقصودة.

## هنا محاورة:

يقع هنا حوار للشباب والشابات: مع الرجال الكهول والأشياخ (الشيبان) أولياء البنات؟.

قال الأولون: إن ولي هذه البنت لم يحطها بعنايته حيث زوجها رجلاً شابيًا أو متوسطًا، فإنه لا يجوز تزويج الشابة إلاَّ شابًا؟.

فهذا رأي الشباب في هذه المسألة.

وإليك جواب الآخرين، قالوا: إن الله خلق الخلق وقدر مقاديره بعلمه وقدرته الشاملة: وقسم الأرزاق، وفاوت الأحوال بين الخلق، وقدر السعادة والشقاوة في أمر الدين والدنيا، وشرع للرجال تزوج النساء ثيبات وأبكارًا، واحدة أو مثنى أو ثلاث أو رباع، لما يعلمه من المصالح الغيبية لهم ولهن (وما تدري نفس ماذا تكسب غدًا وما تدري نفس بأي أرض تموت)، هذا من جهة التنظيم الرباني، فليس لأحد أن يعارضه برأيه وقياسه.

وأما من جهة الولي: فمعروف أن كل أحد يَوَد ويحرص على أن يزوج موليته أحسن رجل وأطيبه وأهنئه لها عيشًا ولكن:

**ما كل ما يتمنى المرء يدركه　　　تجري الرياح بما لا يهوى السَّفِنُ**

وقالت امرأة:

**اللي يبينا عيت النفس تبغيه　　　واللي نبى عِجْزَ البَخَتْ لا يجيبه**

ثم إننا نجد بعض الأحوال تنعكس مع بعض الناس؟

فتارة يتزوجها شاب فتصلح الحال وتعيش معه بخير.

وتارة يتزوجها شاب لكن لم تحض منه بالمودة فطلقها فتعوكست حياتها وأحوالها.

وتارة يتزوجها شاب فلم تحض بمودته ونشزت عنه هي وأرادت مفارقته ولو إلى المقبرة فلم يتسر لها ذلك: كما قالت:

لــــوا حـــــلالات يــــا الطيـــــب اللـي ايـلا قلـت مـا بيـك خـلانـي
قل عنك ما هوب أنت يا الخيب حكمـــك عَلَــيْ حكـــم دولانـــي

وقالت أخرى تهجو زوجها الجمال:

لــــواسفــــا بعمــــري اللـــي راح وبنــــــاوتــــــي عنــــــد جمـــــال

والبناوة هنا: هي البكارة، والقصص في هذا كثيرة.

وتارة زوجوها شابًا فمات فبقيت على أولادها بدون زوج.

وتارة تزوجها شاب فماتت هي.

وتارة يتزوجها شاب فيحصل منه أو منها أو منهما معًا ما يوجب أن يتزوج معها زوجة أخرى.

وهذه كلها أحوال معروفة مشاهدة لا تحتاج شرح.

وتارة تزوجها غير شاب، فعاشت معه بخير، وصلحت حتى مع زوجته، وحمدت العاقبة، كما هو مشاهد، فمعوّل الأمر على توفيق الله، للزوجين لاتفاق الطبيعة، والانصباغ بالمودة والرحمة، فلا يضيرها مع ذلك كبر الرجل أو صغره أو وجود زوجة له أخرى أو زوجات، فبقية الحياة تحت مشيئت الله وتوفيقه.

وكذلك الشاب: قد يتزوج ثيبة، فتكون مباركة عليه فتصلح أحواله ويرزق مالاً وأولادًا بسببها، كما شاهدنا ذلك كثيرًا: فتكون أحسن له من غيرها، كما قال الله تعالى: ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبۡكَارًا ۝﴾[1] الآية. فبدأ بالثيبات قبل الأبكار.

---

(١) سورة التحريم: الآية ٥.

وأما البنت المنوه بقصتها آنفًا، يقال إنه تزوجها رجل من الجيران، بعد زوجها وهي في بيتها على أولادها، فلم تخسر من حياتها إلاَّ ما فات من شبابها قبل زواجها.

فهذا حاصل الحوار بين الفريقين، وقد شقى كثير من الشابات بمطاردة هذا الفكر. (وأنا قد مر عليّ هذا الفكر وفوّت عليّ مصالح).

فأنتم أمعنوا النظر بالقضية، واحكموا فيها بما ترونه موافقًا لسنة الله في خلقه شرعًا وقدرًا، ولا تكن مغرورًا برأي لا تدعمه الحقيقة.

## وهناك قصة يحسن ذكرها هنا

كان رجل يقال له أبو ناصر، ماتت زوجته رحمها الله، فتطلب له زوجة، فوجد بنتًا جميلة في عائلة طيبة هناك، فذهب إليهم وخطبها منهم وأكثر لهم الصداق: فرغبوا في تزويجه: لأنه رجل معدود من الرجال، وطمعًا أيضًا في كثرت الصداق. فاستأذنوا البنت ولم يخبروها أنه شايب، فأذنت فقاموا بعمل وليمة العرس، فدخلت على النساء امرأة من نساء الجيران وقت الظهر وصفقت بيديها وقالت اللّهم صلي على محمد يا فلانة؟ نحن نسأل عنك من يأخذك من أبناء الأمراء؟ وإذا هو فلان أبو ناصر شايب ما يعرف يفتح باب السيارة؟ فصفقت البنت بيديها وقالت تكذبين؟، فقالت المرأة إني صادقة وإن الرجال (الجَنَبَ) سوف يأتون بعد صلاة العصر فانظروه، وإذا ما هو على قولي فكل ما سرق في هذه البلد فهو عندي، فلما جاء الرجال (الجنب) بعد العصر، تسرقت النساء النظر إليهم من النوافذ، فلما وقفت به السيارة نزل ابنه ناصر وفتح

له باب السيارة فنزل يتوكأ على عصا. فكثر عند النساء الصخب واللغط، وتحلف البنت أنه ما يدخل عليها ولا تنظره عينيها، ولكنهم استمروا في استقبال الرجال والتهليه والترحيب وتقديم وليمة العرس.

وكانوا لم يعقدوا مِلْكَةَ النكاح حتى الآن، والموعد للعقد بعد المغرب في المجلس إذا ذهب الرجال الزوار يتقهوون عند الجيران.

فلما جلسوا في المجلس للعقد وإذا الأب قد حَزَّهُ الأمر: فجعل يدخل في البيت ويخرج، ويدخل ويخرج، لا يدري ماذا يصنع؟ فعرف الشيخ الأمر فناداه وقال إني أراك قد حزك الأمر فهل النساء أبين قد نقضن الأمر؟، قال: نعم، فقال أبو ناصر: أنا عندي لكم رأي مبارك إنشاء الله، فأنتم الآن قد نثرتم الصداق، ودعوتم الجيران، وحضروا ربعنا الرجال، (الجنب): فأنتم استمروا في دعواكم، وخلون أدخل عليها الليلة، وإذا كان الصباح فهي المخيّره؟ إن بغتني تذهب معي فهو المطلوب والحمد لله، وإذا ما بغتني فأنا أكتب طلاقها وأسلم عليكم وأذهب وأترك الصداق كله لكم؟، فرح الأب بهذا الحل السهل، فذهب يخبر النساء بذلك؟ فقالن: هذا حل بسيط سهل هي تحمي نفسها منه الليلة والصبح تختار فراقه: ولكن أنت اضبط دعواك عليه بالشهود، فأتى الأب وأفهم الشهود بإقرار الشيخ أن الخيار لها في الصباح، فعقد له وأدخله عليها. فيمكن أن الشيخ دعا الله بهدايتها: فأنزل الله في قلبها مودته وبات معها في أحسن وِآم، فلما أصبح قال [وش تقولين الآن يا بنت الحلال، هل أنت تبغينني فتركبين معي، أو ما تبغينني فأنا أكتب طلاقك وأسلم عليكم؟] فقفزت ومسكت ثوبه وقالت (لا) لا تروح إلاَّ

وأنا معك! فنادا ابنه (يا ناصر حملوا القش (العفش)، فذهبت معه وعاشت معه بخير، فولدت منه أربعة أبناء وبنت، ثم مات بقدر لاكبر)، فأسرع الناس إليها يخطبونها، حيث كانت من النساء الخيار: ولكنها لم ترغب الرجال بعده، وقالت والله ما أخرب ريقي عقب أبو ناصر، وإني أرجو أن أكون زوجته في الجنة، قلنا آمين. والقصص كثيرة بمثل ذلك، فلنترك التطويل بسردها. (انتهى).

* * *

# الأولاد رُوّادٌ لآبائهم في القديم

حدّث رجل ثقة، هو موجود هنا حتى الآن، عن نفسه، يقول: كان أبوي يتعاطا بالإبل، وأنا إذ ذاك ولد كبير لم أتزوج. وذات ليلة ونحن نتعشى بعد المغرب، قَبَّلْتُ أحد صبياننا وضممته، وإذا أبوي قد ضاق صدره من إبل عنده لم يجد لها عشاءً، فرفع يده وضربني كفًا جيدًا على وجهي، وقال: أتقبل الصبيان وأنا عندي أربعة عشر بعير لم أجد لها عشاءً؟ قم هالحين اذهب بها بعها في قرى سدير!، فقلت: اذهب بها الصباح إنشاء الله؟ فقال: (عليّ الطلاق من أمك بالثلاث إذا ما ذهبت بها هالحين!) يقول: فقمت وتركت العشاء، وقلت لأخي وكان أصغر مني: امش معي بالإبل! فأبى وقال: ما نذهب بهذا الليل ولكن في الصباح! فقلت: لا نريد أن تطلق أمنا من أبينا: ولكن امش معي وصبر. فبكى ومشى معي وذهبنا وأطلقناها، وركبناها، سرنا نريد قرى سدير على طريق الشماسية... الزلفى، ولكن لما وصلنا الضاحي خارج البلد، طلع القمر في وجوه الإبل فجفلت الإبل (نفرت) فجعلنا نطاردها، وما مسكنا من بعير عقلنا يده وذهبنا نطارد غيره، فعقلناها كلها إلاَّ جملاً غلبنا وهرب. فرجعت للبلد أركض على رجلَيْ لأخبر به أباي. فلما وصلته، قال: وراك رجعت يا الرخمه يا ولد المره (المرأة)

يا كذا يا كذا، فقلت: لما وصلنا الضاحي جفلت الإبل، فطاردناها ومسكناها كلها إلاَّ الجمل الفلاني قد هرب، قال: أين ذهب؟ قلت ذهب شمالاً، فقال: روحوا وخلوه. فرجعت إلى أخي وركبناها وسرنا عليها تمشي وترعى من الشجر، ليلنا ونهارنا؛ وصلنا الشماسية المغرب وضفنا عند رجل نعرفه كان يشتري منا إبلاً، فلما تعشينا قلنا له إننا نريد نسرى ولكن ساعدنا على الإبل حتى نطلعها من فوق الجال (الجبل) حتى لا تجفل مثل أمس، فقال: نعم، فساقها معنا حتى علون الجبل فقلنا له ارجع جزاك الله خيرًا، فرجع، فسرنا راكبينها بدون شداد ولا زهاب ولا ماء. وكانت هذه أول مرة أتجشم السفر، ولا أعرف الطرق، ولكني أسئل أهل كل قرية عن الطريق أمامي، وما علاماته، وصفته، وبعده وكيف المراعى؟، قطعنا مسافة المستوى ليلاً، ونفود الثويرات نهارًا، والإبل تمشي وترعى، ونومنا تخفيفًا على ظهورها، وصلنا الزلفى المغرب، سئلنا فيها عن رجل نعرفه؟ كان عميلاً لنا، ضفنا عنده، وقلنا له أدركنا ترانا هالكين جوعًا وظمأً، فسقانا وأتانا بعشاهم الجاهز. ثم قلنا له جهزنا بشداد وزهاب وقربة ماء، وخذ واحدة من هذه الإبل اذبحها وبعها في الصباح واستوفي حقك من قيمتها! ففعل ذلك. وسرنا من عنده ليلاً، وصلنا إحدى القرى أمامنا بعد العصر، فأوقفنا قرب البلد، وتركنا الإبل ترعى، وأوقدنا النار لطبخ العشاء، وإذا يأتينا من البلد رجل ذو هيئة، فسلم علينا وقال: أظنكم ما تعرفون سلوم العرب؟ قلنا وما ذاك يا عم؟ قال: لماذا توقدون ناركم وأنتم قرب البلد، ألا ضفتوهم؛ ثم ضرب القدر برجله من فوق المناصب على النار، وإذا

القدر يجري هناك، وقال: عشاكم عندنا، قلنا: والله يا عم حنا ما نقدر ندخل البلد تضيع بعاريننا، قال: نجيب عشاكم هنا إنشاء الله، قلنا جزاك الله خيرًا وكثر خيرك. ثم قال: أين تريدون بهذه الإبل؟ فقلنا جَلاَّبة نريد بيعها بهذه القرى! فقال أنا أريد أشتري منكم، ولكن ما عندي دراهم بالوقت الحاضر؟. قلنا لا بأس أعطنا اسمك ونصبر عليك بالدراهم مدة معلومة، فقال: أنا فلان (أمير البلد) فقلنا: ونِعِم، لا بأس، فبعنا عليه ناقتين إلى أجل. فرجع وقال: هالحين يأتيكم عشاكم إنشاء الله. قلنا له استلم بعارينك فنحن نريد نسرى؟ فقال عَقِّلوها مكانها واذهبوا ونحن نأتيها الصباح إنشاء الله، وبعد قليل جاءنا منه رجل بحمل حمار علفًا للإبل. ثم جاء آخر بصحفة فيها عشًا جيدًا، فتعشت الإبل وتعشينا، ثم سرنا في طريقنا حتى وصلنا وسط قُرىٰ سدير، ودخلنا موقف سوقها بعد العصر، فلقينا منهم رجل سريع البديهة خفيف المخبر، قال: [أنت وين أنت فيه، تجلب كل هذه الإبل هنا تحسبك في الرياض؟ أهل هذه البلد ما عندهم دراهم). فقلت: ماذا يقول المؤذن آخر الأذان؟ فقال: يقول لا إله إلاَّ الله! فقلت قلها وسكت، فنحن قد توكلنا على الله وعلقنا رجائنا فيه، فبينا نحن كذلك إذ جاءنا منهم رجل سامت ذو هيئة محترمة، فسلم علينا ورحب بنا وقال: أنتم عندنا الليلة (يعني أضيافًا) فقلنا أخلف الله عليك، نحن لا نستطيع نترك إبلنا تضيع، فقال: هذا الباب القريب، فقلنا لا بأس بارك الله فيك. فذهب، فسئلت الرجل عنه من هو؟ فقال: هذا أميرنا فلان.

ثم جاء الجماعة ينظرون في الإبل ويسئلون عن بيعها .

فبتنا عند الأمير، وفي الصباح أتى الجماعة عنده يطلبون بيعها عليهم بالتأجيل؟ قلنا لهم: نحن كما في المثل (الذي ما يعرفك ما يثمنك) فإما بيع بالنقد، أو مؤجل بكفالة الأمير! قال الأمير: (الذي يشتري منكم في هذه الديوانية دراهمه عندي والذي يشتري منكم برًّا فأنتم وإياه). فقالوا: كلنا تبع الأمير! فبعناها عليهم مؤجلة، فكتب الأمير أسماءهم ومقدار القيمة والأجل، وأعطاني ورقة بذلك. فذهبنا للرياض، وحين وصلناه اركبت أخاي في السيارات وارجعته لأهله، وأنا ذهبت لسوق الإبل أبيع وأشتري، وأضوي على عمي في خيمة بالبطحا حول محل مناخة المراكيب الوافدين على الحكومة (آل سعود). وبعد مضي نحو ستة شهور تأهبت للرجوع لأهلي حيث قد حلت دراهمي عند الأمير. فبينا أنا في السوق (الرياض) إذ لقيني أولادٌ، اثنان غير كبار فعرفاني وسلما عليّ وقالوا أنت الذي بعت الناقة على أبينا في بلدة الحوطة؟ قلت يمكن فما اسم أبيكم؟ قالوا: فلان ابن فلان! فنظرت في الورقة وإذا هو هو، فقالوا: نريد نعطيك دراهمك عن أبينا! فقلت نعم، فذهبوا بـي إلى دكان قريب وسلموني إياها، فسددتها في الورقة. فقلت ما شاء الله فما عملكما هنا؟ فقالا (نُـرَمِّدْ) فقلت أصلحكما الله وبارك فيكما. ثم ركبت وقدمت على الأمير بالحوطة، فقال وراك ابطأت؟ دراهمك لها مدة في هذه الشنطة، فقلت له: وفيتَ ورعيتَ رعاك الله، قال أين تريد؟ قلت أريد بريدة، فقال: أقم عندنا الليلة والصبح نركبك بالبريد لتسلم من الأجرة، فلما قدمت على أبـي

فرح بـي، فأعطيته ما تحصل معي من عملي نحو ألف وثلاثمائة ريال، زيادة على قيمة الإبل، فقال أبق دراهمك معك! فقلت ليس لي دراهم فأنا ودراهمي لك، فقال بارك الله فيك، ثم أخرج مفتاح الصندوق وألقاه إليّ وقال خذ هذا حلالكم أريحوني من همه.

أما قولهم: نُرَمِّد (الترميد) حيث كان الناس يبنون بالطين، ويحملونه بالزنبيل فَيَعْلَقُه الطين ويمسك به، لكنهم يعفرون الزنبيل بالرماد، فإذا أفرغ منه الطين كَثْ فيه كفًّا من الرماد حتى لا يعلقه الطين. وهكذا، فصاحب العمل يستأجر أولادًا يجمعون له الرماد من سائر بيوت البلد مجانًا. (انتهى).

* * *

# غنى النفس

حدثني رجل ثقة كبير السن رحمه الله قال: اشترى رجلان أعرفهما، ثمرة نخل هنا، واشتركا فيه أنصافًا، وكان أحدهما غنيًا شحيحًا، والآخر فقيرًا سخيًا، فاختلفا في صرم التمر؟ فالشحيح: يقول لا نسمح للناس يأتوننا يأكلون من تمرنا حالة الجداد (الصرام)؟ وقال شريكه السخي: لا يجوز منعهم، فلا بد من السماح لهم بالحضور والأكل؟ والرزق على الله سبحانه.

فقال ذاك: (اسمع العلم لا يدخل علينا منهم ولا واحد). فقال السخي: اقسم نصيبك إذًا من نصيبي وتصرف فيه؟ فقسموه في رؤوس النخل، وألقوا عليه القرعة، وكلٌّ عرف حصته.

فهذا الشحيح جعل يقطع من التمر ويحمله على ظهور الحمير بقنوانه إلى بيته ويصلحه فيه. أما السخي: فإنه ذهب إلى السوق فوجد قافلة من البادية يريدون يشترون لهم أحمال تمر، في موسم بيع التمر وجداده، فعرض عليهم تمره الذي في النخل؟ فرغبوه، فاتفقوا معه على سعر معلوم، بحيث يقوم هو بصرمه ووزنه لهم، فواعدهم غدًا الصباح يحضرون عند النخل يقبضون تمرهم من تحت الميزان. فواعد

الجدادين، ثم ذهب إلى أهل الحارة حوله، وكانوا فقراء، فأخبرهم أنه في صباح غد إنشاء الله سوف يبدأ بجداد التمر بملك فلان قال: ولكن احضروا ساعدونا على الجداد، وكانت عادة معروفة، ففرحوا ودعوا له بالخير والبركة، فلما أصبحوا حضر رجال الجداد، وحضر الأعراب وحضر أهل الحارة من نساء وأطفال ورجال قاصرين، فالجميع يأكلون ويعملون شيأً (ما)، حتى انتهى الأعراب، قد ملئوا عيابهم وأكياسهم، فاستلم دراهمه منهم وحملوا وذهبوا، وإذا هو قد باع عليهم بأكثر من قيمته التي اشترى بها، وبقي له جزء من التمر في النخل، وبقي البسر بالعراجد (يتركونه بعراجده يُرَجِّع)، يأكلون منه مدة بقائه عندهم قبل البدء بالضميد، وقد قسم على الفقراء منه شيأً، غير ما أخذوه في مخابيهم وأكمامهم كالعادة.

الحاصل: أن الشريك، غار من هذا المحصول لشريكه دونه، فأتى إليه وقال: الظاهر أننا مُنْدجْرِين بالقسمه (أي غلطين)؟ فأنت عندك من التمر أكثر مما عندي بكثير؟ فأنت بعت على البدو بكذا وعندك الآن من التمر مقدار كذا. أما أنا فالتمر عندي بالبيت موجود ما يزيد عن كذا وكذا؟

قال صاحبه: يا رجل إننا قد قسمناه بالسوية، وَجَدَعْنا عليه القرعة، وكل قد بلغ نصيبه. فأبـى صاحبه إلاَّ أن يحضر معه لدى حاكم الشرع يخاصمه؟ فذهب معه وجلسوا لدى الشيخ: ابن سليم رحمه الله. فادعى الرجل الأول أن القسمة فيها غَبْنٌ فاحش بكذا وكذا؟ ويطلب فَلْ القسمه؟ وأجاب الرجل الثاني: بأن أخبر الشيخ بسبب القسمة، حيث

أن شريكه أراد منع الفقراء حضور الجداد قال: ولم أوافق على ذلك، فقسمناه بالسوية، وألقينا عليه القرعة وكل قد بلغ نصيبه قبل التصرف.

فأنا ساق الله لي رزقًا، فبعت على بعض البادية، ودعوت أهل الحارة حولنا يحضرون الجداد، فحضروا، ساعدونا، وأكلوا، وأخذوا شيأً كالعادة، أما هو: فهو ينزل القنو على ظهر الحمار يذهب به لبيته لم يذقه أحد.

فالتفت الشيخ إلى الأول وقال: أنت يا سليمان رجل شحيح: والشح ما فيه خير، ما هوب نافعك، فهذا أنزل الله في نصيبه البركة حيث حضره الفقراء وما عند الله خير وأبقى، قم ما لك عليه حق، فانتهوا وقاموا.

**وللمقنع الكندي.. وصدق.. وكان سيدًا كريمًا**

وإذا رزقت من النوافل ثروة ... فامنح عشيرتك الأداني فضلها
واستبقهم لدفاع كل ملمة ... وارفق بناشئها وطاوع كهلها
واعلم بأنك لن تُسَوَّدَ فيهمو ... حتى تُرى دَمْثَ الخلائق سهلها

* * *

# أنت ومالك لأبيك

ذكر العلقمي في حاشيته على «الجامع الصغير» قال:

جاء رجل إلى النَّبـيِّ ﷺ، فقال: يا رسول الله إنَّ أبـي أخذ مالي، فقال النبـي ﷺ: «اذهب فأتني بأبيك» فلما ذهب الرجل نزل جبريل إلى النبـي ﷺ قال: يا محمد إن الله يقرأ عليك السلام ويقول لك: إذا جاء الشيخ فاسأله عن شيء قاله في نفسه ما سمعته أذُناهُ.

فلما جاء الشيخ، قال له النبـي ﷺ: «ما بال ابنك يشكوك؟ أتريد أن تأخذ ماله؟ فقال الأب: يا رسول الله، وهل أنْفِقه إلا على إحدى عماته، أو خالاته أو على نفسي، فقال النبـي ﷺ: «دعنا من هذا، أخبرني عن شيء قلتَهُ في نفسك ما سمعته أذناك» فقال الشيخ: والله يا رسول الله ما يزال الله يزيدنا يقينًا فيك، والله لقد قلت شيئًا في نفسي ما سمعته أذناي، فقال النبـي ﷺ: «قل وأنا أسمع» فقال: (يعني في ابنه):

غَـذَّيْتُـك مـولـودًا وعِلْتُـكَ يـافعًـا ... تُعَـلُّ بمـا أسْـدِي إليـك وتُنْهَـلُ[1]

---

(١) العل والنهل هنا هو: سقي الزرع، فالنهل: السقية الأولى، والعل: سقيه مرة بعد أخرى، وقدم العل هنا على النهل للوزن، أو تنبيهًا للاهتمام بشأنه ويطلق هذا الفعل حتى في حق الحيوان.

إذا ليلة ضاقت بالسُّقْم لم أبِتْ     لغمِّك إلا ساهرًا أتَمَلْمَل
كأني أنا المطروق دونك بالذي     طرقت به دوني وعيناي تهمل
تخاف الردى نفسي عليك وإنها     لتعلم أن الموت شيء مسجل
فلما بلغت السِّنَّ والغاية التي     لمثلها قد كنتُ فيك أؤمِّل
جعلت جزائي غِلْظَة وفظاظة     كأنك أنت المنعم المتفضل
فليتك إذْ لم تَرْعَ حق أُبُوَّتي     فعلت كما الجار المجاور يفعل

قال: فحينئذٍ أخذ رسول الله ﷺ بجلباب ابنه، وقال: «أنت ومالك لأبيك».

هكذا جعل الله تكافل الخلق فيما بينهم، فالآباء يكفلون الأولاد صغارًا، والأولادُ يكفلون الآباء كبارًا، والفضل للمتقدم.

## قصة أخرى

كما جاء في قصة رجل قد كبر سنه وانحنى ظهره، وله ابن بارٌّ به، وكان الابن صاحب أسفار وأعمال، فإذا أراد يسافر أوصى نساءه ببرِّ أبيه والقيام بحقوقه، ولكن الواقع من النساء حال غيابه خلاف هذه الوصية، وقد أجهد الشايب نفسه في الصبر والتجلد، وكره أن يكدر صفو ابنه مع أهله، ولكن الحال اضطرته إلى إعلامه؛ فقال شعرًا:

ألا يا وِلْدي وإن غبت عني جَفَتْني     خبيثات ناقضات عهد الوثائق
يا بوك زودت المواطي بثالث     وغديت كني في قليب موايق
أبيك توصي بي لْحَيٍّ يروف بي     حَفِيٍّ لَمَا يَلْحَق العمر عايق

فتكدر خاطر ابنه وضاق صدره، وكيف وصلت الحال بأبيه إلى هذا المستوى، فأوقف نفسه على خدمة أبيه، وعاهد الله ألاَّ يفارقه ما

دام على قيد الحياة، وترك الأسفار، فقضى بعض حق الأبوّة، وقال لأبيه شعرًا:

عَلامِكَ كُفِيتَ النّارَ ضَيّقْتَ صدري     بِقَوْلتِكَ كِنِّي في قَلِيبٍ موايق
ما دُمْت حَيٍّ لِكْ على رأس مرقب     طويل الذرا عَسْرٍ على وايق
دينتني دين وأنا ميسر به     وكل فَتًى ما يوفي الدين بايق

فهذه أحوال الناس فيما سبق، وهذا هو التكافل.

وقد كان الحجاج أميرًا ظالمًا، يتحجج على الناس ويقتل من لم يجاوبه جوابًا صحيحًا، فلقي رجلاً شيخًا شايبًا، قد حمل على متنه فرخ نخلة، يريد يغرسه، فأوقفه الحجاج، وقال: يا شيخ أنت تريد تغرس هذه النخلة لتأكل من ثمرها، فقال الشيخ: (غرسوا فأكلنا ونغرس يأكلون)، فقال الحجاج: صدقت، فتركه وشأنه، وهذا من نوع التكافل.

فأنا أدركت الناس، والابن قرة عين أبيه، وزينة الحياة الدنيا، فالابن يحب أبويه ويبرهما ويتعب لإراحتهما فعمله عمل أبيه، وكسبه على حساب أبيه، وتجارة أبيه تجارة له، وصنعة أبيه صنعته، ورجولة أبيه رجولته، فهو لأبيه وأبوه له، وإذا زاول الأعمال قام أولاده وأهله بخدمة أبيه، وإذا مات الأب خلفه ابنه في أهله وقرابته ورجولته وعانيه، فهم يتوارثون المكارم صاغرًا عن كابر، أما في هذه الأزمان، فقد تغيرت الأحوال والمناهج، فالأولاد عِبْءٌ ثقيل على أبيهم في صغرهم، ومن كبر منهم ترك أباه غالبًا، فلا خدمة بدنية، ولا منفعة لأبيه من اكتسابه فيريحه من أتعاب الاكتساب لعائلته حال كبره، فأبوهم في عناء

منهم في صغرهم، وخابت آماله في كبرهم، اللّٰهم إلاّ نادرًا، كما حدثني بعض الآباء، وكان له أولاد، وكانوا عنده في بيته، وكل واحد له عمل لنفسه. (قال: قلت لأولادي: ألا أخبركم بمثلي ومثلكم في هذا البيت؟ قالوا: نعم، قلت: مثلنا كمثل جماعة في فندق، كل واحد يتصرف لنفسه لا يعلم عنه الآخر، وأنتم أولادي وأنا أبوكم)، فقلت له: هون عليك: فغالب الناس اليوم مثلك.

وقد قيل في مثل هذا النوع من الأولاد:

**العـود يـوم انـه يجيـب العيـال — يبغي بتـالـي العمـر لـذة وطـربـات**
**كِبْرَ الولد ودَلّى يحوش الحلال — يُبَدِّي المره وبالعود سبع كوبات**

وقيل أيضًا:

**وإيلا خاب ظنك بالرفيق الموالي — فلا لك مشاريه على باقي الناس**
**لعـل قصـر مـا يجـي لـه ظـلال — ينهـد مـن عـالـي مبـانيـه للسـاس**

معناه: أن الرجل الذي ليس به نفع لغيره، مثل القصر الذي ليس له ظلال ينتفع به، أما الابن الطيب فهو يقول لأبيه، شعرًا:

**نبغيـك تـذوق بتـالي العمـر لـذات — نسهـر طـوال الليـل وانتـه تنـامـي**

يعني: يشتغلون بأعمال أبيهم تحت أمره ليريحوه.

وهنا رجل كبر سنه، وكان له زوجات وأولاد، وقد قام أولاده بخدمته: فأحدهم يخدمه بنفسه، وهو يلقبه (الهلابـي) والآخر اسمه فوّاز، ويخدمه في الأحوال المهمة. فتمثل بقصيدة: شاكرًا هذا الصنيع لأولاده، فقال:

**لولى الهلابي والمراجل بفوّاز     كان العجايز دَرْفَعَنَّنْ ورا الباب**

والعجايز هنا: هن زوجاته، وهن لم يقصرن في حقه، ولكنه يريد مدح أولاده بصنيعهم فيه. وهذا الرجل هو القائل:

**عاشت يَمِين حْرَيْد رَوَّحْ بفواز     عن مقعد الحقران ودار الطحيني**

وحُرَيْد هذا هو جمل لهم أحرد، ركبه فوّاز وذهب عليه للغربية ذاك الوقت.

* * *

# نداء وإرشاد لبعض الآباء

أيها الآباء: إن وجود الأولاد نعمة ذكرها الله سبحانه في معرض الامتنان ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[1] الآية، فالأولاد مكانز ذهب، متى احتجت وجدته إن شاء الله، وكم لأولادك من خيرات لك، وكم لهم من صلة لأولادك وقرابتك، وكم يدعون لك وأنت حي وميت، وكم اكتسبوا شرفًا يسرك وأنت حي، وكم أحيوا ذكرًا جميلاً في الدنيا والآخرة، أرأيت إذا كبر سنك واحتجت لعول وعناية، هل يقوم الناس بعولك؟ لكن أولادك يتشرفون بخدمتك، ويعتنون بك، ويحامون لك طول حياتك، وبعد مماتك، ولو سبق أنه قد حصل منك عليهم بعض ما يحصل بين العوائل، فإن الشباب شعبة من الجنون، ولكن إياك أن تدعو عليهم بمكروه إذا غضبت، فإن الدعاء مراجم حجارة قد يصيب بعضها، وجاء في الحديث: «لا تدعوا على أموالكم ولا على أنفسكم أن توافقوا من الله ساعة إجابة فتهلكوا» رواه مسلم وغيره، ولكن عليك أن تدعو لهم بالتوفيق والهداية وبكل خير، أو تتركهم يتولى الله رعايتهم لك وعطفهم عليك، واعلم أنه لا يصيب الإنسان شيء يكرهه إلاَّ بسبب ذنوبه، فاستغفر الله وتب إليه واسأله كل ما تريد. (انتهى).

* * *

(١) سورة الكهف: الآية ٤٦.

# يا جريس خلن وخليك

كان رجل قد مات أخوه، وخلف ابنًا صغيرًا اسمه (جريس) فخاف عليه عمه العيلة وولية الناس، فتزوج أم الصبي زوجة أخيه، صيانة للصبي حتى كبر، ولكنه قابل هذه العناية والبر بالعقوق في عمه، لا سيما وقد كبر سنه واحتاج إلى البر، فتمثل العم بقصيدة وصف فيها مبدأ حاله مع جريس، فقال:

يا جريس يا مشكاي شَاكَنْ وَشَاكِيك — أشوفها مِنْ يَمْ الأصحاب ضَاقِهْ
يا جريس أخذت أمك من شان تاليك — ما معجبن زينه ولا هي عشناقه
عمك وَلَـوْ بِتَنْشِدِهْ كان ينبيك — وِشْ حق من رباك طفل احواقه
ياما على متني تعقبت بيديك — تنقل كما تنقل خَطاة العلاقه
ويـاما بعدلات الشبايا نعشيك — واعطيك زُودِ على الخزيزة إلْحاقه
بـازْبـاعٍ لِي ثار حِسُّهْ يشويك — في ليلة ذوق العشا به شفاقه
لِيَما الَّذِي بذْقُون رَبْعِك ظهر فيك — وأظن في نبت اللحى فتراقه
واليوم أشوفك يوم كبرت علابيك — جمعت مع خبث الطبايع نزاقه
ولا عاد بالدنيا صديق يصافيك — ما من ورا عوج النصايب صداقه
يا جريس مالي بالأداني وأقاصيك — إيلا هِلْ فوقي محزم من دقاقه
سبع العوذ يا جريس خلن وأخليك — يا جريس ما بعيال الاخوان فاقه

تيسٍ يحطه وال الأقدار بيديك　　أنفع من الشمشول بيد الرفاقه

الشمشول هو: ذود من الإبل نحو خمسة وثمانون جملاً، يعني: إن التيس الذي تملكه أنفع لك من تجارة أصحابك، كما في المثل: «رَدِيْء المال ولا جيِّد الرّفاقه».

ولما سمع هذه القصيدة رجل آخر قال جوابًا لقوله: (ولا عاد بالدنيا صديق يصافيك)، قال:

يا ليت بالدنيا صديق يخليك　　كفاك شره ما تبي له صداقه
مير البلا اللي جَنَّبَ الحق ناصيك　　تومي اركابه ما عليها علاقه
دَلّي يبيعك بالمكاتب ويشريك　　ويحط دون الله علوم دقاقه[1]

(انتهى من كتاب: أحاديث السمر).

* * *

(١) يعني: يجعل واسطة أو رشوة ليأخذ حق خصمه بالغلبة، وتناسوا أن الله مطلع عليهم وسيجازيهم.

# قصيدة أبو دباس

كان الناس يحتاجون ماء المطر لسقي النخيل من الأودية، لا سيما البلاد الجبلية، مثل بلاد سدير والعارض وغيرها، وكانوا يقتسمون ماء الوادي إذا قرب من النخيل، فكل حائط يجعل له وظيمة (أي شعبة من الماء)، فإذا جاء السيل خرجوا يرصدون الوظائم عن أحد يحول الماء عن نصيبهم، وقد يحصل بينهم شقاق وشِجار ومضاربة بالعصي، وقد يتقاتلون على الوظائم، (وهذا هو الذي يشكوه أبو دباس إلى ولده بقوله في القصيدة:

**جنبت وسط السوق وامشي مع الساس　　　آخذ شوي الحق واترك كثيره**

يعني أنهم استضعفوه، وأخذوا نصيبه من الماء (السيل)، ولم يستطع يقاومهم لأنه قد كف بصره، وكان ابنه دباس قد هرب من أبيه وهو جذع حين رآهم ضاموا أباه، ليستعد لهم، وجعل يتنقل في البلدان يتطلب المصالح ووسائل الرجولة لنصرة أبيه، فلم ينتهي مقامه إلاَّ في بلاد مسقط من بلدان الخليج، حيث صار خادمًا للأمير هناك، كما نجد أباه يعيب عليه ذلك، وحين اشتد الاضطهاد على الأب انبعثت قريحته بهذه القصيدة، يشكو فيها إلى ابنه هذا الاضطهاد، فثارت غيرة الابن وحميته لأبيه، وعزم على الانتقام من المضادين لأبيه، وكتب له جوابًا (قصيدة) يخبره فيها أنه سوف يَقرُّ عينه بالقدوم عليه والانتقام من أعداءه.

ثم إنه أراد أن يرسل لأبيه فلوسًا (بَرِيرَةً) وخشي أنها تختطف في الطريق قبل وصولها إليه، ففكر في حيلة تؤمنها له، فاشترى عصا غليظة (باكورة) (يعني رأسها معكوف) وهي عصا الشايب، وأعطاها النجار فخرق وسطها بالطول، وأدخل فيها جنيهات (ذهب)، وسد عليه، وأعطاها المرسول مع الكتاب (القصيدة) وقال له: أخبر أبِـيْ أنِّيْ ما عندي فلوس، ولو كان عندي فلوس ما بقيت في بلاد الغربة، ولكن أعْط أبايْ هذا الكتاب وهذا العصا يتوكأ عليه، وَتَعَذَّرْ لَنا مِنْهُ. فلما وصل المرسولُ أعطى أبو دباس الكتاب والعصا، وقال: هذا وَصْلُ ابْنِكَ لَكَ عَصًا تتوكأ عليه، وضحك، فأخذه أبو دباس وعرف ما فيه، وقال: اِيْه (مَنْ طاف ما عاف) ثم دخل في بيته، وكسر العصا، فانهالت الجنيهات عليه فحمد الله على ذلك وعرف رجولة ابنه، ثم قرأ القصيدة، فقرت عينه وشكر ربه.

وأما ابنه فإنه جعل قدومه في وقت مجيء المطر، وحال وصوله نزل المطر بقدرة الله تعالى وسالت الأودية، فقصد موضع الوظائم: تقسيم السيل، وأناخ ناقته، وفتح الماء على وظيمة أبيه، وجلس عنده، وَسُرعان ما أتَوْا أعداءه حين رأوا الماء انطلق في وادي أبو دباس، فوجدوا الرجل عنده، وأرادوا ضربه وتنكيله، فقام عليهم وقتلهم بسيفه البطران، الذي هو أخبر أباه به وأنه صناعة بلاد وَرا بِلادِ جاوَهْ، وألقاهم في الماء، ثم جاء غيرُهم فَزعةً لهم فقتلهم وألقاهم في الماء.

وأما أبوه فإنه خرجت إحدى بناته، فأخبرت أباها أن الماء جاء للنخل وامتلأ الحائطُ ماءً، فقال أبوها لا يمكن أن يأتي السيل إلينا إلاّ إن

كان دباس قد حضر وفتحه؟ ثم قالت البنت لأبيها: إنه قد اِحْمَرَّ الماء، فقال أبوها: (هذا دم) هذا دباس حاضر، ثم قالت: جاءت رؤوس الرجال مع الماء، فبكى أبو دباس فرحًا بقدوم ولده ونصرته.

وهذه قصيدة أبو دباس يقال لها (اليتيمة)، قال:

يا ونة وَنَّيتُها مِنْ خَوى الرأس — من لاهب بالكبد مثل السعيرة
وِنيْن مَنْ رجله غَدَتْ تِقِلْ مِقْواس — ويون تالي الليل يشكي الجبيرة
ويامل قلبي مثل بُنٍّ بمحماس — ويا هشم حالي هشمها بالنقيرة
ويا وجد حالي ياملا وجد غراس — يوم أثمر وَاشْفا صُفا عَنْهُ بِيْرُه[1]
على ثمر قلبي سرى هجعة الناس — متنحر درب عسى فيه خيره
الله يفكه مِن بلا سؤالا تعاس — ومن شر عبثات الليالي يجيره
في ديرة تقطعت عنه الارماس — سبعين يوم للركايب مسيره
لا والله إلا حال من دونه الياس — حط البحر والبر دون الجزيرة
يا الله ياللي رد من عقب ما ياس — يوسف على يعقوب وابصره نظيره
ترد عليّ دباس يا محصي الناس — يا عالم ما بالخفا والسريره
يا دباس أنا باوصيك عنْ درب الادناس
تري الذي مثلك إيناظر مسيره
عليك بالتقوى ترى العز يا ادباس — في طاعة اللّي ما ينجيك غيره
هاذي ثمان سنين مِنْ رِحْت يا دباس — لا رسالة جتني ولا من بريره

(١) أي نشف ماء البئر: وكانت بعض الآبار ينشف: ويقال ينزح مائها في أواخر الصيف (القيظ) بسبب قلة المطر، فيموت ثمر النخل، وهو مادة حياتهم فيحزنهم ذلك، (صفا عنه بئره) الصفا هنا هو حجارة ظهرت قاعة البئر حين نشف الماء.

يا ادباس من عقبك تَرا البال محتاس　　　وعليك دمع العين حرق نظيره
وعليك كنى في دجا الليل حراس　　　أصبح على حيلي وعيني سهيره
أصبح أنا ما بين طاري وهوجاس　　　وطواري تطري علينا كثيره
مثل الوحش قلبي على كف حباس　　　يكفخ كما طير سبوقه قصيره
متحير من عيلة البيت يا دباس　　　أرجى ثواب الله وأخشى المعيرة
أخاف من حْكا الْعدا ثم الانجاس　　　أهل الحكايا الطايلة والقصيره
ويقال خلا عيلته عنز الراس　　　أقفا وخلا عيلة له صغيره
والاَّ فَانا يا أبوك قطّاع الارماس　　　ما نيب مثبور ورجلي كسيره
آصلك لو دونك نبا حمر الاطعاس　　　الصلب والصمان ما هي عسيرة
مهالك مدارك ما بِها أوناس　　　إلا الثَّعَل والبوم تسمع صفيره
لو كنت في نَزْوى وديرة بني ياس　　　أهل الموازي والوجوه الغبيرة
عَبّادة الأصنام شرابة الكأس　　　الخمر والتنباك فيها وغيره
لازْكَبْ على وَجْنَا من الهجن عِزْماس
فَجَّا النحر يا دباس حمرًا ظهيره
متروسة الفخذين مربوعة الراس　　　كِنْ الخلاص[1] عيونها يوم اديره
أو شبه ربد اتخفق لـلاوناس　　　وإن رفعت جنحانها مستذيره

(١) الخلاص هنا: هي الحديدة: إذا أراد الصانع الحداد يعملها جعلها وسط النار في الكير ونفخ عليها النار حتى يكون لونها أحمر أبيض من شدة الحمو فتخلص من الأوساخ: كما قال الشاعر:

ناح الحمام بعاليات المقاصير　　　وأهل الهوى طربين ما يسمعونه
باكر اِضْحَيْ العيد وإن طقوا الزير　　　ما عندهم مِنْ زينة يلبسونه
يظهر عشيري كالخلاصة من الكير　　　عِيذه برب الناس لا ينحتونه

تنشر من العودة على نور الأنفاس … عنـد الفجـر والليـل مْقَـفٌ مـريـره
والعصر بالصمان تسمع لها ضراس … حبـل الـرسـن خَطْـرٍ تْبَتَّـرْ جـريـره
نهـار ثـالـث بيـن حمـا والاوراس … وِرْه يمينـك جِعْلَهـا لِـكْ سفيـره
ثـم علـى سـاجِيَّـةٍ تقلـب الـراس … تمشي بأهلها في البحور الغزيرة
إلى مسقط الفيحاء بها الخير محتاس … لـولا الكفـر والشـرك واوي ديـره
عـز الله إنهـا ديـرة مـا لهـا جْنـاس … لَـوْلا بِهـا يعبـد مـع الله غيـره
لـولا بهـا يشـرك علـي وعبـاس … وأيضًـا بِهـا الفـاروق سَبُّهْ بـريـره
فيها الطبيخ وراهي الخبز يا دباس … يِقْعِـد خـوي الـرأس خنـة خميـرة
هي ديرة اللي باغي كيفة الراس … ولا له حد همه من الناس غيره
هيس ولد هيس للمواعين لحاس … يفـرح لِيـا نِيـدِي لِـذَبْـح النحيـرة
وذا ما قفك يا دباس ما فيه نوماس … يصلـح لْقَيْـنٍ مهنتـه طـق زيـره
ترى الفداوى داوي وانشد الناس … راعيـه مـا يـذكـر بمـدح وغيـره
ماله سوى طق الحنك منه والياس … وإلى انقطع خَرْجُه فلا له ذخيرة
طلب المعيشة بالحراثة والاجناس … المشتـري والبيـع يـوصـف وغيـره
قم انهض العيرات مع كل فراس … يـا دبـاس دور خَيِّـر تستشيـره
جدك وعمانك هل العزم والبأس … أهل المواجب مكملين القصيره
يا دباس ما يصبر على البق والحاس … إلا الـذي مـا لـه بنجـد عشيـره
واليوم يا مروي شبا كل عباس(١) … أنت الرجا يا كعام وجه المغيره
عشرين عام كلها أرجيك يا دباس … مثـل الغـريـر اللـي تـولـع بطيـره
عدل المناكب هيلع فرخ قرناس … يمنـاه فـي لطـم الحبـارى شطيـره

(١) يعني السيف ويرويه من دم الأضداد.

عانق خلوج[1] روحت عقب مرواس　　　عنـدالعصيـر لبيضهـا مستـذيـره

والليل جاه وحال من دونه الياس　　　روحـه علـى فـرقـاه فـرت فـريـره

يا دباس أنا يابوك ما نيب بلاس　　　ميـر إن عيـلات الـرفـاقـه كثيـره

(جنبـت وسـط السـوق وامشـي مـع السـاس

آخـــذ شـــوي الحـــق واتـــرك كثيـــره)

يا دباس لوجبت لي دِحْبَ الاكياس　　　مختلفـــة مـــا بيـــن دَرٍّ ونيـــره

ما لي بها يا جعلها بألف قباس　　　أو جعلها تذهب ولو هي كثيرة

يا دباس قلبـي كل ما هب نسناس　　　شــرقيــة هبــت ابقلبـــي سعيــره

والحال يا فرز الوغى مسها الباس　　　عليـك يـا نـاطـح وجيـه المغيـره

وغصون قلبـي يا فتى الجود يباس　　　غــاد أنــا يــا ابــوك كنــى هشيــره

من شافني يقول ذا فيه لساس[2]　　　واللـي بـرا حـالـي إلٰهـي خبيـره

لا وعـلا مـن قبـل غـوال الأنفـاس　　　ومفــارق الــدنيــا يجينــا بشيــره

عسى يطق الباب والناس غطاس　　　يــا والــي القــدرة عليــك تعبيــره

وصلاة ربـي عد ما هب نسناس　　　على النبـــي عـدة حَقُـوق المطيـره

وبعد وصول هذه القصيدة إلى ابنه دباس واطلاعه عليها أسف على تفريطه وتهاونه في حق والده، فأجابه بهذه القصيدة حيث أخبره فيها بعزمه والتوجه إليه. قال:

---

(١) هي الحبارى هنا أو النعامة: وأما في الأصل فهي الناقة التي لها ولد صغير فقدته فهي انخلجت لفقده.

(٢) اللساس هو مرض السل: من الأمراض المعروفة القديمة يسل صحة الجسم حتى يهلكه، كما تقول المرأة إذا آذاها طفلها في كثرة الرضاع (يريد دائمًا يلس).

حي الجواب اللي لفانا من الراس      جابه غلام ما توانا مسيره
هلاّ هلاّ به اعداد ما حِبْك قرطاس      وما كُتِبْ فوقه من بيوت شطيره
جواب منهولي مود من الناس      أبوي ما يوصف حلي الغيره
فرز الوغى كنه على الوكر قرناس      وقروم ربعه كلها تستشيره
دليل عيرات إلى هب نسناس      ثم أدلهم الجو ما به ذخيره
مهفي الغنم لأهل الركايب والافراس      لا روحوا له لا عليهم قصيره
راعي معاميل بها العبد جلاس      للبن يشري بالسنين العسيره
هذي بمركاها وهذي بمحماس      وهذي يصبه للوجيه السفيره
واخلاف ذا يا راكب فوق عرماس      مأمونة مِن نَقْوة الهجن عيره
حمرًا وهي في سنها وَقْم الاسداس      متوسط لا فاطر ولا هي صغيره
ما هي لحوح راكبه بالعصا قاس      حرم عليها غير شيل النجيره
والخرج هو وبيوت قيل بقرطاس      مع مزهب الأيام ما هي كثيره
فوقه غلام منوته قطع الارماس      لو هو بليل ما تغير نظيره
وإلالفَيْتَ الدار فاجهر بالاحساس      وبلغ سلامي كل ذيك العشيره
واختص أبوي اللي نفل جملة الناس      وخصه بعلم وقل تراني بشيره
لا ـ يا نجى العرض يا بوي لا يأس      إن كان تشكي الضيم فأنا أسيره
وإن سائلك عني تراني بنو ماس      وأنا أحمد اللي ما توسلت غيره
المدح لو يشري شريناه باكياس      باموالنا نرخص نَدُوْر الستيره
مْطَرَّق فرنج مضاربيه الراس      ومصلبخ جبته عساني ذخيره
من صنع نصراني مشروبه الكأس      يذكر ورا جاوه بعيد مسيره
أبغيه للي حادينك على الساس      أهل النمايم والحكايا الكثيره

ربع نووا فيك الردا والتخساس مهبول ياللي قال غايب عشيره
عَلَيْ دِينٌ لَوْدِعْ الجمع ينحاس لين العشير يقوم يلعن عشيره
يابوي أنا ما رحت لكيفة الرأس مع ذا ولاني في سفاه وغيره
إن ما سكنا الدار من غير هوجاس والاّ نعاف الدار وِنْدُوْر غيره
كله لعينا كلمة قلت يا دباس تشكي وأنا دوني بحور غزيره
خذ لك يمين الشرع قطاع الانفاس أنه فلا جتني علوم بصيره
لا نيب جاني منك حبر بقرطاس أيضًا ولا جتني علوم سفيره
إن كان تشكي الضيق يابوي لا باس جاك الفرج يا بوي هو والبريره
والا فانا يا بوي قطاع الارماس أصبر على الشدة ولو هي عسيره
يا مسندي يا بوي شوف أوكد الناس ثم اشنده قل ويش هو في مسيره
إن كان ما يفرح صديقك بنوماس تحرم علينا اللي نهوده صغيره
مدلول مجهول زها زين الالباس بنت الذي يثني[1] الياجت كسيره
طار يقول اظهر وطار بجلاس قمت اشرب التنباك واثره نكيره
أبغي عسى الله يبرد القلب ياناس من لاهب شبت بقلبي سعيره
ومن كان له غائب فلا يقطع الياس إن قدر الله جاب علمه بشيره

(انتهى).

* * *

(١) الذي يثني: هو الرجل الشجاع حالة الحرب، إذا حصل هزيمة على ربعه، وقف في نحر القوم يقاتلهم: يحمي ربعه ولا يخاف، فهذا هو الشجاع، وكانت عادة الناس يرغبون بنت الإنسان الطيب حتى وإن كانت غير جميلة.

# فوائد صحية

كتاب ابن فوزان في الطب: المصرح له من وزارة الصحة:

فيه فوائد منها قوله: (النعيم في راحة البال)، ومنها قوله: (النوم راحة للجسم، ونوم النهار ما يعوض عن نوم الليل).

وفي كتاب «الطب النبوي» لابن القيم: قال: (إذا أردت أن لا تصيبك علة إلاَّ علة الموت، فلا تأكل طعامًا وفي معدتك طعام لم يهضم، واترك الطعام وأنت تشتهيه). وقديمًا قيل:

**ثـلاث هـن مهلكـة لـلأنـام ... وداعيـة الصحيـح إلـى السقـام**

**إدمـان مـدامـة وإدمـان وطـيء ... وإدخـال الطعـام علـى الطعـام**

والمدامة هي: شرب الخمر وأنواع المخدرات.

وقال أيضًا: أجمع حذاق الأطباء على أن أصل الطب في قول الله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾(1).

فأنا أعرف اثنين من الجماعة وغيرهم كثير: ماتوا بسبب تخمة الطعام، ولا أحب أن أذكر أسماءهم. وفي المثل «المعدة بيت الداء».

فأكثر الأمراض بسبب كثرة الأكل: والأكل على غير نظام.

جاء رجل جائع، وإذا جماعة قد أعدوا لهم غداءً، (خبزًا

(1) سورة الأعراف: الآية ٣١.

ولحمًا)، فدعوه للغداء فأجاب، وجعل يأكل حتى امتلاء بطنه من الخبز واللحم، ثم احتاج شرب الماء، فجعل يشرب والطعام ينتفخ ويشرب وينتفخ حتى انبغر ومات بالحال.

وقال بعضهم: هل تعرف الطبيب الصامت؟، هو (الفلفل الأسود) مع الأكل والمرق: للزكام ولفحة البرد، وقد جربناه جيدًا لذلك، ومع زيت الزيتون والزنجبيل: دهان للأطفال.

يؤخذ من الفلفل مقدار ملعقة مع فنجال أو أكثر من زيت الزيتون، فيغلى على النار، ثم يبرد ويدهن جميع جسمه إلاَّ الوجه عند النوم، وقد جربناه، نافعًا جدًا.

## وهنا تجارب ناجح:

إذا سقط في عينك رائش (تراب أو غيره)، ولم يكن عندك طبيب أخصائي للعيون: فَأَحْضِرْ ماءً في إناءٍ واسع، واجعل فيه مِلْحًا كثيرًا، كماءِ البحر، ثم اغمس وجهك فيه، وافتح عينك وارفع جفنها بأصبعك وحركه وحرك عموم العين فإن الرائش سوف يسقط مع الماء (والملح دواء للعين في الخدش) (الطرفة).

## تجارب آخر:

إذا حدث فيك حساسية جلدية، (التهاب وحكة شديدة) وأعياك علاجها، فاغتسل بالماء والملح كماء البحر بعد غليه على النار، اغتسل مرة بعد أخرى، فقد جرب جيدًا، تجربة صالحة، إذْ لا ضرر باستعمال الملح في ظاهر الجسم بل هو صالح للأعصاب، خصوصًا وجع الرجلين كما ذكره ابن القيم في كتابه (الطب)، حرف ( م ).

## الحلتيت:

الحلتيت علاج شعبي قديم، يستعمل ضد الالتهابات والشمم (التسمم).

وهنا رجل أصابه مرض شبه روماتيزم، والتهب الحلق (الحنجرة) فلم ينجع به علاج، فظنه سرطان، ثم ذُكِرَ له أن امرأة أصابها مرض السرطان، وأيس منها الأطباء، فجلست في بيتها تنتظر انتهاء أمر ربها، وصارت تشرب من الحلتيت فترتاح له فأكثرت من شربه، فأخذ مرضها في الهبوط، ثم البرء، ثم ذهبت تخبر الطبيب فحللوا لها وإذا هي قد برءت. فسألوها؟ فأخبرتهم بشربها (الحلتيت) فطلبوا منها إحضاره فأحضرته، فحللوه: وإذا هو علاج لكثير من الأمراض الدموية والمعوية، فاستَعْمَلَه هذا الرجل فبرء بسببه بإذن الله، (والآن) تجربته لمن يُظَنُّ به سرطان أو غيره صالحة، إذ لا ضرر باستعماله إن لم ينفع، فالتجربة أكبر برهان.

والْحُمْيَةُ وخفة الطعام في المعدة مع العلاج أنجح وأسرع. يشرب مع القهوة البن أو غيرها قبل الطعام أو معه.

والذي يستعمل الْحِلْبَةَ الوطنية، أَكْلاً أو شربًا، يقوي صحته وبصره ويستغنى عن النظارات للعين، (ويتحمم ويُغَيِّر ملابسه الداخلية تذهب رائحته) لا سيما وقت البراد (الشتاء)، لأنها مع الْعَرَق فقط. (انتهى).

* * *

# حِكَم وأمثلة

جاء في الحديث: الترغيب وفضل: كثرة الصلاة على النَّبـيِّ ﷺ يوم الجمعة وليلتها وسائر الوقت، لما يحصل للإنسان من الخير بذلك، لأن محبته والصلاة عليه عبادة لله تعالى.

وقيل: (الكلام الطيب يدفع مع الدية)، يعني الكلام الطيب ربما يقوم مقام دفع الدية أو بعضها، وهو عام في سائر المعاملة مع الناس، كما قيل: (ادخل مع الناس بحب لحاها).

وقيل: (ما عَجْلٍ أخذ بابوه)، معروف أن الإنسان إذا قُتل أبوه أو أخوه أو قريبه اعتداءً فإنه لا يهدأ باله حتى يقتل قاتله ويقتص منه. لكن إن أتى الأمر بسرعة وعجلة فالغالب أنه لا ينجح إلاَّ أن تسنح له الفرصة، وإذا تأنَّا ونظم أموره بحكمة فالغالب أنه ينجح بإذن الله، فهذا قولهم ما عجل أخذ بابوه: يعني الثأر، وقد ذكر بعض العلماء أن الشجاعة، تارة تكون بالإقدام، وتارة تكون بالإحجام.

قال: (أوَّهْ: انْقَلَبْ ظبينا ضبعة)، يضرب مثلاً للإنسان الخداع، الذي هو في أول الأمر سهل سمح حلو، وحين تمكن من مطلوبه انقلبت أخلاقه أخلاقًا شرسة وتغيرت معاملته، ومعلوم الفرق بين الظبـي (الغزال) وبين الضبع من السباع.

قيل: (ما ينقش شفرك إلاَّ ظفرك) (ما يشفي الحال إلا الْحاه).

قيل: كان أعجمي سُرقت خبزته وأكلت، فجلس عند الماء، وقال: الماء يدل الخبز، فما لبث أن جاء الذي أكلها ليشرب فقبض عليه، وجاع هذا الأعجمي مرة ومعه خبز فربط الخبز على رجليه ليمشي، فعجز يمشي بسبب الجوع، فجلس وأكل الخبز، فنشط ومشى، فقال: أنا أحسب طرطب ينقل خرخب، وأثر خرخب ينقل طرطب، (خرخب) بطنه، (طرطب) رجليه.

وقيل: في الحزم وعدم التواني:

**ما ينفعك يا أبا زيد يوم تقيمه　　　إيلا صارت الفرقا عليك لزوم**

كما قيل: (لا تؤخر عمل اليوم إلى غد)، فيه النهي عن العجز والكسل، والأمر بالنشاط، والحزم والعزم.

يقال: هل تعلم أن الكفر بالطاغوت من لازم الإيمان بالله، مثل الثوب النجس اغسله ثم طيبه، لا إلـه (قبل) إلاَّ الله، لأن بعض الناس قد يؤمن بالله ولا يكفر بالطاغوت فلا ينفعهم ذلك، فلا بد من الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله، وجاء في الحديث: «أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله» رواه الطبراني وغيره، (وهذه هي ملة إبراهيم عليه السلام. أن تحب أهل طاعة الله وتواليهم، وتبغض أهل معصية الله وتعاديهم). (انتهى).

* * *

# الحق ضالة المؤمن

يشك بعض الناس، هل القمر في السماء؟ أو هو دونها؟ ولكن قول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ ﴾[1] يدل على أن السماء ظرف للقمر، لأن حرف (في) هنا ظرفية. (انتهى).

* * *

(١) سورة نوح: الآيتان ١٥، ١٦.

## فصل:

## ومن آثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب على أهل هذه الجزيرة، قيل:

| | |
|---|---|
| كشفت بالكشف عنا كل معضلة | ظل الذكي بها في الكون حيرانا |
| وأحييت طريقًا للنبي غدة | لا تستطيع لها الأفهام عرفانا |
| سفت عليها السوافي فهي خافية | حتى جهدت لها بحثًا وتبيانًا |
| أتيت تتلو كتاب الله مجتهدًا | حتى شددت من الإسلام أركانا |
| فأصبح الناس قد هبوا وقد عرفوا | من بعد رقدتهم حينًا وأزمانا |
| جزاك ربك عنا كل صالحة | أمنًا ورحمًا وتكريمًا ورضوانا |

والكشف هنا هو: كتابه «كشف الشبهات»، والمراد بذلك طريقة دعوة الشيخ كلها رحمه الله تعالى. (انتهى).

قلت: الطاعة العميا من حقوق الله الخاصة. قال الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾(١)، فنحن سميناها عميا حسب قولهم، وإلا طاعة الله هي عين البصيرة. (انتهى).

* * *

(١) سورة القصص: الآية ٦٨.

## أيهنَّ أحسن

نشأ شاب ظريف، لكن عقله لم ينضج بالتجارب، فحين أراد أن يتزوج، عافت نفسه بنات الوطن، فذهب وأتى بزوجة له من الخارج، وجعلها في بيته عند أمه، ولتخدمه وتخدم أمه في البيت، عادة نساء أهل نجد، ولكنها شغلت وقتها بقراءة الجرائد والمجلات وتلقي الأخبار، ولم تلتفت لعمل البيت كعادة نسائنا، فلما رآها لا تساعد أمه في عمل البيت استشار أمه بماذا يعالج به الموضوع بحكمة، لتدريبها في عمل البيت؟ فقالت أمه: إذا كان وقت الضحى وجلست هي في غرفتها تطالع في الجريدة، فأنا أقوم أكنس بالبيت تجاه غرفتها ثم أنت تأتي وتأخذ المكنسة مني وأنا أعيـي أي (أرفض) وأنت تقول يا أمه أنا أريد أخدمك أنت عجوز كبيرة فأنا أخدمك، ثم أنا أقول هذا عيب هذا عمل النساء ما هو من أعمال الرجال، فلعلها تنزل من ذات نفسها وتأخذ المكنسة وتمتد في عمل البيت، فلما كان وقت الضحى وجلست المرأة تطالع بالأخبار على عادتها، قامت الأم تكنس، وأتى الرجل يأخذ المكنسة منها وهي عيت، وجعلا يتنازعان على ما اتفقا عليه، ولكن الزوجة طلت عليهما من النافذة، ثم نزلت وقالت شنهى هذه الجلبة؟ فقال الرجل: أمي عجوز كبيرة، وتعبت في عمل البيت وحدها، فأنا أريد

أخدمها، فقالت أمه: لكن هذا من عمل النساء وليس من عمل الرجال، فقالت الزوجة: دعونا من الجلبة، أنت يوم وهي يوم، ثم رجعت إلى غرفتها وجلست بعد ما حكمت بينهما، فعافتها نفس الرجل وحملها إلى أهلها وطلقها، ثم تزوج بنتًا من وطنه، فجعلت تعمل في البيت وتقول للأم: يا خالة، يا خالة، سمي، سمي، تلطفًا لها. فقال الرجل: الحمد لله ذلك ما كنا نبغي، أخبرنا بذلك الشيخ (عبد الله السليمان الحميد) رحمه الله تعالى، (انتهى).

* * *

# تعليق على قصيدة ابن حصيص الشعبية

نشر بعض الكتاب قصيدة ابن حصيص، في مقال: وحيث كانت معانيها من الأوضاع القديمة، فإن من تمام الفائدة إيضاح بعضها بالعرف القديم.

والقصيدة: شعبية قديمة، معروفة عند العامة، وليس لذكر الكاتب هنا تعلق بها إلا التنبيه على أنه قد سقط عنده هذا البيت الخامس في ذاك الكتاب كما سقط عند البعض، والبيت مهم موضوعه فيها، لأنه نتيجة إرسال هذا المندوب وإعجاله؛ فأول القصيدة قوله:

| | |
|---|---|
| هَيَّض ابن حصيص في تالي نهاره | ألـف بيـت فـي ضميـره مقفـلات |
| راكـب مـن فـوق منبـوز الفقـاره | آرِكـي واحبـال كـوره كـالفـات |
| آرِكـيّ واكِـلٍ عشـب الـزبـارة | مـا عـلاه الشيـل لـه سبـع سنـوات |
| كِـنْ بعينـه ذا مـن الفـرقـا شـراره | أو مخاليب الاوحوش الطايرات |
| والعصـر مضـواه عنـد إخـو سـاره | راعـى ادلال بيـض متعبـات |

## الـمـعـانـي:

قد عرفنا أن هذا البيت الخامس مهم موضوعه فيها، لأنه نتيجة إرسال هذا المندوب وإعجاله، راكبًا هذا الجمل الموصوف بالسِّمَن

والقوة والهيكل الطيب، وهو انتصاب فقارته (الورك)، فقوة المركوب تعين على سرعة تأدية المهمة وهي خطبة محبوبته (ساره)، من أخيها، إذ البنت إنما تخطب من رجالها، وهذا الاهتمام يُشعِر بعظم شأنها عنده: وَوَصْف أخيها بالكرم والحَسَب يرفع شأنها أيضًا، كما أن البنت يهون شأنها بهوان رجالها وإن كانت جميلة.

فلما انتهى من ذكر المرسول والمرسل إليه، شرع في الغاية، وهو ذكر أوصاف محبوبته، ليخفف عن نفسه شدة الغرام، فقال:

ولعتني بالهوى والحب ساره ودلهتني عن غنادير البنات

الغنادير: هن البنات البيض الجميلات. إلى أن قال:

والثنايا قِحْوِيان في قراره نافل نَبْتُه على كل النبات

فالقحويان نبت ربيعي بري له زهر أبيض جميل له وحدات تشبهها أسنان البنت الجميلة، وإذا جلتها بمادة جلو الأسنان زادها جمالاً، فإذا قيل: (ثناياها قحويان) عرف أنه غاية في الجمال. قوله:

والنهود ازبيدي في لِغْدِ قارِه عَلَّها وَبْل الحيا وامْصَلِّعات

فقوله لغد: أي قرب (قاره) بتخفيف الرَّا دون تشديد. وهو الجبل الصغير المتحد، حوله أرض رياضية خصبة (منابت للزبيدي (الفقع الأبيض): وللفقع أنواع أُخَر: منه الخلاسي: الأحمر، والبلوخ، والْجِبا هو فقع الرمل.

قوله: علها وبل الحيا وامصلعات: العل هو السقية الثانية وما بعدها، أما النهل فهو السقية الأولى، وهذا التعريف لكل سقي سواء

(الزرع أو الحيوان)، (وبل الحيا): الوبل هو نقط المطر، والحيا هو: السحاب الممطر يحيي الأرض التي يحيا بها سائر الحيوان، (امصلعات): أي هذا الزبيدي أخذ حده في النمو حتى ظهر فوق التراب، مثل الرأس الأصلع. فهو يصف نهود معشوقته بالزبيدي في هيكله وبروزه، وهي حالة جذابة للمريد، خصوصًا إذا وضع يده عليه في أول الأمر، فَتَنْجَذِبُ له الروح بالمودة. قوله:

وْوجودي وجد مكسور الاجباره ساهر تسعين ليله ما يبات

فالجباره هنا هي عصابة الكسر في العظم، وهي: قطع ألواح وعصابة، يُسْمَتْ بها العضو المكسور ويعصب (مكسور الاجباره)، كما يقال: مريض المستشفى، ونائم الوسادة، وقتيل المعركة ونحوه.

قوله:

أووجود اللي فضا الحاكم ادياره أخذ ماله والحريم امسلبات
عقب ما هو تاجر وراعي عِماره راح فلاح وامـوره هينات

عِماره بكسر العين، نسبة لأعمال التجارة والنمو والعمران:

أما عَماره بفتح العين، فهو: اسم لمساكن هذا الوقت.

قوله:

لا يِمِي يُعْطى حَنِيش في خَباره سُمُّها يَشْظا العظام الصالبات

فهذا دعاء منه على من يلومه في مبالغته وتعطشه في وصف محبوبته، بأن تلدغه الحية شديدة السم حالة غضبها.

والحنيش نوع من الحيّات وهي أشرها.

قوله: في خباره: الخباره هي جحر الجرذي ونحوه، يكون في البَرْ حول الشجر، فهي تدخل عليه وتأكله إن أمكنها أو يهرب عنها وتكمن هي في مكانه لعله يأتيها شيء تأكله، ولكن قد يطأها الإنسان أو غيره برجله حيث كان الناس لا يلبسون نعال، فتغضب فيزيد قوة لدغها، نعوذ بالله من الشر وأهله.

قوله: (سمها يشظا العظام الصالبات): الشظى هو دوام الألم الشديد، أو يقتله سمها. (فهذا الشاعر نبطي: ولكن لم أرى مثل صلابة كلامه، ونَحْسَه، ومطابقة لفظه للمعنى).

أما استطالته في أعراض بعض الناس في باقي القصيدة، فهذا لا يدل على فضيلته هو: إذ ليس هذا من شيمة الكرام، بل لا ينجح من يتعرض الناس بالثَّلْبِ والعيب. وكذلك قوله:

**والمطوع لو يشوف اخديد ساره    طبَّق المصحف وعجل بالصلاة**

ولا شك أن مثل هذا الشاعر في هذه القصيدة ينطبق عليه قول الله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾[(١)]، ونحن لم ننقل القصيدة كاملة، لأنا لا نريد إلاَّ ما كان صالحًا للجميع للإستفادة منه وبه كفاية. (انتهى).

جاء في الحديث: «ما سُئِلَ الله شيئًا أحب إليه من سؤال العافية» رواه الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما، فأنت أكثر من سؤال الله العافية لدينك ودنياك ونفسك وأهلك. وفي الحديث: «لا تشمت بأخيك فيعافيه الله ويبتليك» رواه الترمذي والطبراني.

---

(١) سورة الشعراء: الآيات ٢٢٤ ــ ٢٢٦.

قُلْ الحق ولو على نفسك أو الأقربين.

(بيضة الديك)، قيل:

**زرتنا مرة في العمر واحدة ثَنِّي ولا تجعلها بيضة الديك**

والديك يسمى: الصارخ ويسمى أبو منذر.

قيل: (سَمِّنْ كلبك يأكلك)، يضرب مثلاً لمن تحسن إليه فيجازيك بشر.

قيل: أذاع جحا أنه سيطير غدًا صباحًا من فوق السطح، وفي الصباح اجتمع الخفيف من الناس، لينظروا كيف يطير، فطلع فوق السطح، وجعل يعوم بيديه في الهوى كأنه يريد يطير، فجاشت عقول الناس يظنونه سيلقي نفسه، وبعد لحظات وقف والتفت إلى الناس، وقال: أتظنون أن جحا مجنون؟ قالوا: نعم: فقال: أنتم أجن، كيف تصدقون أن جحا سوف يطير؟.

ومرة غسلت زوجته ثوبه ونشرته في السطح، فحملته الريح وألقته بالشارع، فلما جاء جحا لبيته وجد ثوبه ساقطًا بالشارع، فأخذه وغضب غضبًا شديدًا وأتى يضرب زوجته يقول: تنشرين ثوبي بالسطح يسقط بالشارع وشْ لوْ أنا فيه؟. (انتهى).

* * *

## لتعلم تصدي الرجال للأعمال واهتمام النساء كذلك

قيل: كان أمير قد منع الفلاحين عن القيام بعمل السواني بالليل حتى يصبحوا، وقال: من وجدناه يسني قبل الفجر سوف نحلق لحيته، نكالاً على المخالفة، وكانت اللحية لها قيمة عند العرب، وكانت عادة الفلاحين يقومون بعمل السواني من نصف الليل أو قبل الفجر، من أجل راحة الإبل وبركة البكور، فالناس امتثلوا أمر الأمير وتأخروا عن عمل السواني مبكرًا، وكانت السواني تسمع من بُعد لا سيما بالليل، فإن الصوت بالليل أبعد، كما أن سلطان البصر بالنهار أبعد.

ومن جملتهم فلاح له بنت حاذقة، حازمة، لما حان وقت عمل السواني من الليل، ولم يقم أبوها بعمله على عادته، جاءته وأيقظته، وقالت: وراك ما صدرت السواني على عادتك؟ فقال: أما علمتي أن الأمير قد منع عمل السواني من الليل؟ ويقول من وجدناه يسني قبل الفجر سوف نحلق لحيته، فأنا أخاف على لحيتي. فقالت له: قم وصدر سوانيك، وخلك مع أول الرجال ولو بحلق اللحى، فقام الرجل وصدر

سوانيه، وفي الصباح استدعاه الأمير ليعاقبه بحلق لحيته، ولكن الرجل اعتذر بأن هذا رأي ابنته وشورها، فعفى عنه الأمير، وقال: إذًا زوجني إياها، فزوجه إياها، فهذا فيه اعتياد الحزم والنشاط وعدم التواني في الأعمال. (انتهى).

* * *

## ومن عادات أهلينا

أنهم يذهبون لأعمالهم يمشون في الطرق في ضواحي البلدان، قريب وبعيد، جماعات ووحدان، رجال ونساء، على أرجلهم، ويحملون بعض أثقالهم وعفشهم على رؤوسهم، وعلى الحمير والإبل، ليلاً ونهارًا وأكثر أعمالهم في آخر الليل وأول النهار، ويستريحون وسط النهار، ثم النساء ليس عليهنَّ كثير خوف إذاك، لأن البلاد ليس فيها غير أهلها، وهم معروفون لدى بعضهم، حتى أثرهم في الأرض يعرف، لقلة لبسهم النعال، وهم أيضًا يحافظون على شرفهم وسمعتهم، ويخشون الخزي والعار عند بعضهم، وكذلك النساء تحافظ على الشرف وتحاذر العار، ولهذا كانت بعض النساء تسعى في حوائجها من حطب وعلف، وتحمله للبلد على رأسها، وتبيعه وتشتري طعامًا لأولادها أوقات المساغب، وتحمل على رأسها وترجع في طريقها، وقد شاهدتُ ذلك، فالحمد لله على نعمه الظاهرة والباطنة التي لا تحصى أولاً وآخرًا. (انتهى).

* * *

# وا حِلوَ الزول الحي

كانت ضواحي البلد حارات فلاحين، وكثيرًا ما يمشون إلى البلد في حوائجهم على أرجلهم، وعلى الحمير، رجالاً ونساء.

وذات يوم جاء رجل منهم إلى البلد، واشترى له خروفًا (أضحية) وخرج به يمشي، فلما خرج من البلد أبى الخروف عن المشي، وأتعبه، ولكن يسر الله له امرأة، خرجت من البلد تمشي إلى جنب طريقه، وقد طوت عباءتها ورفعتها على رأسها حين خرجت خارج البلد، وعليها ثوبها الكبير الخباب، ورفعت أكمامه على رأسها، فلما رآها الخروف ركض في أثرها، ففرح الرجل وتبع الخروف خلف المرأة، ثم إن الرجل أراد أن يمازح المرأة عن بعد، فقال: يا حِلْوَ الزول الحي (يعني جسم المرأة ويعني أنها شابة جميلة) ولكن المرأة ساكتة تمشي في طريقها، وكلما ركض الخروف خلفها، قال الرجل: الله أكبر، حتى البهائم تعرف الزول الحي، فلم تكلمه ولم يعرفها، ثم إن الرجل جعل يقول: أنا ما معي أحد، زوجتي شُصُبه ما تصلح، وكذا وكذا، وأكثر الكلام في مثل هذا تجاه هذه المرأة البعيدة منه، ثم قال: لو يحصل لي امرأة زينة زولها حي، فقالت المرأة: أنا، فقال: آه ما أنتي مع زوج، قالت: لا، ففرح جدًا، ثم إن المرأة حادت به عن الطريق إلى

غابة شجر (أثل) وهو في أثرها لم يشعر بما أرادت، فلما وصلت إلى وسط الغابة مجتمع أثل جانب الطريق، وقفت والتفتت إليه ورفعت الخمار (الغطا) عن وجهها وإذا هي زوجته، أم إعياله فقالت: تعال يالفسقان، أثْرك هكذا، تبغي تعرس، وقالت: (يوم أنا زوجتك وأنا عندك، إني شصبه، ويوم صرت ما أنا لك صار زولي عندك إنه حي) ثم مسكته ووضعته على الأرض كأنها تريد تغوله، (تخنقه) فقال: هاه أثرها أنتي، أنا أضحك عليك، فقالت: لا ما أنت تضحك، فجعل يحلف ويعتذر أنه غير صادق قالت: وين الدراهم التي أنت جامعها تريد تعرس بها؟ فقال: شوفيها تحت النقيرة بالمجلس القهوة، خوذيها، فقالت: عاهدني إنك ما تعرس، فعاهدها، وقامت عنه ومشوا إلى محلهم جميعًا، ويحلف ويعتذر أنه يمزح غير صادق.

والنقيرة هي: حجر كبير في وسطه نَقْرٌ يدق به القهوة، توضع عند محل عمل القهوة، ولها عمود حجر شبه الذراع يدق به، لونه أخضر أسود.

فانظر قدرة الباري سبحانه كيف تصورت له زوجته هذا التصور في حالة كونها أجنبية منه؟ (وهذا شيء مطرد، فكثير من الناس كذلك، وحلو الزول الحي). (انتهى).

* * *

## ناشيء الفتيان.. قيل:

مشىٰ الطاووس يومًا باختيال فقلد شكل مشيته بنوه
فقال علامَ تختالون؟ قالوا: مشيت به فنحن مقلدوه

وقيل:

وينشأ ناشيء الفتيان فينا على ما كان عوده أبوه

يعني وتنشأ البنت على ما عودتها أمها غالبًا، كما قيل: (ما قالت أمنا قلناه).

فالابن يتعلم ويكتسب أخلاقًا من أبيه وأخيه وقريبه وقرينه، فإن رأى أباه يصدق في القول ويكره الكذب، فالابن كذلك، وإذا كان الأب يحب القرآن ويدرسه ويحافظ على تعاليمه؛ تعلم الابن ذلك وعاوده، وإذا كان الأب يكرم الضيوف ويرحب بهم ويكرم الجار ويحاذر الأذى على الناس ويكرهه ويحب الإحسان؛ وجدت الابن كذلك، وإذا كان الأب يصبر على المشاق في طلب المعالي ويحمي ذمامه؛ وجدت الابن كذلك، غالبًا فيقول: كان أبوي يقول كذا، كان أبوي يفعل كذا وكذا، وإذا كان الأب بخلاف ذلك؛ وجدت الابن مثله غالبًا (إلَّا ما شاء الله)، وكذلك الأم إذا كانت امرأة عفيفة حيية متسترة، قليلة الخروج من

البيت، وتحب الزوج وتكرمه وتحترمه وترحمه وتوقره وتتجمل له وتطيعه في كل شؤونه وتوفر ماله وتحفظه وتصل قرابته وتصبر على بعض ظروفه الشاقة، رجاء صلاح حالها معه كل ذلك من مكارم الأخلاق، وتتعلم البنت ذلك من أمها غالبًا، كما يقال: (إذا بغيت تضمّها فانشد عن أُمِّها)، والله الموفق، وإذا تعلم الأولاد ذلك من أبوانهم فلهم أجر عظيم؛ لأن من دل على خير أو علمه فله مثل أجر فاعله، وإذا تعلم الأولاد ضد الخير من أبوانهم فعليهم وزر في ذلك عظيم؛ لأن كل راعي مسؤول عن رعيته، وإذا لم يرد الله لبعض الأولاد هداية بعد اجتهاد أهله، فأجرهم على الله سبحانه (وإليه يرجع الأمر كله). (انتهى).

* * *

## إفادة.. في ذكر نوع لباس نساء أهلينا

فأنا أدركت النساء حتى الوقت القريب، تلبس ثوبًا كبيرًا خبابًا فوق القميص (المقطع) إذا خرجت من البيت فلا تخرج إلاَّ وهو عليها، يغطي يديها ورجليها، وهو المذكور في الحديث: قال: (يرخينه شبراً قالت إذًا تنكشف أقدامنا: قال يرخينه ذراعاً ولا يزدن عليه)، ثم عند العمل ترد أكمامه على رأسها وتحتزم بأسفله، وفي غير وقت العمل والمشي في الطريق لا تحتزم بأسفله، وإذا احتاجت دخول البلد تلبس فوقه عباءة غليظة من الصوف الناعم، أو الجوخ ليست من هذا النوع الخفيف الفاتن، وتحمل ما لديها من متاع أو عفش على رأسها وتسير في الطريق، تمشي على رجليها، حتى لو كانت ذات حمل أو رضاع، وربما يأتيها الوضع (الولادة) وهي في أثناء العمل بالمزرعة ونحوها، مع ما تجده أثناء حملها من سهولة الحمل والوضع، لتمارس الأعمال، فأنا شاهدت ذلك منها، فتحمل ولدها وتأتي لبيتها، زد على ذلك ما يجده ولدها من وفرة لبنها وصحته، لأنها لا تستعمل ولا توجد العقاقير، ولا تناول الأدوية والأغذية الكيماوية، فسبحان مغير الأحوال.

وأما صحة أجسام البنات فهي صحة معتدلة، أحسن مما نشاهده

في هذا الزمان، مع أنها ذاك الزمان تعمل في البيت والمزرعة أو البر أكثر من غيرها، زد على ذلك أنها لا تحصل على ما يكفيها من الطعام، فهي تتعب فيه، فتدق البر وغيره، فتنقيه وتطحنه بالرحا وتطبخه وتقدمه لأهلها وتستحي غالبًا هي أن تأكل معهم، فلا يبقى لها إلاَّ ما بقي في القدر بعد غرفه من الْحِكاكَةِ ونحوها وكانت تقول وهي تهبش الدخن:

هبّـــاشتـــه مـــا ذاقتـــه     كـــود العنـــا واحكـــاكتـــه

والعنا هو: التعب.

وإذا تساءلنا لماذا أجسامهنَّ ذاك الوقت أحسن صحة منهنَّ هذا الوقت، مع توفر النعم والراحة هذا الوقت؟ فيمكن أن يقال لهذا أسباب: منها (التعب) وهو أحسن رياضة للجسم.

ومنها خشونة العيش مع شيء من الجوع، فهو أخف للمعدة وأسلم لها عن التعفن، وأصل الصحة هو أن الطعام إنتاج وطني ليس من هذه المعلبات والمركبات التي لا تعلم حالها على الحقيقة، أو فيها مواد كيماوية. ومن أسباب الصحة أيضًا استعمال المسهل في بعض الأحيان، فإنه ينظف المعدة من الفضلات، كما ذكره ابن القيم في كتابه «الطب النبوي»، ويمكن أن يقال من أسباب الصحة أيضًا راحة الفكر، لأنه ليس هناك اتصالات تشغل الفكر (والنعيم في راحة البال)، ومع ذلك كله بركة في الأجسام ذاك الوقت.

وأما نوع أكلهم، فليس يحصل لهم (البر) كل وقت بل غالب وقتهم يأكلون الشعير مع البر والذرة والدخن، ويوجد نوع من الدخن

يسمى امْلَيْسا، سريع الإنتاج حبه أملس صغار، يطحن ويطبخ، وإذا أكَلْتَهُ يحدث معك حَصَرًا وهو (وجع في المجاري البولية) فتبقى كل ليلك جالسًا تبول كأن فيك طعن سكاكين، وبعضهم يتركه وهو جائع خوفًا من وجعه، والذي يأكله؛ إنما يَحُدُّهُ عليه الجوع، كما قيل: (يحدك على مُرّان أمَرُّ منه). (انتهى).

* * *

# لبس النعال في القديم

نـادر فـي ذاك الـوقـت لبـس النعـال رجـالاً ونسـاءً، بسبـب القلـة والفقر، فنخرج وقت الشتاء في الصباح المبكر للبر في طلب المعايش من حطب وعلف وجراد ورعي الدبش (المواشي) وغير ذلك، والسير في الطرق والسفر بدون نعال والأرض بيضاء من الثلج، وتموت أرجلنا بردًا، فلا تحس بلطم الحجر والشوك، ويقابله المشي وقت الحر والرمضاء كذلك بدون نعال، حتى ربما تتورم الأرجل في بعض الحالات، ويقابله أيضًا المشي في الأرض الحجرية والشوكية بدون نعال، ويعلم الله أني صادق، وقد جربته أنا، وأحيانًا تحفي الأرجل وتتخرق وتدمى، فيأخذ قطعة من جلد البعير أو الغنم فيربطها على رجله ويمشي، وقد لا يجد قطعة جلد، فيقطع من طرف ثوبه فيربطه على رجله ويمشي، كما قال الشاعر:

**ولمـــا رَأَتْ أَنَّ الْمَنِيَّـــةَ وِرْدَهـــا وأن الحصى من تحت أقدامها دامِي**

**تيممـت العيـن التـي عنـد ظـارج يفيء عليها الفيء عرمضها طامي**

والعرمض هو الطحلب الذي ينبت وسط الماء لونه أخضر (الشِّبا).

فأنا شاهدت في ذاك الوقت وأنا صبـي، بعض النساء قد حَتَّ

(تساقط) شعر وسط رأسها من كثرت ما تحمل عليه من حطب وعلف وعفش ومتاع وَقِدْرُ ماءٍ في حالة طلب الماء، فإنهم ليس لديهم ماء في البيوت، إنما يروون (يستقون الماء) من بعيد على رؤوسهم وظهورهم، ولا يوجد الماء الحلو في بعض البلدان وبعض القرى، فيشربون مما يجدون، فقد لا يجد الإنسان بعيرًا ولا حمارًا يحمل عليه، فيضطر أن يحمل أغراضه على رأسه أو ظهره وعلاقتها على رأسه.

فأنتم: احمدوا الله على هذه النعم وقيدوها بالشكر، قال الله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾(١).

وشكر النعم ثلاثة أنواع:

١ ــ الاعتراف بها باطنًا.

٢ ــ والتحدث بها ظاهرًا.

٣ ــ وصرفها في مرضاة مسديها ومموليها سبحانه.

كذلك الصبر ثلاثة أقسام:

١ ــ صبر على طاعة الله.

٢ ــ وصبر عن محارم الله.

٣ ــ وصبر على أقدار الله المؤلمة.

والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد. (انتهى).

* * *

(١) سورة إبراهيم: الآية ٧.

## أمثال سالفة

قيل: (لو أنصف الناس؛ لاستراح القاضي).

وقيل: (إذا صار صاحبك حلوًا فلا تأكله كله).

وقيل: (من وضع سلاحه حرم قتله).

جاء في الحديث: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة» رواه الترمذي.

وفي الحديث: «لا يمُوتن أحدكم إلاَّ وهو يحسن الظن بالله» رواه مسلم وأحمد. قيل:

**والنفس كالطفل شَبَّ على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم**

جاء في الحديث: «نعم المال الصالح مطية الرجل الصالح إلى الآخرة» أخرجه الإمام أحمد بنحو ذلك.

وقال المتنبي:

**وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني فاضل**

وقال:

**وما الحسن في وجه الفتى شرف له إذا لم يكن في فعله والخلائق**

قيل: (يفسد الفقه نصف فقيه)، و (يفسد النحو نصف نحوي)، و (يفسد الأبدان نصف طبيب)، وذلك لأنهم لم يتقنوا الفن الذي هم فيه حتى الآن، يقال: (لعل الصديق سعيد لو هو بعيد).

ويقال عند استبطاء الشيء: (على الحول يا على نحت الركايب).

ويقال: (أكْلُ الفهود ولا أكل السنانير)، معناه: احرص أنك لا تغلب، ولكن إذا قدر عليك انغلاب فكون الذي تغلب عليك أكبر وأشرف منك، أهون عليك من أن يغلبك من هو دونك، ومثله ـ قولهم: (وطية الحصان ولا وطية الحمار، والوطية هنا هي: الدعسة. (انتهى).

* * *

# أســد يا أســد

سافرت قافلة للحج على الإبل، برفقة إبنة الملك، وكانوا قد صنعوا لها صندوقًا كبيرًا من الخشب، تجلس فيه أكثر وقتها، (تكون فيه وقت السير في الطريق، يعلقونه على جنب الناقة ويعادله على الجنب الثاني شيء من العفش. وإذا نزلوا نصبوا الخيمة وأدخلوا الصندوق فيها، ففتحت وخرجت فإذا أرادت تنام دخلت في الصندوق لتأمن ضرر الهوام والسباع)، وكان الخدم يحفون بهذا الصندوق ويحفلون به، وإذا هناك حرامي من أهل البر يسبرهم من خلال الشجر ليسرقهم، ورآهم يحفلون بهذا الصندوق فظنه صندوق دراهم، فركز على نهبه، فلما نزلوا قَرُبَ منهم في الشجر فلما غربت الشمس قرب ليعرف محل الصندوق فيسهل عليه نهبه، فلما هجعوا وناموا بالليل، أتى يدرقهم حتى دخل الخيمة، فحمل الصندوق والبنت فيه لم تشعر أنه حرامي وإنما ظنتهم أصحابها حملوها ليسيروا في الطريق.

فهذا الحرامي لما تجاوز النَّزِل ووصل شعيبًا هناك، وضع الصندوق، وأهوا عليه يكسره ليأخذ ما فيه من الفلوس ويترك الصندوق ليخف عنه الثقل، وحين ضرب الصندوق تكلمت البنت داخله اصبر اصبر أنا أفتح، حيث عرفت أنه حرامي قد حملها، فاستسلمت له

وفتحت، فعرف أنه أفلس من الدراهم، وأراد أن يتعوض عن هذا الإفلاس بأن يفتك بها في عرضها، (مع أن العادة والسلم عند عامة العرب، والقوم في الحرب لا يتعرضون لأعراض النساء إذا تغلبوا)، ولكن هذا أراد يتعوض عن إفلاسه بعرضها، فأمرها أن تنفعل له ففعلت فلما قرب منها وإذا يطلع عليه أسد يزأر فقام ولقيه فضربه فقتله، فرجع إليها فلما قرب منها طلع عليه أسد آخر فقام عنها ولقيه فضربه فقتله، ثم رجع إليها فلما قرب منها ظهر عليه أسد ثالث كذالك، فقام عليه ولقيه وضربه فقتله، ثم رجع إليها وقال لها ادخلي في صندوقك عسى الذي قطعني منك بالحرام ما يقطعني منك بالحلال.

فحين فعل فعله هذا القوي الشجيع، ودعا بهذا الدعاء، أحبته البنت بالحلال، وقالت له إن كنت تريدني بالحلال فاتبعنا حتى نحج ونرجع لبلادنا وسوف أتزوجك، فأنا بنت الملك فلان؟ فقال نعم أنا أريدك بالحلال وسوف أتبعكم إنشاء الله، فدخلت في صندوقها وحملها حتى وضعها في خيمتها، وربعها نيام لم يشعروا بما حصل عليها، ولم تخبرهم بذلك، فجعل صاحبها الحرامي يمشي على رجليه إلى جانبهم رجلاً عاديًا يضيفهم بالليل، حتى حجوا ورجعوا إلى بلادهم، ودخل معهم بلادهم، إلاَّ أنه لم ينظم إلى محلهم، ينتظر موعدها له بأنها سوف تنظِّم له طريق الحصول على تزوجها.

ولكن يا للأسف، فحين وصلت وإذا أبوها قد زوجها ابن أخيه، والليلة موعد الزفاف، وقد نظمت الأمور وأجريت الحالات من حين وصولها، فلم يمكنها التصرف في أمرها، وزفت على ابن عمها

فاستسلمت لأمر أبيها الخارج عن نطاقها، ولم تخبر أباها بأمرها حيث قد فات الأمر، وحين قرب منها زوجها ابن عمها وتو ضمها، إذ به يسمع حركة خفيفة حوله، كحركة سنور أو نحوها؟ فاهتز الولد (الزوج) وبردت رجولته وانفل عزمه؟ فابتسمت البنت ضاحكة، وكان الولد الزوج ذكيًا، إلاَّ أنه ابن غناة لم يعتد الخشونة والمصاعب والمشاكل، كما في المثل (عشبة ظلال)، فانتقد ضحكها عليه، وهي بنت بكر غافلة لا تعرف أحوال الزوجية؟، فقال في نفسه كيف انتقدت مني هذه السقطة؟ فلولا أنها تعرف ما هنالك لما انتقدتني؟ فعزفت نفسه عنها، واعتزلها، ثم ذهب يخبر عمه بالواقع ويقرر له أنها غير حصينة ولا أمينة على نفسها؟ فاغتاظ أبوها الملك لقوله وذهب إليها يفحص الحقيقة، (ماذا صنعتي مع زوجك؟ وكيف تنتقدين أمرًا لم تكوني تعرفينه قبل ذلك، فهل أنتِ فاسدة غير حصينة؟)، فاستقبلت أباها بصدر رحب، وجواب كريم، قالت: (أبشر يا والدي أني امرأة حصينة عفيفة، سليمة ولله الحمد، ولم أقارب أمرًا يمس كرامتك، ولكن أخبرك بتجربتي ذلك حيث حصل عليّ في طريق الحج كذا وكذا، فعجبت من تفاوت الرجلين؟ فذاك يستقبل الأسد حالة اكْفِهْرارِه وَزَأْرِهِ فيقتله ويرجع إليّ بعزمه ونشاطه، يفعل ذلك ثلاث مرات، وابن عمي هذا يهتز وتسكن حركته من أجل سماع حركة ضئيلة؟ فهذا سبب ضحكي يا والدي)، فحينئذٍ سُرِّيَ عن أبيها وأسفر وجهه، وأقرها على ذلك، ولكنه قال لها: فابن عمك الآن عزفت نفسه عنك فلا يريدك؟ فقالت وأنا لا أريده إذًا، فقال: فأين صاحبك إذًا؟ قالت: هو معنا الآن في البلد.

فرجع الأب للولد وأخفى عليه كلام ابنته، ولكنه قال: نحن ما نقول إلاَّ خيرًا، إذا أنت لا ترغبها فأنت وذاك؟ فقال: لا أريدها فطلقها وانتهى.

فقام أبوها (الملك) بعملية إمكانية الحصول على الرجل الأجنبي، وعملية تجربته بصدق البنت. فأقام وليمة كبيرة، دعا إليها عموم أهل البلد، وربطوا أسدًا عند الباب المدخل الرسمي، وأمر خدامه أن يجمعوا جميع من حولهم من الرجال، فجمعوهم فمن أتى ورأى الأسد عند الباب رجع، فيقال له اذهب ادخل من الباب الثاني، وكان الملك وابنته جالسين في النافذة تنظر الداخلين تتعرف صاحبها الأجنبي فلم تره، فسأل الملك الخدام هل بقي أحد؟ فقالوا لا، إلاَّ رجلاً أجنبيًا في المسجد، فقال ادْعوه، فلما أقبل على الباب جعل الأسد يَزْأَرُ فانتخا عليه وزجره. قال (أسد يا أسد) فخمد الأسد وخفض أذنيه وذنبه.

فدخل من عنده والملك ينظره فقالت البنت: هو هذا.

فنزل الملك إلى الناس وأذن لهم في التقدم للمائدة، وصار هو حول الرجل الأجنبي، لما فرغ من الأكل سلم عليه وأدخله في المجلس الخاص، وسأله هل أنت صاحب البنت في الطريق بكذا؟ قال: نعم، فقال له: هل تريد الآن نزوجك إياها؟ قال: نعم، فعقد له وزوجه إياها بعد تمام عدتها. (انتهى).

* * *

## تريد ابنها يأكل أكثر

قيل: إن امرأة كان لها ابن، ولم تعجبها شهيته الطعام، فذهبت إلى العطار، وقالت: إن ابني قليل الشهية، وأريد له دواء لعله يفتح شهيته، فقال العطار: كيف مقدار أكْله الآن؟ ليعرف كيف يركب له دواء، فقالت: هو يأكل مُدَّيْن في الوجبة الواحدة، قالت: وأنا وِدْي أرَكِّدُهُ على الصاع. فأغلق العطار دكانه تلك الساعة، وقال: أنْتي تَريدينَهُ يَنْسَعِرْ. (انتهى).

* * *

## فصل:

## هل تعرف الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية

توحيد الربوبية: هو معرفة الله سبحانه بأفعاله، بأنه الخالق الرازق المعطي المانع المدبر المحيي المميت الباعث، فهذا هو الرب المالك، وهذا يعرفه المشركون ويقرون به. قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[1]. ولكن هذا لم يدخلهم في الإسلام. ولم يبعث الله الرسل لتعريف هذا فقط، وإنما بعثهم لتعريف توحيد الألوهية، وهو توحيد العبادة لله، توحيد الله بأفعالنا، محتجًا بِتَوَحُّدِهِ بالربوبية، وهذا هو الذي وقعت فيه الخصومة بين الرسل وأممهم، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[2].

ولما ظهر ابن عبد الوهاب في نجد، واشتهر بتجريد توحيد الألوهية، جاشت عقول أهل الشرك في أنحاء البلاد، لأنهم لم يعرفوا حقيقة دعوته، فقدم عليهم رجل من أهل نجد فسألوه: ماذا يقول هذا الرجل فيكم؟ فقال: إنه يقول: (اعرفوا الله بأفعاله، وأفردوه بأفعالكم). (انتهى).

---

(١) سورة الزخرف: الآية ٨٧.

(٢) سورة النحل: الآية ٣٦.

# الحجاج

كان عبد الملك بن مروان، من خلفاء بني أمية، فأعياه أهل العراق في سلوكهم مع الأمير. فتارة يقتلونه، وتارة يعصونه، وتارة يخرجونه، فتحاشاهم الناس وأبوا التأمر فيهم.

فالخليفة عبد الملك، قيل: إنه جمع الناس حوله ونادى فيهم (مَنْ للعراق؟) يعني: من يريد يتأمر بالعراق؟ فلم يتقدم أحد، إلاَّ رجلاً نحيف الجسم دميم الوجه، وهو الحجاج بن يوسف، لما لم يتقدم أحد قام هو وقال: أنا للعراق، فازدراه الخليفة ولم يقبله وأشار إليه إجلس. ثم أعاد الخليفة النداء مرة ثانية؟ فلم يقم أحد، فقام هذا الرجل وقال: أنا للعراق، فلم يقبله الخليفة وأعرض عنه، ثم أعاد الخليفة النداء مرة ثالثة: من للعراق؟ فلم يقم أحد، فقام هذا الرجل الذي هو الحجاج وقال: أنا للعراق، فقال له الخليفة: (أنت لا بسامةٌ ولا جَسامَةٌ) فقال الحجاج: البَسامَةُ للنساء والجَسامَةُ لِلنِّضا، (يعني الإبل) مَا لَكَ من الرجل إلاَّ أصغريه (يعني قلبه ولسانه)، فَأَعْجَبَ الخليفةَ جوابُه، وعرف كفاءته للإمارة. فقال أنت للعراق، اذهب إليهم فأنت أمير عليهم. ثم أرسل الخليفة كتابًا لأهل العراق مع البريد، فيه: (إنه يقدم عليكم الحجاج بن يوسف أمير عليكم فاسمعوا له وأطيعوا)، فركب الحجاج

وتوجه إلى العراق، ولكنه أبطأ سيره في الطريق، فأقام نحو أربعة أشهر قبل وصوله إليهم (فلا أدري ماذا يريده بهم في البُطىء؟) فلعله يريد أن تنفل عزومهم ومكائدهم، فيقولون ليس هنا أمير، فيبغتهم كما فعل.

الحاصل: أنه لما وصلهم جعل قدومه عليهم يوم الجمعة أول دخول الإمام للخطبة، وكان الأمراء هم الذين يخطبون الجمعة ويصلون، ومعه السيف يتكىء عليه بدل العصا، فهذا الحجاج أناخ ناقته عند باب المسجد ودخل متلثمًا وقصد المنبر ورقى عليه وهو متلثمًا، فكان أول افتتاحه الخطبة أن قال:

**أنا ابن جلاً وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني**

ثم أنزل اللُّطمة عن وجهه ورفع السيف مسلولاً يتهوزهم به ويقول: يا أهل العراق، يا أهل الكفر والنفاق، أنتم الذين فعلتم وفعلتم، والله لأفعلن بكم وأفعلن، ثم حذف السيف عليهم فقتل منهم بهذه الحذفة، فانذعروا منه وانهارت أعصابهم، فما قامت عليه منهم قائمة بعد، وصار عليهم سوط عذاب حتى هلك الخليفة عبد الملك وهلك هو.

وقيل: كان أول عمله فيهم: أن أمر عليهم أن يأتي كل واحد منهم بصاع بر (قمح) ويأخذ بدله صاعين، فسئل عن مراده بذلك؟ فقال: أريدهم يدخل عليهم الربا فلا يقبل منهم دعاء عليّ.

ومن نكت الحجاج أنه إذا سجن أحدًا وأراد زيادة تعذيبه: سجنه مع غير جنسه. (انتهى).

* * *

## ذو القرنين يعزي أمه بنفسه

ذو القرنين مَلَكَ الدنيا كلها، وطاف مغارب الأرض ومشارقها، وما بين السدين ثم رجع لبلاده، فمرض في طريقه وظن أنها علة الموت، وأراد أن يعزي أمه بنفسه، فكتب إليها، وأمرها أن تعمل مائدة كبيرة، وأن تدعو إليها الناس كلهم إلاَّ مَنْ قد أصابته مصيبة، فقامت أمه ونفذت ما قال، ودعت الناس كلهم، فمن جاء سألته هل أصابته مصيبة فيقول: نعم، فيقال: ارجع، فما جلس على مائدتها أحد، فعرفت مراد ولدها، فقالت: رحمك الله يا ولدي، لقد عزيتني في نفسك وأنت حي، فمات في طريقه، فكُتِبَ على قبره:

خذ القناعة من دنياك وارض بها ... واجعل نصيبك منها راحة البدن
وانظر إلى مَن حوى الدنيا بأجمعها ... هَلْ راحَ منها بغير القطن والكفن

* * *

# ما خَلّن الليالي مَن لا كونّه

قيل: كان عامل يسني ويغني، يقول:

مـا خَلَّــن الليــالــي مَــنْ لا كَــوَنُّــهْ . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

ثم نزع في سوانيه في حالة نزع الماء من البئر، وإذا بقربه ابن الأمير سمعه فغضب عليه وقال: كذب هذا القائل، فأنا ما كوتني الليالي، وكان ابن الأمير يحمل سيفه، فأقبل إلى العامل ليقتله، لكن العامل جاء في الدورة الثانية وأكمل بيت الشعر قبل وصول ابن الأمير إليه بقوله:

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . ومَـن لا كـونـه عـابيـات لـه عبـاه

فحين سمعه ابن الأمير رجع وقال: خِفْ مِنْ هذا. (انتهى).

* * *

# فـصـل
## في منافع لا حول ولا قوة إلاَّ بالله

كان عرش الرحمن على الماء، ثم خلق حملة العرش، أربعة ملائكة عظام، فقال لهم: أتدرون لماذا خلقتكم؟ قالوا: لما تشاء، قال: لتحملوا عرشي، قالوا: كيف نحمله وعليه عظمتك؟ فقال: قولوا لا حول ولا قوة إلاَّ بالله، فقالوها: فحملوه، قرره بعض العلماء، وأورد ابن جرير نحوه عن ابن زيد.

وهي كنز من كنوز الجنة، حديث متفق عليه.

ويوم القيامة يكون حملة العرش ثمانية ملائكة عظام.

قال تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾[1].

ومن ذلك حديث أبي عوف من أصحاب النبي ﷺ، وابنه عوف أسره العدو (الكفار)، فأتى أبوه إلى النبي ﷺ؛ يشكوا إليه يقول: يا رسول الله إن عوفًا قد أسره العدو وأوثقوه بِالْقِدِّ، فقال الرسول ﷺ: أرسل إليه وقل له يكثر من قول لا حول ولا قوة إلاَّ بالله، فصار عوف يقولها، وفي ذات ليلة انفك أسره وانطلق يمشي، ثم وجد إبلاً من إبل

(١) سورة الحاقة: الآية ١٧.

العدو فاستاقها وأتى بها إلى المدينة؛ فطرق باب أهله ليلاً، فقال أبوه: هذا عوف جاء، فقالت أمه: أين عوف مأسور عند العدو بِالْقِدِّ، ثم نظر أبوه من شق الباب، وإذا هو عوف ومعه رعية إبل قد كسبها من عدوه، وذلك ببركة لا حول ولا قوة إلاَّ بالله. والحديث أورده ابن أبي حاتم وغيره عن محمد بن إسحاق.

كذلك جاء في حديث قال دعاء المكروب: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾[1]. رواه الترمذي. (انتهى).

* * *

(١) سورة الأنبياء: الآية ٨٧.

## أولاد أبنائك هم أولادك.. دون أولاد بناتك

كما قيل:

أبنـــاءُ أبنـــائِنـــا أبنـــاؤنـــا　　وأبناءُ بناتنا أبناءُ الرجال الأباعد

قيل: هناك أمير أظهر جائزة لمن يأتي له بثلاثة أبيات شعر كلها على قافية (لا)، وكان أحدُ رِجاله: له بنت ذكية، ورأت أباها مشغول الخاطر يفكر، فسألته ماذا؟ فأخبرها خبر الأمير، فقالت: بسيطة، اذهب إليه وقل له:

نَبـــتْ الشعـــر بـــاذراعـــي　　وإلا بكفـــــــــــي لا
وولـــد وِلْـــدِي وِلْـــدِي　　وولـــــــد بنتـــــي لا
وَكُـــلٌ بعقلـــه راضـــي　　إلا بمـــــالـــــه لا

فقال له الأمير: الجائزة حصلت لك، لكن أخبرني: من أعلمك بذلك؟ فقال الرجل: إنها ابنتي، فقال الأمير: إذًا زوجنا إياها، فزوجه إياها. (انتهى).

* * *

## يا مقيط دوك رشاك

كانوا يذهبون إلى الجبال الوعرة، وينزلون من فوق، بالحبال يأخذون أفراخ الطيور الأحرار (الصقر).

فذهب إمقيط وصاحبه لذلك، فلما وصلوا أعلى الجبل نزل إمقيط ومسك به صاحبه الحبل، فلما وصل إمقيط إلى (الماكر) سأله صاحبه: هل وجدت شيئًا؟ قال: نعم قال: كم؟ قال: ثلاثة، وهي معروفة الأسماء عندهم، فالأول اسمه: (النادر)، والثاني اسمه: (اللزيز)، والثالث اسمه: (التلوى) وهو الضعيف، فالصاحب سأل إمقيط قائلاً: النادر مَنْ هُوَ لَهُ؟ فقال إمقيط: النادر لي، قال: واللزيز؟ قال إمقيط: اللزيز لاخوي، قال الصاحب: وأنا؟ قال: لك التلوى. قال: أَجَلْ يا إمقيط دوك إرشاك، ففك الرشا من يده، فسقط إمقيط وأفراخ طيوره وتقطع في عرض الجبل إلى اليوم. (انتهى).

* * *

## سَوِيد يا حَلالِي.. لشجاعة العبد

كان هنا عبد شجاع غير مملوك، لكنه فقير، وله جمل هزلان، فذهب يومًا يحتطب عليه من البر، ليبيع الحطب في السوق لطلب لقمة العيش لأهله، فبينا هو يحتطب في البر، إذ أتى عليه جماعة من رجال البادية، زمن الفوضى، ففرحوا به ليأخذوه غنيمة يبيعوه بقيمة كثيرة، فنزلوا عليه في مكانه ليأكلوا جمله أولاً: ثم يذهبوا به هو. فأمروه أن يذبح جمله ويسلخه، ويصلحه لهم؟ فقال: نعم يا عم، فأتى به وذبحه واشتغل به، وهم أنزلوا عفشهم عن ركائبهم وتركوها ترعا حولهم من الشجر، وكان سلاحُهم بندقيةً واحدةً، فوضعها أحدهم على الشجرة، وانتشروا هنا: فبعضهم يرعا الركائب، وبعضهم يجمع حطبًا، وبعضهم يعمل قهوة، ينتظرون خلوص اللحم، إذ العبد شغال فيه، والعبد حال اشتغاله باللحم، قَدْ قَدَّ سَيْرًا من جلد البعير شبه حبل، بقدر بوع ونصف، فجعل يقطع من زين اللحم والكبد ويشكه بالسير (الحبل) فيقولون له: وش هو له هذا يا العبد؟ فيقول إبغاه عشاء لبناتي يا عم: فيضحكون منه، استبعادًا لرجوعه، حيث اطمئنوا على أخذه والذهاب به.

فلما عبأ السير لحمًا عقد طرفيه ونفضه ليعلم قوته وضبط عقده

وصلاحيته للعمل؟ فاستغفلهم فرفع اللحم ونسفه على ظهره وحبله على رأسه، ثم نهب البندقية من فوق الشجرة، وجمح، (قفز) وإذا هو هناك يعدو يركض، هاربًا عنهم إلى جهة البلد، فانتبهوا له وتنادوا وتناخوا، العبد، العبد، البندقية، البندقية؟ وركضوا في أثره، فلم يدركوه وفاتهم، فرجعوا وركبوا الركائب وأركضوها في أثره، فريض العبد نفسه ليطمعهم في لحاقه، استهتارًا بهم، فلما لحقوه على الركائب، راح هو يركض على قدر ركض الإبل، فإذا قربوا منه زاد ركضًا، فأجهدوا ركائبهم إلى آخر جهدها في الغارة، وإذا أحدهم جمله قعود أملح (أسود)، وتقدم على سائر الركائب، فطمع صاحبه في إدراك العبد، وقارب وصوله فجعل الرجل يضرب جمله ينهمه وينخاه فيقول (سَوِيد يا حلالي ــ سويد يا حلالي)، فضرب العبد مقعدته، من خلف، أسفل من اللحم وقال: سويد يا هلالي ــ سويد يا هلالي)، ثم جعل يقفز وزاد في الركض وأبعد وهرب عنهم باللحم والبندقية.

فرجعوا مأخوذين، إذ قيمة البندقية تعادل عدة جمال ذاك الوقت، في أول وقت ظهور البندقية، فبقوا بدون سلاح، فلو لقيهم واحد معه بندقية (لأخذ ركائبهم. . والعبد أهدى البندقية للأمير فأعطاه لها قيمة جيدة، وجائزة، إكرامية على الشجاعة. (انتهى).

* * *

## فـصــل:
## تعليم العقيدة للعامة

كـان النـاس فيهـم بقـايـا إسـلام، قبـل ظهـور الشيـخ محمـد بـن عبد الوهاب، ولكن غالبهم إسلامه مخلوط بشرك، وأحوال جاهلية، ثم انتبهوا بدعوته كما قيل:

**فأصبح الناس قد هَبُّوا وقد عرفوا    مِـن بعـد رقـدتهـم حينًـا وأزمـانـا**

وكانت دعوته سمحة سهلة سَلِسَة يفهمها كل أحد، حتى الصبيان والنساء، لأنها كلمات ظاهرة معروفة من القرآن والحديث، كما في ثلاثة الأصول، وهي مرجع عقيدة المسلمين، والمدار عليها، واعتمدوا تعليمها الجماعة في المسجد، كل يوم يعلمون واحدًا أمام الجماعة، بعد صلاة الفجر في غالب الأحيان، حتى يحفظها غالبهم عن ظهر قلب.

وانزاح الشرك عن نجد كليًّا والحمد لله، وغير نجد قد وصلهم شُعَاعُ هذا النور، فَتَبَصَّرُوا أحسن مِن قبل، وذلك ببركة دعوته وبجهود آل سعود، أصلحهم الله وأبقاهم للعباد والبلاد ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾[1]، ويا ليتهم يداومون على تعليمها مِثْلَ أوَّلْ، ويا

(١) سورة الأعراف: الآية ١٢٨.

ليته يُعاد للمساجد دورها الأول للتعليم، وبدعوته صحت عقول أهل نجد، فصلحت نياتهم، وعرفوا مصلحة الجماعة، فانقادوا لِوُلاةِ الأمور بالسمع والطاعة، وأخلصوا لهم الوَلاء، وصلحت نيات وُلاة الأمور، فاجتمعت الكلمة، وانتظم أمر الدولة، فأحيوا عصر الإسلام الأول، فانتشر صيتهم في المشرق والمغرب، فأحست الدول بهذا النشاط وخافت من امتداده، فاجتمع مفكروهم وممثلوهم يتساءلون: ما سبب هذا النشاط واستقرار الأمن في البلاد السعودية؟ فقال بعضهم: سببه هو تمسكهم ببعض تعاليم دينهم. فحينئذٍ عرفوا كيف يخططون لوقف أو إضعاف هذا النشاط، فأتوه مِنْ حيث يظهرون تنشيطه وتطويره، فأصبحت حصون المسلمين مهددة من داخلها في سائر بلاد العرب، كما بينه العالم الدكتور: محمد محمد حسين، رئيس كلية اللغة بالإسكندرية، وأخيرًا مدرسًا في جامعة الرياض، فبين نواياهم للمسلمين والعرب عامة، (في كتابه المسمى «حصوننا مهددة من داخلها» ) وهو كتاب مفيد، وأنصح كل مسلم ومسلمة بالاطلاع عليه.

* * *

## فصل

وأما تعليم العقيدة ويسمونها الدِّين، وهو مختصر ثلاثة الأصول.

وهذه الأصول الثلاثة هي التي يسأل عنها الإنسان في قبره، فيقال: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ كما في حديث البراء بن عازب، عند بعض أهل السنن، وهي كما يلي:

### الأصل الأول:

س: من ربك؟

ج: ربـي الله الذي ربّاني وربَّـى جميع العالَمين بنعمته، وهو معبودي ليس لي معبود سواه.

س: ما الدليل على ذلك؟

ج: الدليل قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾[1]. وكل ما سوى الله عالَمْ وأنا واحد من ذلك العالَمْ.

س: بما تعرف ربك؟

ج: بآياته ومخلوقاته (ومِنْ آياته الليل والنهار، والشمس والقمر، ومِنْ مخلوقاته السمـٰوات السبع والأرضون السبع وما فيهنَّ وما بينهما).

(١) سورة الفاتحة: الآية ٢.

س: ما الدليل على ذلك؟

ج: قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴾[2].

س: ما أول ما فرض الله عليك؟

ج: الكفر بالطاغوت والإيمان بالله.

س: ما الدليل على ذلك؟

ج: قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾[3].

س: ما هو الطاغوت؟

ج: هو ما تَجاوَزَ بِهِ العبدُ حَدَّهُ: مِنْ معبودٍ، أو متبوعٍ، أو مطاع، والطواغيت كثيرون، ورؤوسهم خمسة:

١ ــ أولهم إبليس لعنه الله.

٢ ــ وَمَنْ عُبِدَ مِنْ دون الله (أي: غير الله) وهو راضي.

٣ ــ وَمَنْ دعا الناس إلى عبادة نفسه.

٤ ــ وَمَنْ ادعى شيئًا من علم الغيب.

٥ ــ وَمَنْ حكم بغير ما أنزل الله.

---

(١) سورة فصلت: الآية ٣٧.

(٢) سورة غافر: الآية ٥٧.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٥٦.

وإلى هنا ينتهي الأصل الأول وهو معرفة الله.

## الأصل الثاني: وهو معرفة دين الإسلام:

س: ما دينك؟

ج: ديني الإسلام، وهو الاستسلام لِلَّه بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص (البرائة) من الشرك وأهله.

وهو ثلاث مراتب: الإسلام، والإيمان، والإحسان، وكل مرتبة لها أركان.

س: كم أركان الإسلام؟

ج: خمسة: شهادة أن لا إلـه إلاَّ الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام، من استطاع إليه سبيلاً.

فمعنى شهادة أن لا إلـه إلاَّ الله: أي: (لا معبود بحق في الأرض ولا في السماء إلاَّ الله).

ومعنى شهادة أن محمدًا رسول الله (طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد اللَّـهُ إلاَّ بما شرع.

س: كم أركان الإيمان؟

ج: ستة، وهي: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره.

س: كم أركان الإحسان؟

ج: الإحسان ركن واحد وهو: (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك). انتهى الأصل الثاني.

## الأصل الثالث: معرفة نبيك محمد ﷺ:

س: من نبيك؟

ج: نبيي محمد ﷺ وهو: (محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل، عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، نُبِّيء بـ (إقرأ)، وأرسل بالمدثر، وبلده مكة، وهاجر إلى المدينة، وتوفي فيها، صلوات الله وسلامه عليه، وله من العمر ثلاث وستون سنة، منها أربعون قبل النبوة، وثلاث وعشرون نبيًا رسولاً.

س: ما هي الهجرة؟

ج: هي الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، وهي باقية إلى أن تقوم الساعة.

س: ما الدليل على ذلك؟

ج: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾(١)، (فأنت علمها أولادك وجماعتك). (انتهى).

* * *

(١) سورة النساء: الآية ٩٧.

## ما هان مدخاله هان مطلاعه

كـان أحـدهم إذا رأى ولده لا يحفظ المال، قال: (إِيْه بَلاك ما طَقَعْتَ عند اعقالها)، وذلك أن وقت النهب والحرب، كانوا يربطون الإبل عند البيت، يعقل يدها حتى لا تسري بالليل، ويبقون ليلهم يرصدونها عـن الحرامية (يحرسونها)، ولكن قد يأتي هذا الحرامي خفية بالليل، يَنْسَل إليها ويحل عقالها ويذهب بها. ولكن في حالة وصوله إليها وحـل عقالها قد يقتل وقد يسلم، فيغامر وربما ظرط من شدة الخـوف. فـإذا أخذها وذهب بها وسلم، فتكون لها عنده منزلة قوية وحرص عليها، بسبب صعوبة تحصيلها، أما إذا جاءه مال بدون صعوبة؛ فهو يكون رخيص عنده؛ لأنه لم يظرط حالة المغامرة في تحصيله، فربما يذهب كما جاء، كما قيل: (ما هان مدخاله هان مطلاعه) وهـذا يستعمل مثلاً عامًا لحفظ المال. قيل:

ويــلا رزقنــا الله مِنَّــاب بخــلان      مـن رزقنـا تـرزق إيـديـن كثيـره
حنــا كمــا طيــر يخفــق بجنحــان      نـرمـي حـراوي رزقنـا بكـل ديـره

قيل: كان رجل يبيع حمارًا ينادي عليه في السوق: (من يشتري

الحمار الذي يرقى النخل) فقيل له: (إكذب كذب صغار، لأجل ينباع الحمـار)، ويضـرب المثـل للكـذاب فيقـال: (أكـذب مـن سِجـاح)، وسجاح هي امرأة مسيلمة الكذاب، فهو كذاب وهي أكذب منه.

كما يقول العوام: (إخْلقه واخلق له). (انتهى).

* * *

# الأمير والحصان والطير

قيل: كان فيما مضى، أمير شاب، وكان له صاحب حكيم، ذو فراسة. وكان للأمير حصان وطير (صقر حر)، وكان معجب بهما فأخذه الطرب ذات يوم، فقال لصاحبه ما تقول يا خطيب في هذا الحصان؟ فقال الخطيب: إنه إحصان طيب، فقال: (لا) أخبرني بالصحيح؟ فقال الصاحب: إنه أصيل، إلاّ أنه مغذى على بقرة، فقال الأمير: وما يدريك؟ فقال: إن من عادة الحصان أنه ينخر بقوة، وهذا يلوك لسانه مثل البقرة. فقال الأمير: وماذا تقول في هذا الطير؟ فقال الخطيب: إنه حر أصلي، فقال الأمير: (لا) أخبرني بالصحيح؟ فقال المطوع: إنه حر أصلي إلاّ أنه بيضة حر منتجٌ تحت دجاجة، فقال الأمير: وما يدريك؟ فقال الصاحب: إن من عادة الطير الحر أنه ينظر في الجو العالي يتراءى الطيور، وأما هذا فهو ينظر في الأرض (عادة الدجاج) فقال الأمير: وما تقول بـي أنا؟ فقال الصاحب: أنت الأمير فلان بن الأمير فلان، فقال الأمير: (لا) علمني بالصحيح؟ فقال الخطيب: وتعاهدني أنك ما تغضب عليَّ؟ فقال: نعم أعاهدك على ذلك، فقال: إنك لست ابن أبيك، فقال: وما يدريك؟ فقال إن من عادة الأمراء أنهم يعطون عطايا جزلة، وأنت تعطي خبزًا ونحوه، فقال الأمير: وماذا تقول في زوجتي؟

فقال الحكيم: هي امرأة حصينة وبنت رجال طيبين، فقال الأمير: (لا) أخبرني بالصحيح؟ فقال: وتعاهدني أنك ما تغضب عليَّ، فقال: نعم، أعاهدك على ذلك، فقال الحكيم: إنها ليست امرأة حصينة فقال: وما يدريك؟ فقال: إني أراها غير حيية لا يَرُفْ جنبها من الرجال.

ثم إن الأمير أراد أن يتحقق فيما ذكره صاحبه، فاستدعا صاحب الحصان، وقال له: أخبرني عن الحصان أهو أصيل أم لا؟ فقال: أنا ما أكذب عليك هو أصيل، قال: وبماذا غذيتموه، فقال: إنها ماتت أمه وأرضعناه بقرة عندنا، قال الأمير: صدق الحكيم. ثم استدعى صاحب الطير الصقر، وقال: إنَّا استدعيناك لخير، أخبرنا عن هذا الطير، أهو حر أصلي أم لا؟ فقال: بل هو حر أصلي، قال: ومتى أخذتموه من الماكَرْ؟ فقال: أخذناه بيض ووضعناه تحت دجاجة وتم إنتاجه، فقال الأمير: صدق الصاحب. ثم عمد الأمير إلى أمه وسألها مَنْ أبوه؟ فقالت: أبوك الأمير فلان، فقال: بل أخبريني بالصحيح وإلاَّ قتلت نفسي وكذا وكذا؟ فقالت: أنا أخبرك، إن أباك الأمير فلان لا يولد له وخشيت من ذهاب الحكم، فاستدعيت الخادم فلانًا فحملت بك، فقال: صدق الصاحب. ثم راقب زوجته وإذا أحد الخدم يتطرق إليها.

فهذا الرجل الصاحب هو رجل فيه فراسة قوية، وتوجد الفراسة في بعض الناس، وهي فَنٌّ جيد لمن حصلت له، وتصيب غالبًا وقد تخطىء أحيانًا. (انتهى).

* * *

# أَمَرُّ شيء في الدنيا

يقال: هل ذقت أَمَرَّ شيء في الدنيا؟

قال بعضهم لولده: يا بني إني ذقت المرارات كلها في الدنيا، فلم أجد أمرّ من الحاجة إلى الناس، ونقلت الصخور والحديد، فلم أجد أثقل من الدَّين، وذقت الحلاوات كلها، فلم أجد أحلى من العافية.

وقال الشريف لولده:

اغل الحلال ألّلي مع الناس يغليك　　ألّلي يْلا بانَ الخلل فيك يرفاك
وعرف ترى مكة غَدابَه إبْنا خِيك　　لو تطلبه خمسة دواوين ما نطاك

والدواوين هنا هي شبه الهلل. وقيل:

كُلٌّ إيلا ناديت يسفهني　　إلا إيلا ناديت (يا مالي)

وقيل: أراد رجل أن يحج، فبينما هو يحمل متاعه وعفشه على ناقته، جاءه جيرانه يودعونه بالسلامة، وبعض النساء توصيه يجيب لها بعض الحوائج، فيقول: نعم، وجاءته امرأة وقالت: جب لابني زمارة، فقال: نعم، ثم جاءته امرأة أخرى وقالت: جب لابني زمارة، قال: نعم، ثم جاءته امرأة وقالت: دوك هذا ريال جب به لابني زمارة،

فقال: زمر ابنك، فلم يأتِ بشيء مما أوصنه عليه إلاَّ اللتي أعطته الريال.

وهناك رجل كبر سنه وكف بصره وقل ما له، وليس له زوجة ولا أولاد، إلاَّ بنتًا واحدة تمسك بطرف عصاه وتقوده به حالة مشيه، وليس له من يقيته سوى ثلاثة رجال أصدقاء له، فكل يوم يذهب إلى واحد منهم، وذات يوم طرق باب أحدهم فسكت عنه، فقال لبنته: اذهبي بنا إلى فلان، فطرق عليه الباب فسكت عنه، فقال لبنته: اذهبي بنا إلى فلان، فطرق عليه الباب فسكت عنه، فقال لبنته: قفي أبغي أقول كلمات، فإن جاوبني أحد وإلاَّ رجعت أموت في بيتي ولا والله أقف على أحد حتى أموت، ثم قال:

| | |
|---|---|
| **يقول الصليبي الذي قِيد بالعصا** | **كما قِيد في حبل المرير عسيف** |
| **إيلا صار ما بالبيت خَوْدٌ حفية** | **ولا ولد عند الموجبات لطيف** |
| **ولا قبضة مال تغنيك مدة** | **تغنيك عمن مَداه قَصِيف** |
| **تَرا إنَّ الموت للعود راحة** | **لا عاد عَوْد ومنحني وكفيف** |

وإذا صاحب البيت يسمعه ففتح الباب وقال: ادخل ولا تخرج من هذا البيت ما دمت حيًّا.

قوله: (كما قيد في حبل المرير عسيف) حبل المرير: كانت توجد حبال من الْقِنَّبْ، ومن الشّنفاص، ومن الكنبار، ومن الليف، ومن العذوق، وغير ذلك.

والعسيف هو: الجمل أو الناقة في أول عمره: صَعَبٌ لا يستطاع ركوبه ولا الحَمل عليه، فإذا أرادوا عسفه، أي: (تعليمه للركوب

والحمل أو السواني) فأول شيء يبدأ بتعليمه: يمسكونه ويجعلون في رأسه شكيمة (رسن) ويربطونه به بغِيَّةٍ بالأرض، فيحصل منه اضطراب وكفاح؛ لأنه لم يعتد هذا الإمساك عليه، ولكن بعد مدة يهدأ ويرفض طبعه وينقاد للرسن على كره وتألم. فهذا الرجل يصف حاله أنه مثل هذا العسيف في حالة عسفه، وأن الأمور والأقدار اضطرته إلى مثل هذه الحالة، وإلاَّ هو يَوَدْ لنفسه الرفعة والغناة عن الناس. (انتهى).

* * *

## لا تعارض حكمة الباري سبحانه.. قيل:

واصبر على القدر المقدور وارض به　　وإن أتاك بما لا تشتهي القدر

فعلى نظام هذه القسمة الربانية، نذكر إخواننا المنسوبين للموالي، بأن لا يكن في أنفسهم مضض عند سماع هذه النسبة؛ اعتمادًا على قسمة العزيز الوهاب (الذي أحسن كل شيء خلقه) ولا ننسى مواهب الله لهم من المعالي كغيرهم من الناس، فإن الموالي فيهم وزراء ورؤساء وأدباء وتجّار، وأسخياء وشجعان وعلماء وعُبّاد، بل إن أكثر العلماء الصالحين منهم، ولنحمد الله أن جعلنا مسلمين، ولم يجعلنا كفارًا، وفضلنا على كثير من خلقه، قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ الآية، فإذا كنتَ مسلمًا فلا يضرك ما فاتك بعد، كما قيل:

إذا كنت مع الحبيب على رضاء　　فلا عليّ أقام الحيُّ أم رحلوا

وهكذا أنت إذا أخلصت عقيدتك مع الله، وصححت عملك على سنّة الرسول ﷺ، فإنه لا يضرك ما فاتك من النسب، أرأيت لو كان أصلك يبلغ عنان السماء، وصار عملك غير صالح، إذا مت وذهب بك إلى النار، فهل ينجيك أصلك من النار؟ وقد قال النبي ﷺ لبلال: «إني أسمع دف نعليك أمامي في الجنة» رواه البخاري ومسلم. وقال في عمه

أبي جهل: «إنه فرعون هذه الأمة» إلى آخر الأحاديث في هذا. وقد قيل:

وليس على عبد تقيٍّ نقيصة      اذا حقق التقوى وان حاك أو حجم

(انتهى).

* * *

## الرجـال

قيل: الرجال أربعة:

فـرجل يدري ويدري أنه يدري: فهذا عالم فاتبعوه.

ورجل يدري ولا يدري أنه يدري: فهذا نائم فأيقظوه.

ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري: فهذا جاهل فعلموه.

ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري: فهذا أحمق فاجتنبوه.

كذلك الشعراء في الزمان أربعة:

فـواحـد يجـري ولا يُجْـرى معـه ... وواحـد يجـول وسـط المعمعـه

وواحـد لا تشتهـي أن تسمعـه ... وواحـد لا تستحـي أن تَصْفَعَـهْ

(انتهى).

* * *

## قصة أخرى في مرارة الحاجة إلى الرفاقة

قيل: إنه نشأ شاب ذكي عزيز النفس، رفيع القدر، شريف السمعة، ولكن توقفت عنه أسباب المعيشة، بقضاء الله وقدره؛ فاضطر أن يعمل عند الناس أجيرًا، عاملاً، فاستحيا أن يعمل حول أناس يعرفونه؛ فاختار أن يذهب عن بلده إلى غيرها، فإنه أبقى لماء وجهه وأصون لشرفه، فأتى بلدًا لا يعرف فيها. وكانت عامة الأعمال إذاك، تابعة الفلاحين والزراع، فاستأجره رجل لذلك، وخصص عمله أن يحمل على الحمار دمالاً (سمادًا) من البيت ويخرجه للمزرعة، وسماد البيوت إذاك لا بد أن يوجد فيه من فضولات الآدميين كريهة الرائحة، لأنه لا يوجد حمامات، ويحرص عليه الفلاحون؛ لأنها تنتج غلة أكثر، فبعض الناس لا يستطيع مزاولتها، وبعضهم يزاولها بكره عند الحاجة.

فهذا الشاب دفع نفسه لذلك بكره وجعل إذا أهوى ليعبىء الزنبيل من تلك المكروهات ولقيته تلك الرائحة، تتقيأ كبده، فيقول لها: اصبري يا نفس وإلاّ حَدَّيْتُكِ على شيء أكره من هذا، ثم يعمل، ثم تموج كبده ثم يقول لها مثل ذلك، فسمعه المعزب فرحمه ورق لحاله، فقال له: خلاص يا فلان بَطِّل العمل وغسِّل، وتعال للقهوة، فلما جلس معه، قال: ما هو هذا المكروه الذي هو عندك أكره من هذا المكروه؟

فقال الشاب: أكره من هذا وأمرّ (هو الحاجة إلى الرفاقة والأصحاب)، وقد صدق والله، ولكن لا يعرف هذا إلاَّ عزيز النفس، رفيع الهمة.

* * *

## كذلك قصة أصحاب الهيم

قيل: كان هناك رجل ذو مال، وحين ظن اقتراب أجله، وإذا ابنه شاب غير ناضج العقل لأجل حداثته: وأحب الأب أنْ لا يستولي ابنه على المال حتى يجرب الحاجة عمومًا: والحاجة إلى الرفاقة والأصحاب خصوصًا؟ فجمع ماله ذهبًا (جنيهات) ثم خرق خشبة في وسطها طولاً، وأضعف وسطها، بحيث تكون سريعة الانكسار، عند إرادة ذلك، وأدخل فيها الذهب وملأها ثم غرزها أي: جعلها تحت سقف الغرفة وخشب السقف وعلق فيها حبلاً، ثم قال لابنه: (أنا أبغي أوصيك يا ولدي)، صن نفسك عن دروب الأدناس، واصبر على الشدائد في سبيل الشرف، وإذا ضاقت عليك الأمور فأحسن لك تموت على معزة ولا تعيش بمذلة، فانظر هذا الحبل في هذه الخشبة حين تضيق عليك الحال تأتي وتدرع هذا الحبل في حلقك وتتحامل عليه لتموت عزيزًا.

وقد ترك الأب أطراف المال ليعيش به ابنه حتى ينضج عقله أو تربيه الدنيا. ثم مات الأب، فاستمر الابن في أعماله، والتف حوله رفاقه وأصحابه من شباب وغيرهم بدعوى الصداقة، وكان هو سَخِيًّا فيكرمهم ويؤكلهم، حتى نفد ما عنده من المال، واضطر إلى أن يعمل

لتحصيل لقمة العيش، فتنغصت عليه الحياة، وتنكر له أصحابه حين علموا انهيار حاله، لأن (من أحب على شيء أبغض على فقده)، وكان من أعماله هو وأصحابه أنهم يذهبون للبر لجني العلف (العشب والحطب) وغيره، فكل يحمل علفه على حماره، وكانوا يأخذون معهم غداءهم، كل واحد يحضر غداءه تمرًا أو غيره، ثم في آخر العمل يتنادون ويجتمعون ويأكلون حصالهم جميعًا، ولكن هذا الشاب ليس عنده تمر، فيأخذ غداه قرصًا (خبزة) وقد تغيرت أحوال أصحابه معه، فجعلوا يستهزؤون به ويهزلونه ويعيِّرونه. لأن هذا شأن أصحاب الرخا، (أصحاب السفرة)، كما قيل:

**خـــلان الـــرخـــا إيـــان وإيـــاك      خـــلان مَـــنْ دامـــت نعيمـــه ودام**

الحاصل: أن الشاب حين خرج للعمل في الصباح المبكر، وإذا هو جائع فتاقت نفسه للقرص وعجز عن الصبر، فكسر من طرفه كسرة وأكلها، ثم استمر في عمله مع أصحابه، فلما حان وقت الغداء تنادوا واجتمعوا، فاستحيا الشاب منهم حين كان قرصه مثلوم، فاعتذر قائلاً: (هْبَيْ يا الفأرة)، أي: قاتل الله الفأرة، كيف أكلت هذا القرص؟ فضحكوا عليه واستهزؤوا به وكذبوه، أن تكون الفأرة أكلته وقالوا: أكلته أنت يا مربص؛ فانهضم جدًا، واشتد تنغصه بالحياة، فتذكر وصية أبيه، وعزم على تنفيذها، فحين وصل محله عمد إلى الحبل الذي قد أعده له أبوه، لمثل هذا اليوم، فأدرعه في رقبته وانخرط به، ولكن الخشبة انكسرت وانهالت عليه ذهبًا، فتعجب من تخطيط أبيه، وعرف مقصده، فدخل في حياة جديدة، وظهر عليه أثر الغنى، فالتف حوله

أصحابه يريدون صداقته الأولى، ولكن الشاب قد أنضجت عقله هذه التجربة، لكن لم يعاجلهم بنفيهم عنه، بل أراد كشف حالهم معه الأولى، والثانية، والثالثة، فأتوا إليه يومًا للغداء، وحين حضروا عنده بالمجلس، أخذ حجرًا يدويًا ـ أو هو مطرقة ـ، يعمل به في اليد يسمى الهيم، أو هيب وقد انكسر من جانبه كسرة، فرفعه أمامهم وقال: انظروا يا جماعة إلى هذا الهيم، كيف قدرت الفأرة أن تأكل منه؟، فقالوا: نعم صدقت الفأرة تأكل كل شيء، فقال: اخسأوا يا أصحاب الهيم أمس تكذبونني أن تأكل الفأرة من القرص لعلمكم بفقري، وقلة مالي، واليوم تصدقونني أن تأكل الفأرة الحجر أو الحديد، لعلمكم بوجود المال عندي، ولكن قوموا يا أصحاب الهيم، والله ما تجلسون فيها غير ما جلستم، فانتهى منهم فحفظ ماله وعرف أصدقاءه. (انتهى).

* * *

# الإمـارة خـمـرة
## (فهذا مثل سائر قديم)

قيل: كان جماعة في قرية، اتفق طائفة منهم على القيام بعزل أميرهم، فلما علم بذلك قال لهم: أنا أتنازل لكم عن الإمارة على أن تتركوا لِيْ روضة المسجد والْمِحْكُمَة وهي صدر المجلس؟ فتركوهما له، ولكن بعد ذلك رَأَوْا أنهم لم يعزلوه لأن هذه المسألتين هي مُعْظَم ما يتنافسون عليه ذاك الوقت. (انتهى).

قـيـل:

| | |
|---|---|
| قِلْ هَيْه يا تاجر في نجد وش كارك | تبغي دروب الحرايب تَدَّخِلْ فيها |
| نفعك للاجناب وشرك واطي جارك | يا مغطي الرأس والعريه مخليها |
| يا خوفي من ساعة يزلق بمصرانك | تبعـد عـن الـدار والحلـه تخليهـا |

وذلك أن هذا التاجر كان يساعد الأجانب على جماعته، فقضوا عليه وزلقوا بأمعائه.

يقال: هل تعرف الجد الفاسد عند أهل المواريث؟، هو أبو الأم، لا يرث أولاد ابنته، ولا يرثونه، وإنما هو من ذوي الأرحام. (انتهى).

* * *

## تابع.. الصلة في الأولاد

حدثني رجل ثقة رحمه الله، يقول: عملت بالسواني عند مزارع، وأنا ابن ثلاث عشرة سنة، أجرة الشهر (ريال) لمدة ثلاثة شهور.

فلما انتهى عمله أعطاني أجرتي ثلاثة ريالات (فرنسي) ففرحت بها فرحًا شديدًا إذ هي أول مرة يقع في يدي دراهم، وكان أبوي قد مات رحمه الله، وكانت عندنا أختي مطلقة، وكانت (عارية من الثياب) حتى ربما مسكت ثوبها بيدها على عورتها، وكنت إذا رأيتها هكذا انهشم لها قلبي، فلما حصلت بيدي هذه الدراهم، قلت في نفسي: إني لا أستوفي لذة هذه الدراهم إلاَّ أن أكسو بها أختي عن هذا العُري، فناولتها والدتي رحمها الله، قلت تفضلي يا أمه هذه الدراهم اشتري بها ثيابًا لفلانة (أختي)، ففرحت وبكت ودعت لي بالخير والتوفيق.

وقد قُبلت دعواتها له، فقد عاش بخير، ومات على خير، وبره أولاده، وكانوا رجالاً صالحين، ولا نزكي على الله أحدًا.

وهكذا كان الأولاد مثل هذا، من ذو سن الصغر، يعملون ويكتسبون ويعطون آبائهم وأمهاتهم يقيمون به أحوالهم وَمَنْ تحت أيديهم حتى النهاية والحمد لله.

وهذا هو الوازع والحافز للولد على السعي والصبر والتحمل، لإغناء أهله، لا لِيتخَوَّل شيأً دونهم وهم يحتاجون، فليس من المروءة أن يحتاج أهله إلى الناس وهو يقدر، كما تجد ذلك في قصيدة (أبو دباس لولده دباس) وهو قوله:

**يا دباس لوجبت لي دِخْبَ الاكياس مختلفة ما بين دَرٍّ ونَيْره**
**ما لي بها يا جعلها بالف قباس وجعلها تذهب ولو هي كثيرة**

(معناه) يقول: معلوم أنك غائب تحوش لي الفوائد، ولكن أنا أبغاك أنت. (انتهى).

* * *

## ومن أدعية القرآن

* ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾[1].

* ﴿ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ ﴾[2].

* ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[3].

* ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴾[4].

* ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾[5].

* ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾[6].

* * *

---

(١) سورة طه: الآية ١١٤.

(٢) سورة طه: الآيتان ٢٥، ٢٦.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٨٩.

(٤) سورة الكهف: الآية ١٠.

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٠١.

(٦) سورة الفرقان: الآية ٧٤.

## معادن الخير والشر

جاء في الحديث: «فَعَنْ مَعادِنِ العرب تسألوني؟ خيارهم في الجاهلية، خيارهم في الإسلام إذا فقهوا» متفق عليه.

وجاء في الحديث: «أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة» أخرجه البخاري في «الأدب المفرد».

قيل: (في التحذير عن احتمال مِنَّةِ الناس).

**لَلَــــدْغُ أَلْــــفِ مَنَّــــهْ وَلا احْتِمَـــالُ الْمِنَّـــــهْ**

والْمَنَّه هي: الْحَيَّةُ. وقيل أيضًا:

**إذا أردت أن تســـأل فســـأل هـــل الجـــود أولا**

**ولا تســـأل فتًـــا كـــان فقيـــرًا ثـــم تمـــولا**

وقال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم»[1]: (قال بعض السلف: لئن يدخل أحدكم يده في فم تِنِّينٍ، فَيَقْضُمها إلى الكوع، خير

(١) شرح الأربعين النووية.

له من أن يسأل رجلاً كان ما له، ثم كان له) أو كما قال رحمه الله، والتنين هو: الذكر الغليظ من الحيّات.

وفي المثل: (خَتِّنْ اوليدك بالفأس ولا تعتاز للناس). (انتهى).

* * *

# محمد باسفل السيح زراع

كان العرب البادية يقطنون وقت الصيف على المياه، حتى يذهب الحر، ويأتي البراد، وتقل حاجتهم للماء، فيتفرقون للبر لطلب المرعى.

جاء أحد شيوخ القبائل الشمالية، هو وعربه (جماعته)، ونزل بجوار ابن افهيد راعي العين (الأسياح)، بالقصيم، فأكرمهم وجرت بينهم صداقة جيدة، فلما ارتحلوا من عنده، صاروا دائمًا يتذكرون حسن جواره وكرمه، وصادفت الحال في السنة الثانية أن صيفوا على مياه هناك، فيها زراعة قليلة، وأهلها يطردون الطيور عن الزرع من قلَّته، فتذكر شيخُ القبيلة، صاحبَه ابن افهيد، وما هو فيه من سعة الرزق والكرم وكثرة من يأكل من أنواع الخلق من مزارعه، فتمثل بقصيدة وأرسلها إليه، قال فيها:

**ياذا الحمام اللي على ملج ونطاع      بَـالله عليـك إنحـر إمـام المصلـي**

**تلقى محمد باسفل السيح زراع      هِشْهُوْشِيّ يْلا شافَ النِّشاما يْهَلِّي**

**مـا دَبَّرَ الـوزنه ولا كـال بـالصاع      متمعنـي بـه واحـد مـا يخلـي**

إلى آخر القصيدة والقصة، قوله إنحر إمام المصلي: أي اذهب إلى جهة القبلة، والهشهوشي هو: السخي الذي يفرح بالأضياف

ويرحب بهم ويهلي. وهذا الرجل هو الذي رثا زوجته امطيره، حين ماتت بقصيدة قال فيها:

**أطلب عسى الجنة منازل (امطيره) عسى اعظامه ما تجي واهج النار**
**مـا هـو حـب لـه ولا هـي نظيـره ميـر إنهـا تبهـش إيـلا جـان خطـار**
**مـا هـي خطـو العلـة المستـديـرة يمسي العتيم وفاير القدر ما فار**

ولا يتسق الكلام أن تقول (ولو هي نظيره: كما يقوله بعضهم).

وقالت فتاة الوشم الروقية تهجو أهل الخنافس:

**يابنت شومي عن اللي يمشط اشعوره ويميل بالكعب ووروكه يهز إبْهـا**

(انتهى).

* * *

## كلمة عربية فصيحة

قيل:

قد اسمعتَ لو ناديتَ حيا ... ولكن لا حياة لِمَنْ تنادى

ولو نارًا نفختَ لقد أضاءت ... ولكنك تنفخ في رمادي

قيل:

فوالله لا يدري الفقير متى غناه ... ولا الغني متى يعيل

يعيل: يفتقر، وقيل: (كل درة عندها شاذوب)، الدرة هي: جواهر البحر، وكان الناس يغوصون في البحر لطلبها ويتجشمون الأخطار، رجاء الحصول على شيء منها، والبحر فيه هوام مهلكة، (منها الشاذوب)، قيل: إنه يقص الإنسان نصفين، أو يقطع بعض أعضائه، فالمعنى أن المصالح والمنافع لا تحصل لك بالهوينا، فالدرة لا يحصلها الإنسان إلاَّ وهو ينتظر الشاذوب الخاطف، أو الجاثوم ونحوه، من الأخطار، ومع ذلك فهو يغامر لتحصيلها، وهكذا غيرها من المصالح. (انتهى).

* * *

## الوَدَك والسمن في القديم

معروف أن شحم المواشي صالح للأكل، نفاع للجسم، مقوي للعضلات، كما يخصصونه في غذاء الإنسان الكسير، فلا يجبر العظم ويشد العضلات إلاَّ الودك مع قرص البُر (القمح)، وأحسنه سنام البعير وأَلْيةُ الشاة، فالتأدم بالشحم يقوم مقام أكل اللحم، لكن الأصلح: حمسه وتحويله إلى ودك، ليستحيل طعمه جيدًا، ويطول بقائه صالحًا لا يعتريه فساد، وعمليته بسيطة معروفة في القديم، حيث كانوا يستعملونه دائمًا.

فأولاً: تقطّع الشحم قطعًا بقدر التمرة أو أقل، ثم تضعه في القدر على النار بدون ماء، لتحمسه حمسًا، ولا تجيد النار عليه، وتحركه بالملاس ونحوه ليعمه صَلْيُ النار فيخرج دهنه، وتتركه هكذا حتى يهبط طيشبه ويقلص الشحم وينحمس ويصير لون الشحم إلى الصفار والحمرة، ولا تتركه على النار أكثر من ذلك فيحترق، أي يخرج عن اعتداله، لكن تنزله من على النار، وإذا قد أعددت شيأً من الملح المسحوق، والبصل المهذى، إن أمكن البصل.

أما الملح فهو لازم، فتضعهما فيه شيأً فشيأً، بعد أنزاله مِنْ على

النار، حتى لا يطيش: وتحركه فيه حتى يختلط ويداخله الملح، ثم تفرغه إذا برد في إنائه الذي سوف تتركه فيه، بعد نظافته وغطائه وحفظه، ثم بعد ذلك تأخذ من جانبه بالملعقة، كل يوم حسب الطلب، يطبخ مع الطعام، أو بعد الطبخ.

أما قوله: في حديث النهي عن الاحتيال (لعن الله اليهود إنهم لما حرم عليهم الشحم جَمَلُوه ثم باعوه) الحديث (متفق عليه) فهو بفتح الميم وتخفيفها لا بتشديدها، ومعنى جَمَلُوه: أي أذابوه فصار وَدَكًا لا شَحْمًا.

أما السمن الطبيعي: فإنه يستخرج من حليب المواشي الطبيعي يوميًّا، وأحسنه سمن الغنم الجديد العِرابي: أي سمن الأعراب أهل البر، إذا سلموا من غشه بالسمن النباتي هذا الوقت، ثم سمن البقر.

فإذا اجتمع حليب اليوم رَوَّبُوه.

وصفة ترويبه هو أنهم يُبيِّتُون الحليب في مِرْوَبه بالليل، وهو إناء له غطاء حافظ، ويكون به أثر الروب الأول: لأجل يروب عليه الحليب، لكن إذا كان الوقت دافىء فإنهم لا يفرغونه في مِرْوَبه إلاَّ بالليل حتى لا يسرع روبه قبل الصبح فيفسد بالحموضة، حيث لا برادات ذاك الوقت، فإن راب وقت الدفىء خَضُّوه ولو بالليل، لأن اللبن أصبر على الدفىء من الروب.

أما أول مرة لترويب الحليب: إذا لم يكن بالمروب طعم لبن: فإنه لا بد له من (الضِّرْوَة) وهي تطعيم الحليب بلبن يُرَوِّبه ولو شيء من

البقل (الأقط) فإنه يُطعمه: أي يُضرِّيه للروب، ومن هذا المعنى: قولهم: (فلان ضَرا لكذا: أو هو ضـارٍ لكذا: أي اعتاد هذا الشيءَ وعاوده. وفي المثل: (من ضَرًا للقرص ما قنع بالكسرة)، ثم لا بد من مراعاة حالة الوقت، فإن كانت الليلة باردة وجب تدفئة الحليب المروّب لأجل يروب، وإن كانت الليلة حارة فلا بد من تبريده، بأن يخرجوه للهوى، ويضعوا عليه شيأً من القماش أو الخيش مبلولاً بالماء يبرده حتى لا يفوت روبه فيفسد بالحموضة. فإذا أصبحوا وقد تم روبه حقنوه في الصميل. [وهو قربة من جلود الغنم المدبوغة، ولا يدهنونه عند الخـرازة، ويجعلـون لحمـة الجلـد إلـى خـارج حـالـة الخـرازة، حتـى لا يمسك الزبد فيه حالة الخض].

أما خضه: فبعد صبه في الصميل، ينفخون عليه الصميل حتى يشتد ويوكون فمه بخيط، قد ربط بعلاقته، ثم يعلقونه بحبل، فتجعل المرأة تدفع هذا الصميل المنفوخ المعلق وفيه الروب وتجذبه، تدفعه وتجذبه، نـحـو نصف ساعة أو أكثر أو أقل، حتى يبدء ظهور الزبد رغوة فوق اللبن، وحتى يخلص زبدًا منعزلاً بسبب الخض. «واعلمي أن بعض البقر حليبها يحتاج تبريد حالة الخض. لاستخلاص الزبد، وبعضها يحتاج تدفئـة، يـعـرف ذلك بتجربته»، وقد يضاف إليه ماءً باردًا أو دافئًا لتجميع الزبد، وتأخذه من فوق اللبن. ثم يجمعونه عدة أيام.

ثم يقومون باستخلاص هذا الزبد سمنًا، فيضعونه في القدر على النار بدون ماء، ويتركونه يغلي حتى يهبط طيشه ويتحول لون اللبن فيه

إلى الصفرة، فهذا علامة نضجه، فينزلونه من النار، ويكثون فيه ملىء الكف دقيقًا من البر شيأً فشيأً، حتى لا يطيش، ويحركونه يختلط في حثل اللبن فيه يعزله من السمن فينضج معه، ثم يفرغون السمن في ظروفه النظيفة الحافظة إذا برد، ويأكلون حثله الذي هو اللبن والدقيق فيه، ويسمونها (قشدة)، بأن يضعون عليها تمرًا يخلطونه فيه على النار، أو مع الطعام طبخًا.

والسمن يحتاج عناية أكثر من الودك، بحفظه من التداول وكثرة الأيدي، بالفتح والإغلاق، وإلا تطرقه الفساد، لأن السمن مائع، والودك غالب وقته جامد شاد.

تـنـبـيـه:

اسم الصميل يعم قربة الماء، وقربة اللبن: إلا أن الغالب قولهم: قربة الماء، وصميل اللبن، فإذا نفد ماء القربة أو لبن الصميل وجب طويه وربطه مطويًا برطوبته، وفي المثل: (إطْو اصْمَيِّلْك على ابْلِلهْ)، ليسلم من التكسر إذا يبس فإذا أراد أن يحقنه (يعبئه ماءً) خَمَّره أولاً بالماء حتى يربص ويلين، فيحقنه.

اصْمَيّلْ تصغير صَمِيل، والبلل الرطوبة «أمرٌ له بالإنكفاف وترك الأمر على طبيعته»: تشبيهًا بطي القربة والصميل رطبًا إذا نفد ماؤه أو لبنه. قال الشاعر:

لا تأخذ الدنيا اخراص وهقوات　　　يقطعـك مـن نقـل الصميـل البـراد

معناه: لا يغرك براد الصباح فتترك حمل الماء معك بالصميل

وأنت تريد تذهب للبر، فقد ينجلي البراد ويأتي الحر فتهلك ظمأً، وهذا مثل لسائر الأحوال: فمثله الاستعداد للبرد والجوع والعدو والبغات والحساد وغير ذلك.

أما خرازة الجلد قربة: فبعد الدبغ يدهنونه بالودك الساخن ويقلّبونه بالشمس نحو ربع ساعة، ثم يغمسونه بالماء حتى يربص ويلين جدًا، ثم يخرزونه قربة. وكذلك صميل اللبن، لكنه مقلوبًا باطنه هو ظاهره وبدون دَهِن. (انتهى).

* * *

# قس الأمور قبل تجشمها

قيـل: إن النعامـة تـأكـل الحصـا (الحجـارة الصغيـرة) تبتلعـه، ولكنها إذا تكابرت الحصاة وخشية أنها لا تخرج من بطنها، راحت تدخلها أولاً في دبرها فإن دخلت فيه ابتلعتها، وإذا لم تدخل لا تبتلعها، ولهذا قيل:

مـن فحـج طـاح ومَـنْ كَبَّـرَ اللقمـة غـص

وقيـل:

مـن لا يقيـس قبـل يغيـص ما ينفع القوس عقب الغرق

وأنت (قدم لنفسك خيرًا قبل الموت أو الهرم).

كان رجل في إحدى المدن الكبيرة المجاورة، وكانت أحواله متوسطة، وكان له عقارات (بيوت وأراضي)، وحين ظهرت مشاريع فتح الشوارع، فقد اتجهت على بعض عقاراته وحصلت له تعويضات ضخمة، ولكن هـو قـد كـبر سنه وظهر عجزه، وحين أتاه مندوب البلـديـة بشيـك الفلـوس، أخـذه وأظهـر كـراهتـه وتغيـر مـزاجـه فالمندوب أخبر الرئيس بذلك، فظن الرئيس أن الرجل قد استقل القيمة، فأتى الرئيس نفسه إلى الرجل يعتذر، (لأن الرجل من أعيان

الجماعة)، ويعطيه شيئًا آخر إلحاقًا للأول، فأخـذه الرجل وعمل به مثـل الأول، فقال الرئيس: لماذا يا عم هل تبغي زيادة فقال الرجل: (لا) ولكن يـوم أنا محتاج ما جأني هـذا المال، واليوم ماذا أعمل به؟ فأنا اليوم: لا بطن يأكل ولا قُوى تَعْمَلْ، فهو الآن مال الوارث. (انتهى).

* * *

## فضل السكوت.. قيل:

إن كـــان يعجبـــك السكـــوت فـــإنـــه
قـــد كـــان يعجـــب قبلـــك الأخيـــارا
ولئـــن نـــدمـــت علـــى السكـــوت مـــرة
فلقـــد نـــدمـــت علـــى الكـــلام مـــرارا
إن السكـــوت ســـلامـــة ولـــربمـــا
زرع الكـــلام عـــداوة وضـــرارا

الصمت حكمة وقليل فاعله. (انتهى).

* * *

## ومن أبلغ احتيال على لقمة

قيل: كان رجل وامرأته، ليس عندهم تمر (ولكن جيرانهم عندهم تمر)، فقالت المرأة لزوجها: ما رأيك حنا ودنا نذوق تمر جيراننا، ولكن ماذا نعمل من الحيلة؟ ثم قالت: الأوفق أننا نصور بيننا مشكل ومضاربة، ثم قاما بتنفيذ الخطة؛ فهربت هي لبيت الجيران وتبعها هو كأنه يريد يضربها وهي تصيح وتنادي الجيران، ودخلت عليهم، وكانت البيوت مهيع، (لا تغلق أبوابها إلاَّ بالليل) وتنادي الجيران، فِكُّوْن، فِكُّوْن، فقام الجيران وقابلوا الرجل، ومسكوه عن المرأة، وهي مضت حتى دخلت بالغرفة التي فيها التمر، وهو في أثرها، وأغلقت الباب على نفسها، وجعلت تأخذ من التمر بطرف ثوبها، وهم قد اشتغلوا بالرجل يستهدؤونه ويسترحمونه لها، وهو يضطرب عليها، والمرأة وجدت التمر شاتي أي (شاد) قاسي، لأنه وقت الشتاء، وأرادت أن تخبر الرجل بذلك، ولكن بصنفة المشاجرة، فقالت: (فِكَّنْ مِنْ شَرِّكْ يا وَلَدْ شَاتِيْ)، كأنها تعيره، وهي تخبره أن التمر شاتي (بارد) يا ولد، فقال: والله إني لأذبحكِ يا بنت (بُطِّيْه بعُود) كأنه يعيرها كما تعيره، وهو يخبرها كما تخبره، يناديها يا بنت (بطي التمر بعود) حتى تدركين منه شيئًا، وقد كان بيده عصًا، كأنه يريد يضربها به، فأدخله عليها من كوة الباب، لأن

الباب من الخشب القديم فيه منافذ، كأنه يريد ضربها به، وهو يقول: يا بنت (بطيه بعود) فأخذت العصا لتنقب به مِن التمر، وتنخاهم أمسكوه عني لا يذبحني، فلما أخذت مطلوبها من التمر، قالت: أمسكوه عني أريد أطلع (أهرب)، ثم خرجت إلى بيتها هاربة، والجماعة يسترحمونه لها، فسكن غضبه شيئًا، وأظهر سماحه عنها عندهم، فتركوه وذهب يأكل معها ما نهبت. (انتهى).

* * *

# كيف احتال على أهل الإسكندرية؟

ذكر ابن الجوزي في كتابه «الأذكياء» قال:

كان أهل الإسكندرية يوصفون بالغباوة في القديم، فاحتال عليهم رجل، فأتى هو وزوجته، ودخل الإسكندرية واستأجر بيتًا قرب المسجد الكبير وجعل فيه زوجته. ثم عمد إلى المسجد «الجامع الكبير»، فجعل يصلي فيه ويتعبد الليل والنهار، لا يلتفت إلى شيء أبدًا، ولا يرونه يأكل ولا يشرب، إنما يخرج ليتوضأ من الحمامات ويرجع، وهو قد اتفق مع زوجته: أنها تصنع له كل ليلة زبيبًا تطبخه حتى يصير عصيدًا لينًا، فتأتي به للحمامات وتصبه فوق دركة فيها، فمن رآه حسبه قذرًا فأبعد عنه، فيخرج الرجل بالليل، حيث لا يراه أحد ويدخل الحمامات، فيلعقه ويشرب ويرجع للمسجد إلى الليلة الثانية، فهم لا يرونه يأكل ولا يشرب، فاعتقدوا فيه (الْوَلايَة) بزعمهم، فأحبوه جدًّا وتبجحوا بوجوده عندهم، وما فاجأهم يومًا، وهم في المسجد، إلاَّ وقد دخلت عليه المرأة وسطهم، وأدرعت خمارها في رقبته وخنقته، وجعلت تصيح وتغلغله كأنها تريد تقتله، وهو لا يدافع عن نفسه؛ فقاموا إليها ومسكوها عنه، وهي تصيح وتقول دعوني أقتله خلوني أقتله، وسألوها ما السبب؟ فقالت: إنه قد قتل ابني واستعاذ بهذا

المسجد، وسألوه، هل هذا صحيح؟ قال: نعم ولكنني الآن تائب، واتركوها تقتلني لعل الله يغفر لي، فقالوا: لا نتركها تقتله أبدًا، وجعلوا يسترضونها ويعطونها من الدراهم حتى أعطوها من الدراهم شيأً كثيرًا، فرضيت وحملت فلوسها إلى بيتها، والرجل قام يصلي من ساعته، وهم فرحوا أنهم قد خلصوه منها، فلما كان الليل حيث لا يراه أحد خرج إلى زوجته فحملوا فلوسهم وهربوا، وهذا كما قيل: (سروق ومعه سراج)، قال تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾[1]، ونقل ابن جرير في تفسيره عن أبـي العالية قال: ينادي منادٍ يوم القيامة (أيها الناس ماذا عبدتم؟ وماذا أجبتم المرسلين؟) فأعدوا جوابًا صحيحًا لذلك. قيل:

من صلاة الضحى يا قابل التوبة ليـن غـابـت وحنـا هـوش واقتـال

قيل: (خير الشرايا من أصبح يحتلب). (انتهى).

* * *

(١) سورة الفجر: الآية ١٤.

## تـنـبـيـه:
## في مهادنة العدو وسائر الناس

قال الشاعر:

ومن لم يصانع في أمور كثيرة ... يضرّس بأنياب ويوطى بمنسم

فمن الحكمة العظيمة أن تصانع عدوك وسائر الناس وتهادنه، ولا تصارحه بما تسره فيه، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) ﴾[١]، وهذه الآية في ثلاثة مواضع من القرآن فيها الأمر بمهادنة العدو من الناس، ومَدَحَ الله من عمل بذلك وأنه ذو حظ عظيم، وأما العدو (الشيطان)، فإنه لا يقبل المهادنة، فلا يعيذك منه إلاَّ أن تستعذ بالله منه ومن شره.

وكان معاوية رضي الله عنه حليمًا.

قيل له، بعدما صار ملكًا: بم سدت الناس؟ فقال: (بما لو كان بيني وبين أحدهم شعرة، لم تنقطع، إنْ ألانُوها جَذَبْتُها، وإنْ جذبوها ألَنْتُها).

(١) سورة فصلت: الآيتان ٣٤، ٣٥.

وجلس عنده رجل أحمق، ومعاوية يومئذٍ مَلِكٌ، وتكلم هذا الأحمق بكلام يَغُضُّ بِهِ من جانب أم معاوية، فلم يعاقبه معاوية مع أنه مَلِك، فهذا الأحمق ذهب في يوم من الأيام وصلى الجمعة في جامع بلد (أميره غير معروف الأب) وهو (زياد ابن أبيه)، وكان الأمير هو الذي يخطب الجمعة، عادة الأمراء ذاك الوقت، ويتكىء على السيف، وهو يخطب، وكان الرجل الأحمق قريبًا منه، فقال للأمير: من أبوك أيها الأمير؟ فالأمير مشع السيف من جرابه (جفيره) ونزل ونسف رأس الأحمق وقال: هذا أبوي ــ يعني السيف، فعلم بذلك يزيد بن معاوية، فقال لأبيه: إن الأمير فلان قتل فلانًا، فقال معاوية (أنا قتلته) يعني أن حلمي عنه جرأه على التحكك والاستهتار بهذا الأمير الغير حليم، فأنا حلمت عنه لينتقم منه غيري، فكان.

ومثله قولهم: (يَطِيْح بطَبّال الأذناب)، قيل: هناك رجل أحمق، لقي رجلاً تاجرًا يمشي في الطريق، ومعه خادمه (عبده المملوك له)، فهذا الأحمق لما قرب من التاجر، طبل ذنب التاجر بيده من خلف، فالتفت إليه التاجر ونظره، ثم أخذ التاجر جنيهًا من مخباته وأعطاها هذا الأحمق، المعتدي عليه، ومضى في سبيله، ومضى ذاك في سبيله، فقال العبد لسيده: كيف يفعل بك هذا الفعل وتعطيه جنيه؟ فقال العم: هل تحب أن تأخذها منه؟ قال: نعم، قال: اتبعه وسوف تأخذها منه، فرجع الخادم وتبع الأحمق عن بعد، فهذا الأحمق قد رغب في هذا الفعل السهل المفيد، فلقيه ابن الأمير، فقال الأحمق في نفسه: هذا ابن الأمير سوف يعطيني جنيهين إذا أنا طبلت ذنبه هذه المرة، فقرب منه

وتحايد له، ثم طبل ذنبه من خلف، فالتفت إليه، وكان ابن الأمير يحمل سيفه؛ فمشع السيف من جرابه ونسف رأسه، وإذا هو يدوم بالأرض، فتركه ومضى، ثم أتاه العبد وأخذ الجنيه من مخباته، ولحق عمه وأخبره بالخبر، فقال العم: أنا أريد به ذلك، أن يطيح بطبال الأذناب، (فهذه عادة الحمق مصيره الدمار). (انتهى)

* * *

# شـعـبيات

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلاَّ على الظالمين.

أما بعد: فقد طغا أحد الجهال في الوقت الماضي، في إحدى البلدان المجاورة، في أنحاء الجزيرة، فاعتدا على مجد الإسلام، ومشاعر العروبة، فجعل يسب أهل الحسبة، والرجال الطيبين، ويعيب الأحوال الماضية، ويفتخر بما لم يفعله، فأتاح الله له من يرد عليه بما هو الحق الذي يجب على مثله(١)، فنحن نلخص من كلام الطرفين ما يكون ملحة وعبرة. (أما من كلام المعتدي فلبيان موضوعه. وأما من كلام الثاني فلبيان الحق من الخطأ، كما ستراه انشاء الله) فجزاه الله خيرًا، وقد استثنا هذا الرجال الطيبين، والشباب النَّزْه كما يأتي في آخر القصيد إنشاء الله.

«والقصيدتين كاملتين في مجموع أبا بطين».

قال المعتدي في أثناء قيله:

| | |
|---|---|
| والصدق عند اشيوخنا اليوم ما فيش | انظر الحاهم مثل عُبّاد الابقار |
| لو تسأله بالدين يقول ما ادريش | بس اللحا وافلوس وبعدين للنار |
| زعلوا علينا يوم قلنا شواكيش | وحنا نقول الحق من غير الانكار |

(١) هو الأديب: محمد العلي الجاسر: من أهالي الزلفى.

مــا حيلتــك تــذكــر وقــت المطــاريــش

انظــر شبــاب اليــوم بــالجــو طيــار

وانتــم زمــان عشتــوا علــى خــرزت الخيــش

وحنــا شبــاب اليــوم صنــاع الاقمــار

واحــروبكــم بــالسيــف والــرمــح تخــديــش

وحنــا المــدافــع تحــرق الجــو بــالنــار

انتهى ما نقلناه من كلام المعتدي .

أما جوابه : من الآخر ، والبادي أظلم : فهو قوله :

بيحت سدى من صميم النشانيش ... مما رأيت من الحوادث والاغيار

ما اهبلك يا جند بناله جماريش[1] ... مِنْ بِدْ جِيْلُهْ عن اسلوم العرب حار

تظهر اعيوب اللاش من دون تفتيش ... وتبدي لك الايام مضمون الاخبار

ما صان عرضه عن اجروح النواخيش ... متمـرد عـن منهـج الحـق منـدار

حنــا العــرب واهــل الغــرب والمطــاريــش

واهــل الشــرف اهــل النــواميــس والكــار

يوم العزارى والمسارى المغابيش ... مثل الضواري[2] بالبراري والابحار

نضــرب منــاكبهــا علــى ضمــر الجيــش

بيــن التعــب والخــوف واتعــوس الاسفــار

يمــا طبعنــا بــالبحــور الجــواهيــش

ويمــا تغــربنــا عــن الــدار بــاديــار

(١) جماريش : هو البنيان غير معتدل وغير متماسك .

(٢) الضواري : هي السباع .

نطعـم ونسقـي مـع غَلـىْ التمـر والعيـش[1]
نقـري الضيـوف ونـاصـل الـرحـم والجـار

والا انت جند صاقط يا ابرق الريش تفجر ابفعل ما جرى لك ولا صار
اهـل اللحـا لـو قلـت ذَوْلـىْ شـواكيـش
مـا هنـب جنسـك هـم هـل الفضـل والكـار

حليتوا اكتاب الله ابزيغ وتشويش وانكـرتـوا السنـة ومنهـاج الابـرار
بعتوا شرفكم بالرذل والبخاشيش وحزتوا كباير منهج الخزي والعار
قست البحر عرض وطول على ويش؟ وركبت من عرض الخلايق ابطيار؟
إن طرت وإن وقعت يا العفن هُمَيِّشْ؟ سعيك وتدبيرك على طفية النار
تفخر ابصنعات الدول والطرابيش ما هيب هذي لك ولا لك بها كار
حنا مقابيس الوغا يا المخاريش وحنا أهلنا فَتَّحَوْا عصم الامصار
يوم النش[2] مثل البروق المراهيش والمعـركـة بـارجـالهـا تشتعـل نـار
نارد احياض الموت مثل المعاطيش دون الشرف والمال نرخص بالاعمار
ليتك زمان حاضر باول الجيش باركان ضبعه يوم عج الرمك ثار[3]
يوم الجنايز مثل نطل القرافيش مثل الهشيم الخامدة بين الاشجار
انشد هل العوجا عن اللي جرى ويش يوم الحريب وغيرها مثل ما صار
هذا الوكاد وخل عنك الشوابيش قول ابلا فعل على صاحبه عار

---

(١) كان جملة قوت الناس هو التمر والعيش: (والعيش يشمل القمح، وسائر الحبوب، القمح، والشعير، والذرة، والدخن، والتِّمَّن (الأرز)، وغيره.

(٢) النمش: هو رصاص البندقية في الحرب.

(٣) الرمك: هي جياد الخيل: والعج هو غبارها.

يـوم ارتهـى حكـم العـرب وارغـد العيـش
رخـص الحـرار[١] وزمـر البـوم والفـأر[٢]

هذي تواريخ العرب يا المخاديش — خوذوا كلام اللي ايلا قال ما جار
الصدق يرفع صاحبه بالورى ويش — والكذب لو طالت مبانيه ينهار
تعيبنا بالسيف والرمح والخيش[٣] — هذا الفخر يا الخبل يا بومة الغار
النبـل مـا عيـب صنـاديـد قـريـش — واسلافنا الماضين واشراف الانصار
تبى تخرص بالهجا وانت درويش — والله مـا تفهـم ولا عنـدك افكـار
الهـرج بـايـام الـرخـا مـا يسـويـش — اطعن وخل الناس يدرون الاخبار
والنار عند مصور الخلق ومعيش — يسعد ويشقى هو يُصَرِّف ويختار
ما هيب عندك يا جعيل الخرافيش — تبى تعذب شيب الاسلام بالنار
ومن شب شاب وعاف من لذة العيش — ونقل العِصِيْ والشيب ما هوب معيار
وراع الشرف عرضه بالامثال ما نيش — يكرم جنابه عن مدانيس الاقذار
وكل الرجال الطيبين الهشاهيش — وجميع صبيان الورى جل واصغار
السب لاهل الشر والشرك والطيش — واللي لهم طبع خبيث بالاشعار
وإلاّ الشباب النزه لو هم ورا بيش — ذولاك ربعـي لـو تنحـوا بـالاقطـار
أحبهـم لِلّـٰـه حـب المعـاطيـش — الله يسـاعـدهـم غيـاب واحضـار
ثم الصلاة اعداد ما زرفل الجيش[٤] — على النبـي الهاشمى سيد الابرار
السيد المبعوث من نسل قريش — وعد الحجر واعداد وداج الامطار

---

(١) الحرار: جمع حر: وهو الصقر.

(٢) المعتدي قد وصف الشيبان بأشياء يستحيا من ذكرها تركناها تنزها.

(٣) يريد بالخيش: ظروف المتاع، وهي المزاود تعلق على جنب البعير حالة التنقلات.

(٤) الجيش هنا: هي المطي الركائب (الابل المركوبة ونحوها)، زرفل: أسرع.

# التحقيق في طلب العلم

قيل: إذا كثف فهم الإنسان ظن أنه أدرك العلم النافع، بدون التعلم على العلماء الربانيين، وهذا ظن خاطىء، ينكشف إذا حقت الحاقة، كما قيل:

أحاديث لا تعزى إلى عالم فلا تساوي فُلَيْسًا إنْ رُجِعَت إلى النقد

والعلم النافع هو: علم الوحيين (القرآن والسنة)، وما يعين على فهمهما، المأخوذ علمه عن العلماء الربانيين، وإليك ما قاله الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود الأول، لتعرف فضل علم متقدمينا رحمهم الله.

تألَّقَ برق الحق في العارض النجدى فعم حياة الكون في الْغُورِ والنُّجْد
وأورقت الأشجار وانتهضت بها يوانع أنواع من الثُّمَّرِ الرغد
وأشرقت الأنوار من زهر ورده فأعبقت الأقطار من طيب الند
وغردت الأطيارُ بِالذُّكْرِ تطرب المـ ـسامع جهرًا فوق أغصانها الْمِلْد
وقام خطيب الكائنات لربها
على الخَضْب بعد الْمَحْل بالشكر والحمد
فذاك الحيا يحي القلوب ربيعها ومطعومها مشروبها طيبها الند

فهــا نحــن نجتنــي مــن ثمــار غــراسهــا

ونــرجــوا جَنَــاتَ العفــو فــي جنــة الخلــد

فإن كنت مشتاقًا إلى ذلك الجنا فذقه تجد طعمًا أَلَذَّ مِنْ الشَّهْد

هو الوحي دين الله عصمة أهله وحظهـم الأوفى وَجَـدُّهـم الْمِجْـد

بـه ينتجـى والنـاس في هلكـاتهـم به يرتجى نيل الرغائب والرفد

به الأمن في الدنيا وفي الحشر واللقاء ومِن قبلُ عند الإحتصار وفي اللحد

به تصلح الدنيا به تحقن الدما به يحتمى عن كل باغٍ وذي حقد

به زعزعت أركان كسرى وقيصر ولم يجد ما حازا من المال والجند

وأمثالَها في السالكين طريقهم أرانا كما قد قاله صادق الوعد

فَـلِلَّـه حمـدٌ يـرتضيـه لنفسـه على نعم زادت عن الحصر والعد

فـأعظمها بعـث الـرسـول محمـد أميـن إلـه الحـق واسطـة العقـد

دعـانـا إلـى الإسـلام ديـن إلٰهنـا وتوحيده بالقول والفعل والقصد

هـدانـا بـه بعـد الضـلالـة والعمـى وأنقـذنـا بعـد الْغـوايـة بـالـرشـد

حبانا وأعطانا الذي فوق وهمنا وأمكننـا مـن كـل طـاغ ومعتـد

وأيـدنـا بـالنصـر واتّسعـت لنـا مما لك لا تدعو سِوى الواحد الفرد

فنسـألـه إتمـام نعمتـه بـأن يثبتنـا عنـد المصـادر كـالـورد

فيـا فـوز عبـد قـام لله جـاهـدًا على قدم التجريد[1] يهدي ويستهدى

وجرد في نصر الشريعة صارما بعزم يُرى أمضى من الصارم الهندى

وتـابـع هـدي المصطفـى الطـاهـر مخلصًـا

لخــالقــه فــي مــا يُسِــرُّ ومــا يبــدى

---

(١) التجريد: هو إخلاص متابعة الرسول ﷺ. لِلَّه تعالى.

ويـــا خيبـــة المحـــروم رحمـــة ربـــه
بـإعـراضـه عـن ديـن ذِي الجـود والمجـد
لقـــد فـــاتـــه الخيـــر الكثيـــر ومـــا درى
وقـد خـاب واختـار النحـوس علـى السعـد
ومـــن بعـــد حمـــد الله أزكـــى صـــلاتـــه
وتسليمـــه الأوفـــى الكثيـــر بـــلا عـــد
علـــى المصطفـــى خيـــر الأنـــام وآلـــه
وأصحـــابـــه أهـــل المكـــارم والـــزهـــد

* * *

وقال عثمان رضي الله عنه؛ (لو طهرت قلوبكم ما شبعت من كلام الله). (انتهى).

* * *

# الجراد في ليالي البرد الشديد

كان الجراد يأتي بكثرة، فإذا بات في مكان غطى الشجر والحجر كثرة، فيفرح الناس، وينادي بعضهم بعضًا (يا جرادوه، يا جرادوه) فيقومون كل الليل يجردون، ولو كان البرد شديدًا، ويملأون كل ما لـديهـم مـن أكيـاس وثيـاب، ويحملـون علـى الإبـل والحميـر وعلـى رؤوسهم، وفي الصباح يطير الجراد إذا طلعت الشمس ودفيء، فإذا ارتفع في الجو قال بعضه لبعض تفقدوا ربعكم؟ فيقولون: ما بقي منا إلاَّ (العويرا والزويرا والمنكسرة) وذلك من كثرته، والناس طول نهارهم يطبخون وينشرونه ييبس، فيدخرونه، يساعدهم على القوت ولو أنه خشن، ولذا يقولون: (الجراد يرخص اللحم).

وأما كيفية طبخ الجراد، فإنه يغلى الماء في قدر كبير فإذا غلى الماء يفتح فم الكيس الذي فيه الجراد ثم ينكس الكيس في القدر وينكت فيه الجراد وهو حي ويمسك الكيس فوق الجراد فوق الفاير حتى يسكت الجراد ويميته الحمو، ثم يجعل فيه ملح أكثر من الطعام ثم يغطّا حتى ينضج، وعلامة نضجه هو أن ينهفش رأسها، أي: (يهضم) أما ما دام رأس الجرادة منتفخ فهو لم ينضج.

وأما صفة أكله رطبًا، فإنه يقطع منه الأيدي والأرجل والريش والرأس وطوقه، ثم يؤكل البقية، ويطبخ هكذا مع الطعام بعد القَصْمَلَه، أما أكله يابسًا: فلا يقطع منه إلاَّ الريش والشوك لأنه هَشْ.

وقد يشوونه بالنار شَوْيًا إذا لم يمكنهم طبخه. (انتهى).

* * *

# من ذبح احمير القوم ايزوزي بالقرب

كان الزير (المهلهل) أخو كليب من شجعان بني وائل، فركب حماره وذهب ليروي ماء، فلما وصل البئر، قيد الحمار ونزل يعبىء القرب، ثم يخرجها ويحملها على الحمار، ولكن لما خرج، وإذا الأسد قد أكل الحمار، (والأسد هو ملك السباع)، لا شيء يغلبه منها، ولكن الزير من قوة شجاعته تغلب على الأسد، وقبض عليه، وجعل في رأسه رسن (شكيمة الحمار)، وحمل عليه القرب، وأتى به إلى أهله، وقال: (من ذبح حمير القوم يزوزي بالقرب) كما في المثل (حكم الزير على الخنزير).

والقرب هي: جلود الغنم تدبغ وتخرز وتملأ ماء، ولها عروتان هن اليدين والرجلين تعلق بهما في البيت وعلى جنب البعير والحمار، ويحملها الإنسان على ظهره عند الحاجة، فهي أوعية الماء في الحضر والسفر. فالزير لما قُتل أخوه كليب، قام بأخذ الثأر بدم أخيه، وكان يقول وهو يطارد:

يـا ليـت عيـن مـن كليـب تشـوف      حـامـي الطـراد فـي وادي سميـرا

* * *

## سهولةُ أحوال الناس سابقًا

أما الحقوق، والدعاوى، والقضايا، فسهلة جدًا، فإذا وقف المشتكي بدعواه أمام الأمير: أعْطَوْهُ كتابًا لخصمه يحضر معه حالاً، فإلّم يحضر فورًا: أرسل معه خادمًا يحضره جبريًا، ويغرِّمه الأمير ريالاً أو ريالين نكالاً على الإباء وخدمات، ثم يذهب بهما الخادم للقاضي ويلازمهما حتى ينتهوا. ولا بد أن يُحْضِر كلٌّ من الخصمين معه ما لديه من بينة (شهود، أو وثائق) فإذا طلب القاضي إثبات دعواه؟ استدعا شهوده الحاضرين معه عند الباب، أو أخرج وثيقته من مخباته، فيحكم بينهم وينتهوا لأول مرة غالبًا، فيرجعهما الخادم للأمير للتنفيذ فورًا، فبهذا يرتاحون، وتحترم الحقوق، وترتاح منهم الجهات الحكومية.

ألله أكبر: يا رحمةَ الله الناسَ بولاة الأمر، ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾[1]. (انتهى).

* * *

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٢.

## أمثلة

قيل: (الدواء في أشين الشجر) يعني أن الدواء غالبًا لا يكون في الشيء الجميل اللذيذ.

كما قيل: (ما حرّك داواك) يعني اصبر على الدواء ولو أن نفسك تتألم منه.

قيل: (داو عينك يابن غيثار، قال: ما أنا مطاولها) يعني أن الموت قريب.

وقيل: (ليت كحله يكّفي عيونه) في استقلال الشيء.

وقيل: (يشبع الذيب وأبو مخيمر)، أبو مخيمر هو: الثعلب، يقال ذلك إذا كان الطعام كثيرًا يكفي الجميع.

ويقال: (مْتَيْح مدور الطلابه) وهو: الإنسان الشكس.

ويقال: (ما تحسد يمين فعايله) يقال ذلك إذا كان يسيء التصرف وانعكس عليه أمره.

ويقال: (بصيص العين ولا عماه) والبصيص هو الإبصار القليل.

ويقال: (العور أهون من العمى).

قيل: احذروا مادة الخنزير فإنها تميت الغيرة والرجولة والصلة،

وتقتل الفضيلة في الإنسان، وقد وجدت في كثير من الأطعمة المعلبة المستوردة وكتب عنها بعض أهل الغيرة من المسلمين. قيل:

سـارت مشـرقـة وسـرت مغـربـا　　　شتـــان بيـــن مشـــرق ومغـــرب

قال: (يا الله مهبول آخذ عباته، قال: يا الله مهبول أتخلص منه)، يعني أن المهبول يفضحك في كل حال. (انتهى).

* * *

# السمح من الاقتصاد في الماضي

كان الناس أحوالهم بسيطة، يعيشون على أدنى كفاية، بسبب الحروب والنهب والسلب، وحينًا بسبب القحط وقلة المطر، وحينًا بسبب أولاد الجراد، يأكل الثمار. فتارة يتطلبون الصيد على اختلاف أنواعه مهما أمكن، حتى فروخ العصافير، وحتى الجراد يعيشون عليه يأكلونه، وتارة يتطلبون ناتج الأرض وقت الربيع وغيره، وهو أنواع: فمنه الفقع (الكمأة) معروف مطلوب حتى الآن، ومنه العرجون وقت الربيع، هو من نوع الفطير، يطلع ممتدًا فوق الأرض لونه أبيض عمره سريع الفوات يطبخ مع الطعام مثل الفقع، ومنه الطرثوث لونه أحمر، ينبت حول شجر الغضا، يشوونه بالنار ويأكلونه، ويتخذونه أيضًا علاجًا للمغص الباطني بعد يبسه وسحقه وشربه.

سافر شاب أوقات المساغب، يتطلب المصالح ووسائل المعيشة، فصار يعمل في بلاد العراق، فسئم من مشاهدة دينهم (الشيعة) فصار كثير الحنين إلى بلاده نجد (بلاد الإسلام) فيقول:

لو اعَلا مَنْ فارَقَ البرْغوث — واديار عبادة علي
لديرة نَبْتَهَ الطرثوث — ودين أحلى من سكر حَلِيْ

ويـأكلـون بعـض نبـاتـات الأعشـاب مبـاشـرة: مثـل البسبـاس، والذعلوق وهو أحسنها، والحوّا، والبقِّير وغيره، ومن الأعشاب ما يطبخ مع الطعام وهو جذور الحنباز يشبه جذور الجزر، ويأكلون القصيل وهو ورق الزرع (الشعير) في أول عمره، قبل يظهر له قصب وقبل يتوفر له السقى، ويجعلون فيه قليل ملح. ومن الأعشاب المأكولة بذورها (السمح) نبات ربيعي له ثمر بذور يشبه الدخن، يجنونه ويدقونه بعد يبسه ويذرونه فيأخذون محصولـه يطحنونه ويخبزونه صالحًا للأكل.

وكـان النـاس لا يتخـذون آلات مـلاهـي، ولكـن يكـون لهـم مجتمعات ومحاضرات شعبية، يلقون فيها محاضرات، ومفاخر، وأشعار، مما يَشْحَذ هممهم وعزمهم على الشجاعة والكرم وغيره من المعالي والعوائد، ويَحْدُوهم عن المعائب والردئ في سائر الأحوال.

هناك جماعة أقاموا مقابلة مع بعضهم يسمونها (القلطه) افترقوا فيها فرقتين، يترادون بالشعر على بعضهم، فصار الشاعر وابنه مع فرقة في جهة، فقال أهل الجهة الثانية: لا نقابلكم وحدنا إلا أن يأتي معنا الشاعر فلان أو ابنه؟ فأذن الشاعر لابنه أن يذهب يقابله معهم، فذهب الابن معهم فافتتح الشاعر المقابلة بقوله:

يا مل قلب تفرق كما سمح ابضاحى      يا من يلم السمح والرمل غاشيه

فقام الابن بالرد على أبيه فقال:

يجيـه مـن نـوء الثـريـا رواحـى      وينبـت علـى الـدور ثـم نجنيـه

معاني كلام الشاعر:

هو يصف قلبه حالة تفرقه في هوى محبوبته، ببذور السمح، إذا انتشرت وتفرقت واختلطت برمل الضاحي (وهي الأرض الرملية الواسعة) حيث أنه لا يمكن جمعه، وتنقيته، فقلبه هكذا.

ولكن الابن أتى ببيان حالة فاصلة لهذا المشكل: هو نزول المطر على هذه الأرض ولو على دور السنة فينبت هذا السمح فيمكن جنيه والحصول عليه، وهذا كناية لاجتماع شمله بما هو سبب تفرقه: فبهذا ظهر كلام الابن على كلام أبيه، كما ظهر أن السمح معروف عندهم مستعمل. (انتهى).

* * *

## أحدٌ يسرق وأحد يتصدق

قيل: كان أعمىً قد سرقت جبته، فجعل يبكي، فاجتمع إليه الناس، فمر رجل وقال: لماذا يبكي؟ فقالوا: سرقت جبته، فخلع الرجل جبته وأعطاها الأعمى، فقال رجل من الحاضرين: صدق الله العظيم ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴾ أحد يسرق وأحد يتصدق. (انتهى).

* * *

# تابع.. سهولة أحوال الناس سابقًا

جاءت امرأة تخاصم زوجها لدى القاضي الشيخ عمر بن سليم، رحمه الله، وادعت أنه عنين، وأنها تبغي أولاد، ولكن الشيخ رحمه الله لم يحكم لها ولا عليها لأول وهلة، ولكن وعظها وأمرها بالاحتساب والصبر، وأنها لا تدري أين الخيرة، ولكن هي لم تقتنع بذلك، وصممت على دعواها، فأقامهما من غير حكم، وكان زوجها يعمل بمزرعة قرب البلد يروس الماء، والشيخ يعرف محل عمله وأوقاته.

فالشيخ أمر اثنين من أصحابه، قال لهما: إذا كان آخر الليل قبل الصبح بمقدار ساعة، أخرجا إلى فلان تجدانه يروس (يسقي) في نخل الشقيري خارج سور البلد، فسلما عليه والمسا مقلتيه، يعني (خصيتيه) وانظرا هل هُنَّ مرتفعات أو سائلات؟، فلما كان آخر الليل خرجا ووجدا الرجل يسقي البرسيم، فسلما عليه ودعيا له بالمعونة، وتحدثا معه، ثم قالا له: (لا حياء في الدين يا فلان، إن الشيخ أمرنا بكذا وكذا)، فقال الرجل: لا مانع سمعًا وطاعة، فقربا منه ولمسا خصيانه. وإذا هي سائلة رغم أن الوقت بارد: فسيلانها في هذا الوقت يدل على عدم وجود الرجولة فيها، فيدل على صدق ما تدعيه المرأة، فالمندوبان أخبرا الشيخ بما وجدا، فكتب الشيخ بيده ما معناه: (بسم الله الرحمن

الرحيم، موجب تحريره هو أني أنا عمر بن سليم قاضي بريدة، قد طلقت فلانة من زوجها فلان بسبب ثبوت عنينيته)، وختم عليه وأرسله لها، وهي في بيتها، رحمهم الله أجمعين.

فانظر سهولة أحوال الناس سابقًا وسهولة الحكم عليهم، وانقيادهم للحكم، وراحة حكامهم في ذاك الوقت، فوازن بينها وبين أحوال الناس اليوم، وتمردهم على الحكام، وعدم انقيادهم للأوامر، حتى تبقى بعض الأحكام عدة سنين لا تنتهي، بسبب شكاسة الخصوم، فلا حول ولا قوة إلا بالله، وإنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أصلح رعايا المسلمين ورعاتهم. (انتهى). ويأتي زيادة قصص في ذلك إنشاء الله.

* * *

# اعتبار البخيل

كان رجل عنده مال ولكنه شحيح، قد حرم نفسه وأهله فضل الله عليه، فخرج مرة من بلده يمشي على رجليه ذاهبًا إلى بلد هناك، لبعض شؤونه، فلما قرب من البلد أمساه الليل وأتاه مطر وبَرْد، وليس عليه ثياب تقيه ذلك فلم يأخذ أهبة للبرد، فجعل يرتعد ويضطرب حنكه من البرد، حتى وصل البلدة، وإذا رجل واقف بباب بيته فلما رأى هذا الطرقي احتسب الأجر وقال له تعال تفضل أدخل عندنا حياك الله يا عم، فانثنى الرجل ودخل عنده، وإذا النار موقدة جيدة ثم زادها حطبًا وقربه منها يدفئه وألبسه فروته، والقهوة جاهزة حول النار فصبها له وأتاه بالعشاء، فانبسط الرجل وأصاب خيرًا، ونام عنده وأكرمه، وفي الصباح كذلك، فأعجب به الضيف وظنه الأمير أو نحو ذلك، وأحب أن يعرفه، فسأله (ما اسمك يا أخي؟) فقال صاحب المحل (أنا اسمي هِرْ): ثم سأله عن دخل هذا المال الذي ينفق منه: (يَغْضِفُ غَضْفًا؟) فقال الرجل (كان هنا رجل عنده مال كثير، ولكنه شحيح قد حرم نفسه الانتفاع به، فمات، فورثته زوجته، فتزوجتها أنا بعده، فانبسطت أنا وإياها بهذا المال كما ترا. فانتبه هذا الرجل لحاله: وقال بنفسه وأنا مثل هذا المحروم: عندي مال لم أنتفع به، فرجع من ساعته إلى أهله، فلما

وصل بلده قصد السوق أولاً: لعلمه أن بيته خال من كل خير، فاشترى طعامًا ولحمًا وخضارًا: فاستدعى أحد الحمالين، وحمله إياه وقال له اذهب به إلى بيتي وأنا آخذ باقي أغراض وآتي على أثرك إنشاء الله تعالى، فذهب الحمال بالطعام إلى بيت الرجل وطرق عليهم الباب، وقال هذا الطعام لكم اشتراه أبوكم: فقالوا أنت غلطت ليس هذا لنا، فأبونا لا يشتري لنا مثل هذا، ولكن تطلب أهله غيرنا: فبينما هم يتجادلون إذ جاء أبوهم فقال: افتحوا افتحوا نبغي نأكل ما لنا قبل يأتيه هِرٌّ يأكله، يعني قصة الرجل في ذيك البلد، الآنف الذِّكر. (انتهى).

* * *

## لا تكن البومة أطيب منك

يقال: إذا كان لك دين على إنسان أعوج، ثم أعطاك بعضه، فخذه وطالب بالباقي، ولا ترده وتقول لا أقبل إلاَّ حقي أجمع، لأنه يقال: (إن البومة أطيب من الذي يعطا نصف حقه ويعافه لأنها تأخذ ما تيسر لها)، فربما إنك تتمنى الذي أنت رجعت فلا يحصل لك بعد. (انتهى).

* * *

# صحيح غير صحيح

قولهم: (أعق من الضب) هو صحيح: لكنه غير صحيح، فهل تعجب من ذلك؟، وذلك أن الضب يبيض أفراخه بيضًا كثيرًا في قعر جحره كغيره من الحيوانات الزاحفة والدبيب، فإذا تكامل بيضه ردم عليه باب الجحر ترابًا، ويبقى هو خارجه يدور حوله كالحارس ويرعى من العشب ويأوي إلى بيت آخر. فإذا تمت مدة تفكيس البيض أفراخًا ألهمه الله ففتح الردم عن باب الجحر وإذا الأفراخ قد انتشرت في الجحر تتطلب مخرجًا.

فأنكر هو وجود هذا الحيوان في بيته، إذ علمه بأولاده بيض، وظن أن هذا عدو قد هجم على أولاده، فغضب وثارت غيرته وحميته لأولاده؛ فجعل يبطش بها، يعض هذا بفمه، ويطأ هذا برجله، ويضرب هذا بذنبه، كذلك أفراخه أزعجها وجود هذا الحيوان الصائل عليها، فجعلت تفر منه إلى خارج الجحر، فتهيم في الصحراء بلا أم، وتأوي تحت الحجر والشجر، وتأكل من رقاق العشب حتى تكبر، فظاهر فعله أنه عقوق وقطيعة رحم، ولكنه في الحقيقة حمية وانتصار لأولاده كما تراه. (انتهى).

قيل:

نزلنا ها هنا ثم ارتحلنا ... وهكذا الدنيا نزول وارتحال

وقيل:

نزلنا في دار حي أقفى ... ونرحل وينزل في منازلنا نزول

دولة دالت وزالت ... وكل ملك غير ملك الله يزول

فالله المستعان.

وقيل:

أصالة الرأي صانتني عن الخطل ...................

ويقال: (سماعك بالمعيدي خير لك من أن تراه).

وقيل: (إذا طال الأمل ساء العمل). (انتهى).

* * *

## رَجُلٌ بَارٌّ بوالديه

فإنه جاء ليلة ليرقد عند إحدى زوجاته، فوجد أباه وأمه بينهما شيء من النزاع، وكانت غرفتهما قريب من غرف نسائه، إذ كانوا يسكنون في بيت واحد، وحيث كان بارًّا بهما، لم تطب نفسه أن يذهب ينام وهما على هذه الحال، فأراد أن يرضيهما، فوقف عند الباب وقال: يا أمه، قالت: نعم، قال: من أنا عنده الليلة؟ فضحك أبوه وقال: (ثَوْرُكِ ضَيَّع مَرْبَطَه)، فطابت نفسه حين ضحك أبوه. (انتهى).

* * *

# في رأس أبا زِمير نَهَقِهْ

قيل: اتفق جمل وحمار على أن يهربوا من أهلهم، ويخرجون للبر يكشتون ويستريحون من العمل. فخرجوا ووجدوا روضة فيها ربيع (عشبًا وماءً) كما في المثل: (ربيع حمار ثغب وثيِّل)، فالثغب هو بقية ماءٍ في مجرح الشعيب (الوادي) وحوله ربيع عشب وثيِّل: ويقال (جنة حمار). فجعلوا يأكلون ويشربون واستراحوا من التعب، فاستأنسوا جدًا، ولكن الحمار لما شبع فسق، وجاء إلى خويه الجمل، وقال: ودي أنهـق، فقـال الجمـل: لا تنهـق تفضحنـا ونحـن الآن استـأنسنـا واسترحنا، فرجع الحمار يرعى، ثم جاء وقال: ودي أنهق، فقال الجمل لا تفضحنا يا شين، انْعِمْ وخل عنك الفسق لا تسبب علينا شرًّا، فرجع الحمار مدة. ثم جاء وقال: يا خويـي في رأس إبا إزمير إنهقه، ثم عَطَّهُ الحمار وجعل ينهق ويركض ويدور في الروضة وطَوَّل النهيق، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾(١) ــ أي النهيق ــ ، وإذا جماعة يمشون في طريق غير بعيد من الروضة، فسمعوا النهيق، وجاءوا وأخذوا الجمل والحمار وساقوهما معهم في الطريق، ثم تعب الحمار وعجز عن لحاق الإبل، فحملوه على الجمل خويه، فغضب

(١) سورة لقمان: الآية ١٩.

الجمل وقال: أنا أنهاه عن النهيق وعصاني حتى سبب علينا نؤخذ، والآن يحمل فوق ظهري، فلما وصل أرضًا منحدرة، قال الجمل للحمار: أنا والله طربان من نهيقك الصباح، وودي أرقص؟ فقال الحمار: لا ترقص فأنا أطيح، فقال الجمل: لا بد من الرقص أنا طربان، فانتفض الجمل، فسقط الحمار وانشق بطنه. وهذا يضرب مثلاً لكثير من الناس، ممن لا يشكر النعما ولا يصبر على البلوى، قال تعالى: ﴿ ۞إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ﴾(١).

* * *

(١) سورة المعارج: الآيات ١٩ ــ ٢٢.

## رصاصة الشـرود
## ليس الخوف يدفع الأجل، ولا الإقدام يدنيه

كان رجلان أخوان في البر، أغار عليهما قوم ليأخذوا ركائبهم، وكان الرجلان أحدهما شجاع جريء، والآخر خواف جبان. وحين رأوهم من بعيد جعل الخواف يصيح ويرتعد: أين أهرب أين المفر؟ فجعل أخوه يهدئه ويؤمنه، سوف نرميهم سوف نقتلهم وننتصر عليهم، وكذا وكذا، ولكن لم يُجْدِ به شيأ؛ كما في المثل: (ما ينفع الخائف قَوْلَتْ ما عليك). وإذا حولهما لِجْفٌ شبه غار في طرف حِثْمَة جبل صغير. فقال لأخيه تعال ادخل في هذا اللجف أردم عليك حجارة حتى لا يصيبك الرمى. فدخل فيه وردم عليه باب الغار حجارة. وإذا هم قد قربوا، فنطحهم يقاتلهم، يرميهم ويرمونه، يرميهم ويرمونه. فخافوا منه فرجعوا وذهبوا. فأتى إلى أخيه يبشره أنه هزمهم وذهبوا خائبين، فلما وصله وإذا الدم يسيل من تحت الحجارة، ففتح الردم ينظر وإذا هو ميت، قد دخلت عليه رصاصة من بين الحجارة، فردم عليه وتركه في مكانه. (انتهى).

* * *

# فائدة في طرد الوسواس

(سألت أحد العلماء رحمه الله، عما إذا قرأت بعض الفاتحة في الصلاة وأنا غافل، ثم ذكرت أني في الصلاة وأني غافل، هل أرجع أقرأ الفاتحة من أولها، لأقرأها عن حضور قلب؟)، فأجاب: (لا ترجع واحفظ ذهنك في الباقي من صلاتك، فإنك إن رجعت استطردت للوسواس فربما تزايد شيأً فشيأً حتى يتغلب عليك).

وهكذا تقرير شيخنا صالح الخريصي رحمه الله يقول: (إذا كثر عليك السهو في الصلاة فَاطِّرِحْهُ وابْنِ على غالب ظنك وامْضِ ولا تسجد للسهو: لأن الوسواس ليس له حد: وحكمه وعلاجه الإطِّراح، أي عدم الإلتفات إليه يقول: وهكذا تفعل في الوضوء والطهارة والقراءة وسائر العبادات، (يعني): فلا تستطرد للوسواس، بل ابْنِ على غالب ظنك وامضِ فيما أنت فيه، وإلا تلاعب بك وشغلك عن عباداتك.

وأوصانا رحمه الله بالاهتمام بحفظ القرآن عن ظهر قلب، ويسمونه (قراءة غَيْب) تَغْيِيب القرآن.

يقول: (إذا دخل رمضان فَوَحِّدْ وقتك لتغييب القرآن على

صدرك، فإنك سوف تُغيِّبْ فيه خمسة أجزاء، فداوم على درسها حتى يأتي رمضان الثاني وإذا قد انطبعت في ذهنك هذه الأجزاء فتتفرغ لتغييب خمسة أخر، كذلك، وهكذا كل سنة وإذا أنْتَ قد حفظته كله بإتقان. نسأل الله من فضله ورحمته. (انتهى).

* * *

## فوائد السمع والطاعة لولاة الأمور

قال رجل لعلي ابن أبـي طالب رضي الله عنه: لماذا: في خلافة أبـي بكر وعمر كانت الأمور منتظمة والأحوال مستقيمة، وفي خلافتك وخلافة عثمان: الأحوال مختلفة والأمور متفاقمة؟

فقال علي رضي الله عنه: أبو بكر وعمر: أُمَراءُ على مثلي أسمع وأطيع: وأما أنا وعثمان أمراء على مثلك لا تسمع ولا تطيع. (انتهى).

* * *

# إيلا أضفَرّ عرقوب المره صار به كيد

كان رجل يقال له أبو فراج (وكان شاعرًا، وكان له صديق يقال له أبو عبد الرحمن) فقال أبو عبد الرحمن: ائتنا بعد صلاة الفجر للقهوة، ونخلي أم عبد الرحمن تعصد لنا عصيدة، قبل يقومون العيال، فقال أبو فراج: نعم، لا بأس، قال أبو عبد الرحمن لزوجته أم عبد الرحمن: إني عزمت أبو فراج بعد صلاة الفجر على عصيدة، ولكن اطبخي لنا عصيدة مبكرة، قالت: والله ما تطق سنه، فقال أنا مواعده، قالت: اطبخ له أنت، فلما جاء أبو فراج للقهوة والفطور على الموعد، قام أبو عبد الرحمن وأحضر تمرًا ناشفًا ووضعه حول النار لأجل يلين، وقال: كل يا أبو فراج من هذا التمر قبل القهوة، لأن أم عبد الرحمن اليوم صحتها ما هي جيدة، ولا عصدت لنا. فقال أبو فراج: إيْه، إيْه:

| | |
|---|---|
| **إيلا إصفر عرقوب المره صار بَهْ كيد** | **تجيب لك رائي إتخالف به ارياك** |
| **عليك باللي كِنّها قايد الصيد** | **وِلاّ افطاعون يْفَرِّي رياياك** |

إلى آخر كلامه.

فقال أنا أبو عبد الرحمن، والله ما لي عنها إن شاء الله. فذهب وتزوج شابة وترك أم عبد الرحمن، فقالت هي: هذا جزاء الردا، ليتني مصلحة لأبو فراج حنيني ما هي عصيدة، ولكن حقي أو ما جاني. (انتهى). وللحديث بقية.

# خـارقـة

قد استفاض عن ثقات: أن رجلاً اشترى له لحمة من سوق اللحم، فحملها لبيته، وإذ به يمر من عنده جنازة محمولة بالنعش ليصلَّى عليها في المسجد، فاحتسب الأجر وتبع الجنازة وصلى عليها معهم، وتبعهم للمقبرة، فلف لحمته ببشته ووضعها عنده حتى فرغوا من دفـن الميت وذهبوا، فـأتى أهـلـه باللحمة. وبعد الظهر قامت المرأة بطبخ اللحم على العادة، فلما صار بعد العصر وكشفت عنها الغطاء لتأخذ مـن مرقهـا للعشاء: وإذا اللحمة بحالـهـا (حمراء باردة) لم تحس بالنار، فظنت المرأة أن نارها رديئة، فزادتها حطبًا لجودة النار، حتى المغرب، فلم يؤثر بها، فلما جاء الرجل وقت المغرب أخبرته بحال اللحمه: ونظرهـا بعينه فتعجب وأشكل عليه أمرها. فذهب إلى الشيخ عالم البلد، وكانوا يفزعون إلى العلماء في الأمور المهمة، فصلى مع الشيخ المغرب وأخبره بحال اللحمة. فسأله الشيخ: من أين ــ وإلى أين؟ فأخبره أنها لحمة عادية من لحم السوق وأنه تبع جنازة فلان إلى المقبرة وحضر معهم ولحمته معه حتى فرغوا وذهبوا. إلى آخره.

فقـال الشيـخ: مـا شـاء الله، هـذه بشـارة خيـر، أن هـذه الجنـازة

مرحومة مغفور لها وحرمت على النار ومن حضرها، ودخلت لحمتك في عموم الرحمة، فحرمت على النار كما ترى. فقد يكون هذا من كرامات الأولياء. نسأل الله الكريم من فضله. قال الله تعالى: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ﴾، ثم وجدت هذه القصة في كتاب صالح العمري في ترجمة الشيخ: عبد الله بن فَدَّا. (انتهى).

* * *

## مكارم.. وصنايع: في البادية

قيل: تزوج أحد رجال البادية زوجة من غير عشيرته، وبعد مدة حصل بين العشيرتين خلاف وقتال، وفُرِّق بين الرجل وزوجته.

وبعد مضي نحو خمس سنوات، ذهب الرجل يتطلب العشيرة التي بها زوجته، فلما قرب من القطين (العرب) تعرف على البيت الذي هي فيه؛ فلما مضا بعض الليل وغاب القمر، صعد على جبل صغير حول البيت، وأخذ يَعْوي عِواءَ الذئب، ثلاث مرات متتاليات، فلما سمعت زوجته الصوت عرفته، فأخذت شيئًا من الطعام والشراب وذهبت نحوه خفية، فلما رأته قالت: فلان؟ قال نعم، فلانه؟ قالت نعم، فبكت له وبكى لها حتى شبعا من البكى، ثم أصاب منها ما يصيب الزوج من زوجته وتعشى وشرب ثم ودعها ورجع.

فحملت منه، وبان حملها، فاتهمها إخوانها بالخيانة؟ وأرادوا قتلها، فأخبرتهم أنه من زوجها فلم يصدقوها؛ لكن كان أحدهم حازمًا فقال: انتظروا وأنا آتيكم بالخبر الأكيد انشاء الله.

فذهب يتطلب عشيرة صهرهم الزوج حتى وصلهم، فاستقبلوه، وأكرموه، كما هي عادة العرب للوافد والضيف، حتى لو كان بينهم خلاف.

ثم قام أحد الجالسين يعرض عليهم الربابة كالعادة، يستخرجون بها مكنونات الأخبار من بعضهم؟. فأخذها هذا الرجل القادم الذي هو أخو الزوجة، وغنى فقال:

يا ذيب ياللي تالي الليل عَوَيْت    ثلاث عَوْيات قويات إصلابْ
أنشدك بالله عِقْبَها ويش سويت    يوم الثريا لجلجت والقمر غابْ

فأجابه الرجل (زوج أخته)، قال:

أنا اشهد إني من اقْراكم تعشيت    خَذَيْت شاة الذيب من بين الاطنابْ
على النقا والا الردى ما تهقويت    ردوا نسبنا يا عريبين الانسابْ

فقال الوافد: للزوج: امشي معي إذًا خذ زوجتك، فركب ناقته وسلاحه وسار معه، فلما قربا من أهله أناخ ناقته وأخفاها، وذهب معه لأهله فأكرموه كذلك، فأذاع الرجل القصيدتين في أهله، فعرفوا براءة البنت، فسمحوا لها تذهب مع زوجها. فلما كان أثناء الليل سَرَّوْها معه خفية عن قومهم، فأردفها معه على ناقته وذهب بها.

أقول: وصنيع هذا الرجل في عِوائِهِ لَها: كانوا يفعلونه في شتّى الظروف الضرورية المخوفة: كأن يذهب بالليل اثنان من العيون، أو لطلب غرض ويفترقان، فيعوي أحدهما لصاحبه إذا وجد الغرض، أو رأى المحذور، أو ليعلمه بمكانه، أو غير ذلك، كما تجده في القصص القديمة، كما أثارَ عِواءُهُ غريزتها وأتته على غلبة الظن حيث كانت موتورة به، فوجدته فقرَّت عينها به، وكانوا يسمعون عِواءَ الذئب الحقيقي بكثرة، فيشابهونه يغررون به. (انتهى).

قيل:

تواضع إذا ما نلت في الناس رفعة      فإن رفيع القوم من يتواضع

وقيل:

وين أنت يالا: يوم أقول إيه      أمس حلالي بيدي واليوم أتاليه

وكما قيل: (كم يد عذبت رِجل)، معناه: أنك إنسان فيك مروءة، وتقضي لازم المحتاج، في قرض فلوس وغيره أو إعارة بعض الأغراض، يقضي لازمه ويُرْجِعْ عليك حقك بالمعروف، ولكن هو إنسان ليس فيه مروءة ولا إنسانية، قضى حاجته وتناسى حقك، فلم يرجعه عليك فأنت تعذبت في طلبه، ومثل هذا في قلة المروءة من يقول: (طَقَّةٌ في رأس غيري مثل صدع في الجدار).

ومثله ـ من يقول: (الجمل كْرُوِي ـ والعصا من الشجرة)

ومثله ـ من يقول: (عَطْنِي كبدك رَبْعِي راحوا).

وأمثال هذا في الناس كثير، ولكن إياك أن تتوب عن المروءة وفعل المعروف، فإن الذي يضيع من المروءة والمعروف عند بعض الناس لا يضيع عند الله، كما قال الشاعر:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه      لا يذهب العرف بين الله والناس

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۝٣٠﴾[1]. (انتهى).

* * *

(١) سورة الكهف: الآية ٣٠.

## وقيل: لا بُدَّ للحَجَّاز مِنْ طَقَّةْ عَصا

وذلـك أن النـاس دائمًـا، يحصـل بينهـم مشـاكـل: هـوشـات، ومضاربات، وقتال. فيأتي الإنسان صاحب المروءة والحمية فيحجز بينهم، فلا بد أن يخطر عليه العصا من أحدهم بطقة، ومع ذلك فهو لا يتركهم حتى يحجز بينهم، ويوقف المشكلة، حتى ولو خسر شيئًا من ماله، وهي الحمالة المعروفة، ويُساعَدُ صاحب الحمالة ولو من الزكاة وإن كان غنيًا، وهم (الغارمون).

وقيل: (مَدْحِكْ نفسك سماجة)، كما قيل: (مدّاح نفسه يبـي له رفسـه) إلاَّ إذا دعـت الحـال لـذلـك، كمـا قـال يـوسـف عليـه السـلام: ﴿ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾(١). أفاده بعض العلماء.

قيل لمعاوية رضي الله عنه: إن بوابك فلان يقدم معارفه في الدخول عليك على وجوه الناس، فقال معاوية رضي الله عنه: (إن المعرفة لتنفع في الكلب، فكيف برجل فيه مروءة ودين)، وصدق رضي الله عنه، فإن الكلب لا ينبح على من يعرفه، ولو غاب عنه عدة سنين، إذا جاء عرفه وعرف ريحه فلا ينبح عليه أبدًا حتى لو كان من الجيران. كما قيل:

---

(١) سورة يوسف: الآية ٥٥.

شــرار الخلــق إن فكــرت فيهــم أضــر عليــك مــن كلــب الكــلاب
لأن الكلــب لا يــؤذي صــديقًــا وإن صــديــق هــذا فــي عــذاب
فيــأتــي حيــن يــأي فــي ثيــاب وقــد نسجــت علــى رجــل مصــاب
فــأخــزى الله أثــوابًــا عليــه وأخــزى الله مــا ضمــن الثيــاب

وهذا كما في المثل السائر: (فلان مثل النعش لا يأتي إلاَّ لجنازة) يعني لكثرة غيره وقلة خيره. قيل:

وهــذا الحــق ليــس بــه خفــاء فــدعنــي مــن بنيــات الطــريــق

(انتهى).

* * *

## حجام دابق ـ والحجامة

قيل: إن حجام دابق: كان يجلس على الطريق يحجم من يأتيه يريد الحجامة، وإذا لم يأته أحد يحجمه أخرج أمه وجعل يحجمها، يستجلب بذلك الزبائن، حتى نفد دمها وماتت، ويضرب به المثل في العقوق، والقطيعة، والطمع، فيقال: (مثل حجام دابق إذا لم يجد مَن يحجمه حجم أمه).

## منافع الحجامة

أما أصل الحجامة، فهي قديمة، صالحة، نافعة عند الحاجة، وهي وجود (زيادة دم) وقد كان رؤساء العرب يفدون على الملوك يهدون إليهم ودهم وتبعيتهم لهم (لأجل يعطونهم جوائز على ذلك)، فوفد الحارث بن كلدة وكان هو طبيب العرب، على كسرى أو قيصر، فسأله: ماذا يعمل؟ فأخبره أنه يعني الطب، فسأله عن أشياء، وسأله عن النساء، فوصفهنَّ له، فأعجبه قوله فيهنَّ، ثم سأله عن الدم، فقال: (إذا زاد فخذه، في نقصان الشهر(١)، في يوم صحو، والنفس طيبة) فأمر الملك بتدوين ما قال، فالحجامة قديمة، نبوية، عربية، نافعة، إذا زاد

---

(١) نقصان الشهر هو بعد النصف هو ما يقارب سبعة عشر، وتسعة عشر، وواحد وعشرون، وخمس وعشرين.

الدم في بعض الأجسام، فاستفراغ الزيادة أنفع للجسم، وقد جربنا نحن وغيرنا ذلك، وهذا معروف على طول الأزمنة، خصوصًا لأهل الأعمال والتعب، فإن التعب يشد الجسم ويقويه، فيصحوا الدم ويقوى، فقد يزيد على حاجة الجسم فيسبب أمراضًا دَمَوِيَّةً ما، فيحتاج إلى استفراغ الزيادة، في وقت هيجان الدم، في أواخر فصل الربيع وقت مجيء الدفىء بعد البرد، غالبًا في السنة مرة، ويفضلون شربة مسهل قبل الحجامة بيومين أو ثلاثة، وقد كان النبي ﷺ يحتجم، أخرجاه في الصحيحين، وأمر بالحجامة فقال: «لا يترك أحدكم الدم يبغي عليه) الحديث أخرجه ابن ماجه وغيره، وقيل الشفاء في ثلاثة: كية نار، أو لعقة عسل، أو مشرط حجامة، وقد ذكر الحجامة ومنافعها ابن القيم في كتاب «الطب النبوي» فليراجع، والتجربة أكبر برهان، إلاّ شارب الدخان فلا تصلح له الحجامة، لأن الدخان قد أتعب دمه. (انتهى).

* * *

## من أحكام استقبال القبلة.. قال:

مَـنْ واجـه القطـب بـأرض اليمـن وعكســـه شـــامٌ وخلـــف الأذن
يُمْنًـــا عـــراق ويســـرًا مصـــر قـد صـح استقبـالـه فـي العمـر

انتهى من تقويم ابن سحمان.

ومما قرره شيخنا في أحكام القبلة، (فالأمر واسع في استقبال القبلة، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[1].

وقال النبي ﷺ: «ما بين المشرق والمغرب قبلة» رواه الترمذي، فيكفي استقبال الجهة: إنما عليك أن تجتهد في معرفة الجهة، ولا يضر إخطاء القبلة بعد الاجتهاد، (وبعض العلماء يفضل الخطأ إلى اليمين على الخطأ إلى اليسار إذا كنت في نجد لكون اليمين فيه الحرم المدني والحرم القدسي، أحسن من الجهة التي ليس فيها شيء)، قاله شيخنا وغيره. (وعلى هذا التفضيل بُنِيَت يَمَّة (قبلة) مساجد نجد القديمة).

فالمشروع أن نتعرف جهة مكة (بالنجوم ومعرفة الطرق إليها) ويكفي: وقد أخبرني غير واحد من أهل الثقة ممن كانوا يحجون على الإبل عدة مرات: بأنهم إذا خرجوا من ريعان الحجاز في طريقهم إلى

---

(١) سورة البقرة: الآية ١١٥.

نجد، وكان أكثر مشيهم بالليل متجهين للشرق وتطلع في وجوههم (الثريا والمباري) وهو نجم مضيء إلى جانبها شمالاً: فيجعلون الثريا في الحاجب الأيمن، والمباري في الحاجب الأيسر، ويميلون إليه قليلاً، فيفضي بهم هذا الاتجاه إلى القصيم بريده: وعلى مثل ذلك عامة شرائع الإسلام، فلا ينبغي التعمق والتنطع والتدقيق لأن الأمر في هذا واسع والحمد لله.

قال: وإذا اختلف اثنان أو أكثر في جهة القبلة جاز أن يقلد أحدهم الأعرف بالجهات والنجوم، وإذا جزم كل واحد بصواب نفسه، صلى كل واحد إلى ما جزم به، فإن أمكن اقتداء أحدهم بالآخر صلوا جميعًا، وإلاَّ صلى كل واحد إلى ما جزم به، وإذا وجدت أعمى يصلي وقد انحرف قليلاً فلا تشوش عليه صلاته بتعديله لأنه لا يضر، وليس في الأرض يَمَّةٌ متيقنة إلاَّ مسجدَيْ المدينة: النبوي، وقباء، أما غيرهما فالأمر واسع والحمد لله. والقطب هو: الجدي أو قريب منه بقدر ذراع، وهو يشبه السمكة: غير ناصع لا يرى في ليالي القمارى، (انتهى). (تقرير شيخنا رحمه الله)، والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد.

* * *

## قلة أصدقاء الصدق

قال:

سلام على الدنيا إذا لم يكن بها صديق صَدوق صادقُ الْوُدِّ منصفُ

أما الزمان الذي مضى، فأنت إذا طلبت صديقًا صدوقًا قد تجده فيناصفك حتى روحه، إذا كنت له كذلك، وأما في هذا الزمان، فأنت لا تكاد تجد صديقًا صدوقًا، إنما تجد من يدعي أنه صديق، وهو يتعرف كيف يمتص دَمَكَ ويحلب خِلفك.

قيل:

لا تنه عن خلق وتأتِيَ مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وقيل: (مشكا الخلق على الخالق).

وقيل: (رضا الناس غاية لا تدرك)

قال الأمير للقاضي: كيف أصبحت؟، فقال القاضي: أصبحت: الناسُ رَاضٍ عليَّ وغضبان، فقال الأمير: كيف ذلك؟، فقال القاضي: مَنْ قضيتُ له فهو عني راضٍ، ومَنْ قضيت عليه فهو عليَّ غضبان.

كما قال ابن الوردي:

**إن نصـــف النـــاس أعـــداء لمـــن ولـــي الأحكـــام هـــذا إن عـــدل**

وذلك لأن الحق هنا غالبًا لا يرضي الاثنين والإنصاف من النفس قليل. (انتهى).

* * *

## هل يجتمع الضب والسمكة؟

قال:

يـا رب لطفـك فقـد عمّـت الحلكـة | يـريـد يصطـادنـا بهـذه الشبكـة
أضحـى بعلمنـا الـدنيـا وإن لـه | لسر يؤلف بين الضب والسمكة

(يعني تلك الأحوال التي أغْفَتْ فينا ملة إبراهيم عليه السلام فَقَلَّتْ في المجتمع).

وقـال:

صلـى المصلـي لأمـرٍ كـان يطلبـه | فَمُـذْ قضـاه فـلا صلـى لـديـان

وقيـل:

ألقـى الصحيفـة كـي يخفـف رحلـه | والـزاد حتـى نعلـه ألقـاهـا

(انتهى).

* * *

## الانفعال للحب والبغض

قال: حُبُّكَ الشيء يعمي ويصم. وقيل:

إذا كان الحب يعمي عن المساوي فالبغض يعمي عن جميع المحاسن

وقـيـل:

فعين الرضا عن كل عيب كليلة كما أن عين السخط تبدي المساويا

وقيل: (كل بلاء دون النار عافية). وقال:

أبـا هنـد أفنيـت فـاستبـق بعضنـا حنانيك بعض الشر أهون من بعض

(انتهى).

* * *

## العوامل في إدراك العلم

قالوا: (العلم: حفظ واتقان، وآفة العلم النسيان).

فقليل من الناس من يجتمع فيه الحفظ والاتقان: وهو ضبط ما سمعه وحفظه، كما قيل:

أخي لن تنال العلم إلا بستة    سأنبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة    وإرشاد أستاذ وطول زمان

والبلغة هي: ما يحتاجه الطالب من المصاريف، ونستحب له فيها الاقتصاد حالة طلبه العلم، ومن لوازم الحفظ التفرغ من أشغال الدنيا، قال الشافعي رحمه الله: (لو اشتريتُ بصلة لنسيت مسألة).

وكان رجال الحديث حالة تعلمهم يكتبون ما سمعوه من أفواه المشائخ بالنهار وينسخونه بالليل.

فكان الإمام النسائي وأصحابه كذلك، وقد أثر بهم الجوع، فلم يفرغوا يصلحون لهم طعامًا. وذات يوم أنهكهم الجوع فقالوا: من يذهب يشتري لنا طعامًا؟ فتبرع النسائي، وقال: أنا، فأخذ الفلوس وذهب إلى السوق واشترى سمكة وأتى بها، فلما وصل أصحابه، وإذا هم قد سبقوه بالنسخ حالة غيابه، فوضع السمكة وجعل ينسخ ليتدارك ما فاته، ونسوا السمكة حتى فسدت.

قيل: والتغرب حالة طلب العلم أحسن من الأهل، لأجل التفرغ، وقراءته على شيخ يهابه ويحترمه أجود للحفظ. وقال:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي
وقال اعلم بأن العلم نور ... ونور الله لا يؤتاه عاصي

قيل: سافر الشافعي رحمه الله، وهو شاب لطلب العلم، فأوصته أمه بالصدق، وأعطته سبعة دراهم، أخفاها داخل ثيابه، وسار في الطريق مع قافلة، فعرض لهم قطّاع الطريق (حرامية) وأخذوهم وما معهم، وكان هو يسير إلى جنب القافلة على رجليه، فلحقه أحد الأعراب، وقال له: تعال وش معك؟ فقال معي: سبعة دراهم، فأخذها الأعرابي منه وضحك عليه، حيث لم يجحدها لتسلم له، وظن الأعرابي أنه أخبر بها من شدة الخوف والرعب، فلما جلس الأعراب حول أميرهم يتحدثون كيف أخذوهم، وكيف عدوا عليهم؟. فأخبر الرجل عن الشاب وأنه أخبر بالفلوس لأول وهلة ولم يمانع، فقال الأمير: أنت تعرف الشاب الآن؟ قال: نعم. قال: قم هاته، فأتى الرجل واستدعاه من عند أصحابه، وأحضره عند الأمير، فقال الأمير للشاب: لماذا أخبرت بما معك، فلو جحدتها لعلها تسلم لك؟ فقال الشاب: إني أعرف ذلك، ولكن أمي قد أوصتني بالصدق، فلا أريد أكذب أبدًا، ولو سلمت فلوسي. قال الأمير لجماعته: ردوا عليهم ما لهم كله ولا تعرضوا لهم بسوء أبدًا من أجل صدق هذا الشاب.

وكان البخاري من طلاب الحديث، وكان في بغداد، فسمع حديثًا عن شيخ باليمن، فرحل إليه ليسمعه منه شفهيًا، فسار من بغداد

إلى صنعاء من أجل تصحيح حديث. فلما وصل الشيخ في صنعاء وسلم عليه، سأله أنت الشيخ فلان ابن فلان؟ قال: نعم، قال: بلغني عنك حديثٌ وأحببت أن أسمعه منك شفاهيًا، فقال الشيخ: أهلاً ومرحبًا، تفضل أولاً للضيافة، ثم نحدثك بما عندنا مما تريد إن شاء الله. فمشى البخاري مع الشيخ لمنزله، وإذا عنز الشيخ تدوج حول فناء البيت، فأراد الشيخ أن يحلبها للضيف، فأشار للعنز بيده كأنه يريد يعطيها شيئًا، وليس في يده شيء، إنما يريد يمسكها إذا قربت من يده. فقال له البخاري: هل في يدك شيء تعطيها إياه؟ فقال: لا، إنما أريد أمسكها فقال البخاري: إذًا كذبت عليها؟ فقال الشيخ: إنها عنز، فقال البخاري إذا كذبت على العنز كذبت عليَّ (لا حاجة لي بحديثك)، فرجع من فوره وتركه.

فهذه عادة أهل العلم والحديث، يأخذونه نقلاً من أفواه المشائخ، ويرحلون في طلبه إلى الأمصار والأقطار، وكل علم لا يؤخذ من أفواه العلماء فليس بشيء.

ولكن إذا كثف فهم الإنسان ظن أنه يدرك العلم النافع ويعرف الدين بدون التعلم على العلماء الربانيين، وهذا غرور يذهب إذا حقت الحاقَّة، فهو كما قيل:

أحاديثُ لا تُعْزىٰ إلى عالم فلا ... تساوي فُلَيْسًا إنْ رُجِعَتْ إلى النقد

والنقد هنا هو نقد رجال الحديث، وهو معرفة الصحيح من السقيم(١)، والله سبحانه أنزل القرآن، ويحب أن يعرف معناه ويعمل به،

(١) مثل نقد الفلوس وهو تصحيحها عند الصراف.

وقد تَعَبَّدَنا بذلك، قال مجاهد: (عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث مرات، أقف عند كل آية وأسأله عن أحكامها) رواه ابن جرير وغيره.

وكان أبو قتادة من أصحاب النبـي ﷺ، وقاتل معه في وقعة أحد، وجرح في وجهه، وسالت عينه على خده، فمسكها بيده، وأتى إلى الرسول ﷺ، فأخذها الرسول ﷺ وبصق بها وردها في مكانها، فبرأت وصارت أحسن عينيه، وما أصابها وجع بعد ذلك. أخرجه الدارقطني وغيره وساقها ابن إسحاق في السيرة، ثم وفد ابنه على عمر بن عبد العزيز رحمه الله في خلافته، فسأله: من أنت؟ فأنشأ يقول:

**أنا ابن الذي سالت على الخد عينه ... فـردت بكـف المصطفـى أيمـا رد**

فقال عمر:

**تلـك المنـاقـب لا قعبـان مـن لبـن ... شيبـا بمـاءٍ فعـادا بعـدُ أبـوالا**

بمثل ذلك فليتقرب إلينا المتقربون. (انتهى).

* * *

## أسأت إليّ فاستوحشت مني

كان الناس يحتاجون الكلاب، تحمي المواشي والزرع، وتحمي حتى أنفسهم ومحلهم إذا كانوا في طرف من البلد. فتجد الكلب طوال الليل ساهرًا يدور حول المحل وينبح، ثم يسكت قليلاً يتصنت هل يسمع همش شيء فيأتيه، فيضرب به المثل في الصلابة والسهر (رأس كلب)، يحمي أهله من الذئاب والسراق (الحرامية) فإذا اشتد صوته، قام أهله وفزعوا معه فيقوى بأسه. وإذا كان الكلب قوي البأس، فإنه لا ينبح، إنما يدور، وإذا رأى ما يحذر، أغار عليه، فإذا وصله ضبح بصوت واحد ليعلم أهله بذلك، فيقتل الذئب أو الرجل أو يقارب قتله؛ فإذا قام أهله من نومهم نام هو: فيضرب به المثل (نومة كلب). قال الشاعر:

فـذاك كمثـل الكلـب يسهـر ليلـه فإن لاح صبح فهو وَسْنانُ ناعِسُ

فوجود الكلاب في ذاك الوقت من لوازم الحياة لأهل الأطراف والبادية.

فهناك امرأة من العرب القُدَمى، كانت لها كلبة فألقحها ذئب؛ لأن الكلبة إذا أرادت الفحل وأجعلت ولم تجد كلبًا فإنها ربما تمكن الذئب من نفسها وتوالفه حتى يعليها (يلقحها) فهذه الكلبة ولدت

أفراخها ثم بعد ذلك ماتت، فالمرأة اختارت واحدًا من أفراخها، وأرضعته شاة لها فيها حليب، ثم إن الشاة والَفَتِ الْجِرُوْ واعتاد يرضعها بدون تمسك له الشاة، حتى كبر وصار جذعًا، وكانت عادته إذا جاءت المرأة من خارج المحل وأقبلت، لقيها ولعب أمامها وتحت رجليها، يتدلل، عادة أفراخ الكلاب.

وفي ذات يوم لما رضع الجرو من أمه الشاة عَضَّ ثديها وقطعه، فسال الدم فانسعر، وشق بطنها وافترسها وأكل منها، ثم تنحا عن المحل قليلاً، فلما جاءت المرأة تنحا عنها وأبعد، فأنكرت نفوره عنها وعرفت أنه مفسد (مخطىء)، فلما وصلت المحل وإذا الشاة مفروسة فالتفتت إليه وقالت:

**أسأت إليَّ فاستوحشت مني ولو أحسنت لأنسك الجميل**
**أكلت شويهتي وفجعت كبدي فمن أنبأك أن أباك غيل**

فصارت هذه قاعدة كلية، أن مَن أحسن إليك استأنس بك واستأنست به، ومن أساء إليك استوحش منك واستوحشت منه، ولو أنك لم تعلم بإساءته إليك في أول الأمر، كما قال علي رضي الله عنه:

**وللشيء من الشيء مقاييس وأشباه وللقلب على القلب دليل حين يلقاه**

* * *

# البذخ وقرعة الأحساء

بعض الناس يبذخ بالمصاريف أكثر من معدل دخله، «والاقتصاد في النفقة نصف المعيشة» حديثٌ رواه البيهقي، كما لا يجوز التقتير.

قيل: ذهب رجل يغتسل في عين الأحساء، فجاءت قرعة (دبا) مع الماء، فأخذها وذهب بها إلى أهله، وقال: هذه جاءتنا مجانًا؛ ففرح أهله، وقالوا: نريد نعمل عليها مرقة، ولكن اشتر لنا أغراض المرقة، فذهب الرجل إلى السوق، واشترى أغراضها (لحم وبصل وفلفل وليمون وملح وسمن وكذا وكذا)، فعملوا مرقة طيبة، ولكن هو حسب مصاريف هذه المرقة وإذا هي تبلغ نحو ريالين، ثم ذهب مرة ثانية يغتسل في عين الأحساء، فأتته القرعة مع الماء، فأخذها الرجل وخرق جانبها وأدخل فيها ربع ريال من الفضة وقال: اذهبي وهذا إعانة لمن يأخذك؛ ثم أرسلها تذهب مع الماء. (انتهى).

* * *

# التزوج خير من تأخيره

قال رجل لولده: إذا أردت أن أزوجك فعلق شماغك في هذا الوتد، وهو (عود من الخشب يغرز في عرض جدار المنزل) تعلق فيه الثياب والأثاث المنزلي، ولكن البنت سمعت قول أبيها لأخيها، فلما دخل الأب ذات يوم، وإذا هي قد علقت غدفتها (خمارها) بالوتد، إعلامًا لأبيها في طلب التزويج، أثابها الله على ذلك، فلا أنفع للمجتمع والفرد من التزوج، ولا أضر على المجتمع والفرد من العزوف عنه.

وأقول: فأين أهل النصح والإرشاد، العارفون بعواقب الأمور، وما تؤول إليه، ليرشدوا هؤلاء البنات اللاتي زهدن في الزواج في أوانه، وهو زهرة شبابهن، ووفرة إنجاب الأولاد، واشتغلن عنه بجمع المال، والله سبحانه جعل الزوج غناة للمرأة غناة كاملة، فلو أنها ذاقت ما خلقها الله له من محبة الزوج، والأولاد، وراحة البال، والدعة في البيت، لعلمت أنها مغرورة، وسنة الله خير لعباده.

وقد نشرت بعض المجلات في بعض الأقطار العربية مقالاً لبعض البنات، بعد فوات الأوان، حين عظت كف الندم، مقالها تحت عنوان (مَنْ المسؤول)، تعني أنَّهُ أبوها، ثم ذكرت كلامًا معناه أنّها امتنعت عن الزواج وقت أوانه، وهو وقت زهرة شبابها ووقت إنجاب الأولاد، وأنها

ندمت حين فات الأوان، وخسرت حياتها، وتريد أن تحمّل أباها المسؤولية عن هذه الخسارة، حيث لم يلزمها بالزواج في أوانه، لمعرفته بعواقب الأمور، ولكن ماذا يفيد اللوم بعد الفوات.

أيها الشباب ذكورًا وإناثًا، عليكم بالزواج المبكر، لتستغلوا منافع الحياة، وخصوصًا البنات، فإن زَهْوَ شَبَابِهِنَّ مثل الزهر سريعًا يَأفُلْ، فربما تفوت عليهنَّ فرصة اختيار الزوج، ووفرة الإنجاب، والدعة في البيت، وراحة البال، إذْ أنَّ حياتها بدون ذلك حياة تعسة ولو جمعت مال قارون. (انتهى).

* * *

# قناعة العروس بالميسور

وهناك عائلة في حارة فلاحين في ضواحي البلد، وكان عندهم ولد نشأ عندهم من صغره، هم أعمامه أو أخواله، فزوجوه من حارة أخرى، فلما كانت الليلة الثانية أتى بها فوق الحمارة، فلم يجد لها غرفة يسكنها بها إلاَّ غرفة فيها سماد، كانت حميرهم تدخل فيها، ولم يكن فيها فراش، ولا مع العروس فراش أبدًا، فلما دخلتها العروس بالليل وإذا هي غير صالحة للسكن، فقالت لزوجها الولد، دَوِّرْ لَنَا غير هذه الحجرة؟ قال: ما هنا غيرها، البيت كله صغير، قالت: هات لنا مسحاة وزنبيل (محفر)، فجعلت هي تعبىء الزنيل من السماد وهو يخرجه برّا، فلما نظفت الغرفة قالت: هل هنا رمل نظيف؟ قال: نعم ذاك النفود، فذهبت وإياه وأتوا برمل، حتى فرشوها رملاً نظيفًا وسكنوها بدون فراش، وربما فرشت ثوبها ونحوه، ثم أيضًا بعد ذلك، إذا جاءت وجبة الطعام وإذا هي عروس تستحي (حيث يجتمعن عليه)، فلا تحصل على ما يكفيها من الطعام، لأنه قليل؛ فلحقها الجوع بنفسها. وبعد عدة أيام من عرسها، أرسلت أمها إليها خادمة وطنية، وكان لا يوجد خدم ولا غير خدم أجانب أبدًا، أرسلتها إليها تزورها وترجع بخبرها، فأوصتها البنت: قالت: قولي لأمي تأتيني، فلما جاءتها أمها أخبرتها أنها تجوع،

فقالت لها أمها: إذا كان زوجك صالحًا لك، فاصبري فالشدة تزول، وأنا إن شاء الله أرسل لك كيس تمر ناشف سكري، احفري له بالأرض داخل الغرفة وادفنيه، حتى لا يعلم به أحد، وكل يوم خذي منه ملء يديك، ثم أنا أرسل لك غيره حتى يفرجها الله، ومضت حالها على هذا مدة، ثم جعل الله لها عاقبة خير وصلحت أحوالها جدًّا، لأن الشدة بترا (يعني أنها تزول سريعًا، وعاقبة الصبر إلى خير، وخصوصًا صبر الزوجة على أحوال زوجها. وأمثال هذه كثير، أنا أدركت أحوال بعض الناس هكذا.

قيل: اجتمع ثلاث بنات من العرب القدمى، وكل واحدة أبدت رأيها، أي النساء خير؟ فاختلفن في ذلك فذهبن إلى امرأة قد نضج عقلها، فأخبرنها باختلافهن، فقالت: (خير النساء: المبقية على زوجها، الصابرة على الضراء، مخافة أن ترجع إلى أهلها)، فهي تؤثر حظ زوجها على نفسها، فهي خير النساء، (تعني فتكون العاقبة لها). (انتهى).

* * *

## امرأة جميلة عاقلة

قيل: كانت امرأة من أجمل النساء، ولكن زوجها دميم من أدم الرجال، فقيل لها: كيف أنتي أجمل النساء وترضين أن يكون زوجك من أدم الرجال؟ فقالت: يا هذا: أنا لا أدري لعلي عملت ذنبًا فجعل عقوبتي، أو هو عمل حسنة فجعلت ثوابه، فأنا راضية بقضاء الله سبحانه، نقله الأصمعي.

قيل: كان رجل أعمى له زوجة، كثيرًا ما تذكر له جمالها، وتقول: ليتك تبصر تشوف زيني، وكذا وكذا، فلما أكثرت عليه، قال: (يا بنت الحلال، لو كان فيكِ جمال ما تركك المبصرون)، فسكتت بعد ذلك، (هو أجابها بذلك، وهذا لا ينافي أن تكون جميلة حقيقة).

ولكنه يضرب مثلاً عامًا لبعض الأشياء. (انتهى).

* * *

# ابركاة الشريف
## ينصح ابنه مالك، ويعني بها الجميع

يا مرقب بالصبح نطيت راقيك ... مـا واحـد قبلـي خبـرتـه تعـلاك
وليت يا ذا الدهر ما أكثر بلاويك ... الله يـزودنـا السـلامـة مـن اتـلاك
ياللي على العربان عمت شكاويك ... وليـت يـا دهـر الشَّقـاوَلْ مقـواك
واليوم هالكانون[1] غاد شبابيك ... تلعـب بـه الأريـاح مـن كـل شبـاك
يا مالك اسمع جابتي يوم أوصيك ... واعرف تراى يا بوك بآمرك وانهاك
وصيـة مـن والـد طـامـع فيـك ... تسبق على الساقة لسانه العلياك
أوصيك بالتقوى عسى الله يهديك ... لهـا وتـدركهـا بتـوفيـق مـولاك
اغل الحلال اللي عن الناس مغنيك ... اللي إليا بان الخلل فيك يرفاك
واعرف تَرا مَكَّهْ ولاها ابناخيك ... لو تطلبه خمسة دواوين ما انطاك
اجعل دروب المرجلة من معانيك ... واحذر تميل عن درجها بمرقاك
لا تنسـدح عنهـا وتبغيني أعطيـك ... جميـع مـا يكفيـك مـا حصـل ذاك
أدب وليـدك كـان تبغيـه يشفيـك ... لـو زعلـت أمـه لا تخليـه يـالاك
واحذر تضيّع كل من هو ذخر فيك ... معـروفـه لا تنسـاه وأوفـه بعـرفـاك
ترى الصنايع بين الأجواد تشريك ... اليـا طمعـت بغـرسهـا لا تعـداك
واحذر سرور بغبة البحر يرميك ... ولا عنده أحلى من تِشِكِّيك وابكاك

---

(١) يعني بالكانون: صدره يكن فيه أسراره وأفكاره، وهو في الأصل مَوْقَدُ النار.

واوف الرجال احقوقها قبل تاتيك لا توفيه بالقول فالحق يقفاك
وهرج النميمة والقفا لا يجي فيك إياك عرض الغافل إياي وإياك
تبدي حديثٍ للملا فيه تشكيك وتهيم عند الناس بَالْكِذْب واشراك
واليا نويت احذر تعلم ابطاريك كم واحد تبغي به العرف وأغواك
واحذر شماتت صاحب لك مصافيك واليا جرى لك جارى قال لولاك
ولا تحسبن الله قطوع ايخليك ولا تفرح أن الله على الخلق بداك
الضيف قدم واجبه حين يلفيك مما تطوله يا فتى الجود يمناك
أكرم اقباله فإنها من شواديك وابذل له المجهود ما دام يعناك
احذر تلقّي الضيف مقرن علابيك خله محب لك صديق إذا جاك
وأوصيك زلات الصديق إن عثا فيك ما زال يغطاها الشعر فاحتمل ذاك
راعه ولو ما شفته يُراعيك عساك تكسر نيته عن امعاداك
والصاحب اللي بالعطايا يمنيك إنصُهْ لمقضات الغرض قبل ينصاك
أما تجود إن كان هو جايدٍ فيك وإلا فْيَقْصُرْه ناظره عن مراعاك
واحذر عدوك لو ظهر بيُصافِيك خلك نبيه وراقبه أين ما جاك
لا تأمنه واطلب من الله ينجيك ويكفيك ربك شر ذولا وذولاك
شفني أنا يا أبوك بآمرك وانهيك عن التعرض بين الاثنين حذراك
إذا حضرت اطلابة مع شرابيك اسع لهم بالصلح واللاش يفداك
ابذل لهم بالطيب ربك ينجيك ولا تجضع الميزان مع ذا ولا ذاك
أما الشهادة فادها إن دعوا فيك بيِّن عمود الدين لا عميت أرياك
بالك تماشي واحد لك يرديك طالع بني جنسك وفكر بممشاك
رابع أصيل في زمانك يشاكيك لا شاف خملاتك عن الناس غطاك

وأحذرك عن طرد المقفى حذاريك ... عليك بالمقبل وترك اللي تعداك
ثم العن الشيطان لياه يغويك ... ترى إن تبعته للشرابيك وداك
ووصيك لا تشكي علينا بلاويك ... أنت السبب طرفك أعيونك ابيمناك
واعرف ترى اللي واطِ الفهر واطيك ... ولا أنت أعز من الجماعة هذولاك
ألمسك يا راسي عن الذل واخطيك ... واحذر تكلم يا لساني افحذراك
والطف بجارك وقم من دون عانيك ... وافطن لما يعنيك عن ربعة أخواك
يا ذيب وإن جتك الغنم في مفاليك ... فاكمن إلين الرواعي تعداك
من أول يا ذيب تفرس باياديك ... واليوم جا ذيب عن الفرس عداك
يا ذيب عاهدني وأعاهدك ما رميك ... ما رميك أنا يا ذيب لو زان مرماك
والنفس خالف رأيها قبل ترميك ... ترى لها الشيطان يرمي بالإهلاك
ومن بعد ذا لا تصحب النذل يعديك ... وعن صحبة الأنذال حاشاك حاشاك
ترى العشير النذل يخلف طواريك ... وأنا أرجى أنك ما تجي دون آباك
والهقوه إنك ما تجي دون أهاليك ... ولا ظن عود الورد يثمر بتنباك
والحر مثلك يستحي يصحب الديك ... وأن صاحبه عاعا معاعات الأدياك
لا تستمع لِلطَّرْف يوم يلفيك ... بَالْكِذْب يقضي حاجته كل ما جاك
مَنْ نَمْ لِكْ نَمْ بِكْ ما فيه تشكيك ... وايلاه قد أزرا رفيقك وَأَزْراك
عندك حكا فينا وعندي حكى فيك ... وأصبحت كارهنا وحنا كرهناك
ما اخطاك ما صابك لو كان راميك ... والي مصيبك لو تتقيت ما اخطاك
مير استمع مني عسى الله يهديك ... النصح يا مالك لك الله مولاك
عندي مَظَنَّةْ ما تمثلتها فيك ... واطلب لك التوفيق من عند مولاك

* * *

## ومن الأحوال الماضية.. المقشعة

قالت:

| | |
|---|---|
| المِقْشِعِـــه نَصَّبَـــهْ نَبْعـــان | شِغْـل الغَمــازا ومــاشُــورِهْ |
| يــا الله علــى راعــي الـدكــان | حَتَّنَّـى اطلــع عــن الْجُـورِه |
| الصبـــح مـــن دلتـــه فنجـــان | والعصـــر اعشينـــا مـــورِه |

**الـمـعـانـي:**

كانت أكثر أحوال الناس صحراوية، في القرى والمزارع والبر ونحوه. وكانت وسائل الحياة عندهم أعمال يدوية، من حطب، ورعي المواشي، وحش العلف (العشب) ونحوه، فكانوا يعانون من ذلك تعبًا وشدة رجالاً ونساءً. ولذا كانوا يحبون تزويج موليتهم رجلاً من أهل البلد لترتاح معه من هذا العناء في المعيشة. وكان لا يوجد صاحب دكان إلاّ في البلد لقلة الحركة.

فهذه البنت لما جاءَ وقت الربيع وحَشّ العشب: جعل أخوها الملقب (نَبْعان): يُصلح آلات الحش، وهن المخلب (المحش) والْمِقْشَعَة، جمعها (مقاشِع) وهي أصغر من المسحات خفيفة، ويأسرون نصابها بِالْقِد، أي يشدون نصابها به حتى لا ينكسر حالة الحش، (تعني: فأخوها أخذ يستعد لهذا العمل الشاق وهي من أعوانه

فيه) فأخذها الهم لذلك، والغَمازا هنا: صنّاعُ (حدادين) يجيدون الصنعة، والْجُوْرَة: هي موطنها ناحية القرية، ويقال: جَوْ، وتصغيره (جْوَى)، فهذه البنت جعلت تدعو الله سبحانه أن يرزقها زوجًا ليس من أهل هذا العناء، بل صاحب دكان أو نحوه لا يكلفها عناءَ المعيشة. فاستجاب الله سبحانه دعاءها، فتزوجها من قد تمنت فارتاحت معه. والحمد لله رب العالمين، والمورة: هي المزَّة، (الأرز)، وكانوا يشفقون عليه من قلته. (انتهى).

* * *

# جحا والقاضي

قيل: حصل رهان بين رجلين: (هل تستطيع تبيت طول الليل تسبح بالغدير إلى الصباح؟) (والغدير هو ماء كثير في البر من السيل)، وكان الوقت بارد، وكان الرهان من فرس هذا إلى فرس هذا، فتم بينهما الرهان، فدخل هذا الشاب في الغدير وبات ليله يسبح حتى أصبح، ولكن أمه أرادت منعه، فأبى، فضاق صدرها، وخافت على ابنها من هلاك البرد، وباتت ليلتها تبكي وتوقد نارها حتى أصبحت، فلما أصبح الشاب وخرج من الغدير سالمًا، طلب حقه من صاحبه، أن يعطيه الفرس، فأنكر صاحبه، وقال: إن أمك قد أوقدت لك نارًا طوال الليل تدفئك بها، فلم يتم الذي بيني وبينك، فأحضره عند القاضي فلم يُثبت القاضي له حقًّا، وقرر أن نار أمه قد دفأته، وبعد ذلك ذهب الشاب إلى جحا وعرض عليه الموضوع، فقال جحا: سوف ننظر الموضوع مع القاضي، فذهب جحا إلى القاضي وعزمه ـــ أي دعاه زيارة للعشاء، فأجابه القاضي، فلما حان وقت مجيء القاضي قام جحا وعلق القدر في سقف الغرفة، وأوقد النار تحته في الأرض، فلما دخل القاضي ضحك عليه وقال: هذا محال أن النار تؤثر في القدر وهو بعيد عنها هكذا، فقال جحا: أنت حكمت على هذا الرجل ونار أمه أبعد من هذا بكثير،

فقال القاضي: صدقت، فأعاد الحاكم وحكم له بالفرس فأخذها، فكان يضرب به المثل (قدر جحا) في استبعاد الشيء وقلة تأثيره، ثم إن الشاب أراد أن يجزي جحا، فقال جحا: (ليس في هذا منة هذه زكاة الجاه)، وقد قال الشافعي رحمه الله:

وأدِّ زكـــاة الجـــاه فـــإنهـــا كـــزكـــاة مـــال تـــم نصـــابـــه

قيل: كان جحا يريد يبيع أمه، وينادي عليها في السوق من يشتري؟ فقالوا له: كيف تبيع أمك؟ فقال: أحُدُّها بما لا يُطاق فلا تُشترى، ويضرب به المثل (يحد أمه بما لا يطاق).

وقيل: باع جحا بيتًا واستثنى منه وتدًا في وسطه، وجعل يأتي إليه كثيرًا يستعمله ويعلق فيه شيئًا من متاعه، حتى إنه يعلق فيه الفضلات المنتنة، حتى تأذوا منه وخرجوا وتركوا له البيت، ويضرب به المثل في الشيء المؤذي (وتد جحا)، والوتد هو عود يشبه الذراع، يغرز بعضه في عرض جدار المنزل، فيعلق في رأسه الثياب والمتاع والأثاث المنزلي، كما في المثل (الوتد منزل).

قيل: تخاصم رجلان في حائط نخل، فطلب القاضي ممن يدعيه شهودًا، فأحضرهم فقال القاضي لأحدهم: كم عدد نخل الحائط؟ فقال: لا أدري، فقال القاضي: لا نقبل شهادتك إذًا؟ فقال الرجل: أنت من كم سنة تصلي في هذا المسجد (الجامع)؟ فقال: منذ ثلاثين سنة، فقال: كم عدد أعمدته؟ فقال القاضي: لا أدري، فحينئذٍ قبل شهادته.

شهدت امرأتان عند القاضي، فأراد أن يفرق بينهنَّ ويسمع شهادة كل واحدة على حدة، فقالت إحداهنَّ: ليس لك ذلك، إن الله يقول: ﴿ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾[1]. فسمع شهادتهن جميعًا. (انتهى).

* * *

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٢.

# واقع عجيب: جني من الشام

حدثني صاحبٌ (وكان عدلاً ثقة) قال: كان أبوي ساكن في بلدة (الشقة) وكان أبوه طالب عِلْم، وَرِعٌ، قوي في أمر الدين والدنيا، قال: وفي ذات يوم جاءه أناسٌ في بنت قد أصيبت بصرع الجن، ليقرأ عليها، فتكلم الجني الذي فيها وقال: أنا أجنبـي، فقال المطوع: من أين أنت؟ قال: أنا من بلاد الشام، فقال له: ما الذي جاء بك هنا؟ فقال: إننا قد أتينا برفقة فلان من أهل بريدة، (من عُقيل) قد أتى معه بكتبٍ وجئنا برفقته. (فتابع المطوع القراءة عليه حتى تنازل الجني عنها وطلب الخروج، فأخذ عليه المطوع عهودًا، على أن يخرج ولا يضرها ولا يعود إليها أبدًا، كما هي عادة معروفة عند أهل هذا الفن.

الحاصل أن الجني خرج، وبرئت البنت من ساعتها الراهنة، فجمعت عليها ثيابها وتسترت وذهبوا بها. فالمطوع ركب حماره وأتى بريدة وقصد الشيخ/ عمر بن سليم رحمهم الله فأخبره بالواقع، فقال الشيخ ــ والحاضرون عنده ــ: عِلْمُنا أنَّ فلانًا غائب في الغربية، ثم قال الشيخ لرجلين من أصحابه: اذهبا إلى الرجل، فإن وجدتموه حاضرًا فقولوا له: يسلم عليك الشيخ ويقول: يعطينا الكتب التي هو جايب معه من الشام، نبغي نطالع فيها. فذهب الرجلان وطرقا عليه الباب، فخرج عليهما، ولكن الرجل دهش واستغرب الحال جدًّا،

لأنهما من غير شلته، فقالوا له: يسلم عليك الشيخ عمر ويقول: يعطينا الكتب التي هو جاء بها معه من الشام نبغي نطالع فيها؟ فدخل الرجل، وأخرجها لهم بخرجها على شدها، وأعطاهم إياها. فلما قرأ فيها الشيخ وأصحابه؛ وإذ هي كتب إلحاد ومخرقة، قد أرسلت معه لبعض الملحدين، فحرقوها أجمع. أخبرني بذلك ابنه والله خير شاهد، وصلّى الله على محمد.

ومن كرامات هذا الشيخ المطوع: أنه كان يزرع في بعض ضواحي البلد، في حارات المزارع، وقت السواني على الإبل، فإذا أصيبت الزروع بالمرض (الصّفار، أو القُمَّل) أو غيره، جعل يقرأ آيات من القرآن وأدعية نبوية في شيء من كسر التراب المسمى الجمش، ثم يلقيه تحت صباب الماء الذاهب للزرع، فلا يصيب زرعه المرض غالبًا.

سافر من بلد إلى بلد، في وقت مخافة ومعه سبعة ريالات من الفضة البيضاء، وخاف عليها من الحرامية، فجعلها في وسط خثى، ويقال خثق وهو خرىء البعير، أو البقر ونحوه، وعربده عليها ونشفه يريد أنه إذا لحقه حرامي ألقاها في الأرض، فلا يشعر بها أحد ويرجع عليها بعد ذلك، عافانا الله من المخاوف.

قالوا: العالم الرباني هو العالم الْوَرِعْ الذاكر لله كثيرًا، ويربي الناس على ذلك، ذكر معنى ذلك شيخ الإسلام في الفتاوى.

قيل:

**ألم تر أن السيف ينقص قدره إذا قيل السيف أمضى من العصا**

* * *

## خاتمة

انتهى المجلد الثاني، ويليه إن شاء الله،

المجلد الثالث، وأوله: خلها ملبدة لحل المشكلة

# فهرست المجلد الثاني

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| * تعليق على قصيدة ابن حصيص | ١٥٢ |
| * تصدي الرجال للأعمال واهتمام النساء | ١٥٦ |
| * واحلو الزول الحي | ١٥٩ |
| * إفادة في لباس نساء أهلينا | ١٦٣ |
| * لبس النعال في القديم | ١٦٦ |
| * أسد يا أسد | ١٧٠ |
| * توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية | ١٧٥ |
| * الحجاج ابن يوسف | ١٧٦ |
| * منافع لا حول ولا قوة إلّا بالله | ١٨٠ |
| * يا مقيط دوك رشاك | ١٨٣ |
| * سويد يا حلالي | ١٨٤ |
| * تعليم العقيدة للعامة | ١٨٦ |
| * الأمير والحصان والطير | ١٩٤ |
| * أمرّ شيء في الدنيا | ١٩٦ |
| * لا تعارض حكمة الباري سبحانه | ١٩٩ |
| * أصحاب الهيم | ٢٠٣ |
| * تابع الصلة في الأولاد | ٢٠٧ |
| * الودك والسمن في القديم | ٢١٥ |
| * ومن أبلغ احتيال على لقمة | ٢٢٣ |
| * كيف احتال على أهل الإسكندرية | ٢٢٥ |
| * في مهادنة العدو وسائر الناس | ٢٢٧ |
| * شعبيات | ٢٣٠ |
| * التحقيق في طلب العلم | ٢٣٤ |
| * الجراد في ليالي البرد الشديد | ٢٣٧ |

● ● ●